

ألف وتسعمائة
واربعة وثمانون
١٩٨٤

بقلم جورج اورويل
ترجمة د. رشة المصري

**ألف وتسعمائة
واربعة وثمانون
١٩٨٤**

**بقلم جورج اورويل
ترجمة د. رشدة المصري**

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس الشريف

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، مؤسسة فلسطينية مستقلة، لا تسعى الى الربح أو التجارة أو المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومية أو حزبية أو تنظيمية أو طائفية، وتهدف الى اعداد ونشر بحوث وترجمات وعقد ندوات ومؤتمرات متخصصة في المسألة الفلسطينية في مضمونها الوطني الفلسطيني واطارها القومي العربي وابعادها الدولية، والاسهام في توظيف هذا الجهد الأكاديمي للتعريف بخصوصية وعناصر المسألة الفلسطينية محليا واقليميا ودوليا.

إن ما ورد في هذا الكتاب من آراء وأفكار، تعبر عن وجهة نظر المؤلف جورج اورويل الشخصية ولا تعكس او تمثل بالضرورة موقف أو رأي الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، او العاملين فيها. قامت الدكتورة رشدة المصري المحاضرة في كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية بنابلس بترجمة الكتاب الى اللغة العربية. وقد وافقت لجنة البحوث في الجمعية على نشر هذا الكتاب ضمن برنامج البحوث والترجمة في الجمعية للعام ١٩٩٠.

جميع الحقوق محفوظة للجمعية

أب ١٩٩٠

(الطبعة الأولى)

George Orwell
Nineteen Eighty - Four
Translated by Dr. Rashda Masri

مطبوعات PASSIA

فاكس: ٢٨٢٨١٩ (٠٢) هاتف: ٨٩٤٤٢٦

ص.ب. ١٩٥٥٥ - القدس الشريف

المحتويات

- الأهداء ٥
- جورج اورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) ٧
- خلفية الرواية ١٣
- تحليل موجز للرواية ١٦
- الجزء الأول ٢٥
- الجزء الثاني ١٢٣
- الجزء الثالث ٢٣٧
- المترجمة في سطور ٣٠٩

الاهداء

الى الذين تبهرهم الشعارات وتخطف أبصارهم. الى الذين يتربعون
على الكراسي ويتحكمون بأقدار الشعوب، أقدم هذه الترجمة
مسلطة الأضواء على الساحات السياسية التي تكثر فيها الاعيب
اللاقواعد واللاأخلاقية. أقدمها للعبرة.

رشدة المصري

جورج أورويل

(١٩٠٣ - ١٩٥٠)

ولد جورج أورويل تحت اسم آرثر أريك بليز في متهاى في البنغال في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٣ حيث كان أبوه يعمل في دائرة الجمارك في الهند. وهو ينحدر من عائلة انجليزية تنتمي الى الطبقة العليا من الطبقة الوسطى كان لها دور في الادارة الحكومية في الامبراطورية البريطانية. وقد انتقلت به والدته "ايدا" الى انجلترا وهو في الرابعة من العمر حيث تلقى تعليمه في مدرسة القديس "Cyprian" وهي المدرسة الاعدادية التي وصفها - فيما بعد - في مقاله المتعلق بسيرة حياته الذاتية "Such, Were the Joys" وتنقل في عدد من المدارس هناك. وفي سنة ١٩١٧ نال منحه دراسية لكلية ايتون المعروفة وظل فيها حتى سنة ١٩٢١. وقد خلقت منه السنوات الخمس التي قضاها فيها، في محيط يحتقر الفقر، شابا راديكاليا نزاغا الى تحطيم التماثيل الدينية والى مهاجمة المعتقدات والمؤسسات التقليدية. وبدلا من الانضمام الى احدى الجامعات فقد حذو التقليد العائلي وشغل وهو في التاسعة عشرة من العمر - وظيفة ضابط بالشرطة الملكية الهندية في بورما. وقد أدت به السنوات الخمس التي عملها هناك الى رفض كل وجه من وجوه الاستعمار وما يمكن أن يحدثه من وحشية وقسوة عند أصحاب السلطة، كما حولت تلك الفترة حياته الفكرية على نحو حاسم، فقد أخذ يمقت دوره كممثل حكومة أجنبية غريبة، وبدأ يشعر أنه أقرب الى المضطهدين منه الى الذين يضطهدونهم. وفي سنة ١٩٢٧ وعندما كان في اجازة، قرر أن يعتزل العمل في الشرطة الامبراطورية ليعيش بين أفراد المجتمع الفقير وأن يحترف الكتابة. وكانت استقالته بداية وعيه السياسي ورفضه للنظام الاستعماري. وقد وصف الفترة التي عملها في بورما في كتابه "Burmese Days" الذي نشر سنة ١٩٣٤ والذي استمد مادته من تجاربه في الشرق مثل بطل روايته "Keep the Flying the Aspidastra" (١٩٣٦). وقد روى أورويل في كتابه "أيام بورما" تجاربه الشخصية وتفاعلاته مع الحكم الامبراطوري هناك.

وبعد أن ترك عمله في بورما شعر بتأنيب الضمير لأن الحواجز الاجتماعية القائمة على التمييز الطبقي حالت بينه وبين الاختلاط مع أهالي بورما، وحتى يكفر عن ذنبه قرر أن ينغمس في حياة الفقراء والمشردين، فارتدى الملابس الرثة وأخذ يتجول في فرنسا وبريطانيا حيث عاش مع أشد الناس فقرا ومارس الحياة التي يعيشونها، فعمل غاسل صحون في فنادق ومطاعم فرنسية فقيرة، وانضم الى عمال الأحياء الفقيرة في لندن في هجرتهم الجماعية السنوية "لكننت" للعمل في حقول الجنجل*. ولقد اعطت هذه التجارب أوروبا المادة لروايته "Down and Out in Paris and London" التي نشرت سنة ١٩٣٣.

كتب بلير عن تجاربه تلك تحت اسم "جورج أورويل" ليحمي عائلته من الاحراج من جهة، ولأنه لم يكن يحب اسمه من جهة أخرى. وقد استمد هذا الاسم من نهر أورويل الجميل القريب من منزل أبويه في سافولك. وبمرور الوقت أصبح اسمه المستعار ملازما له في حياته اليومية لدرجة أنه لم يكن يعرف اسمه الحقيقي سوى قلة من الناس باستثناء الاقارب ومدير البنك الذي كان يتعامل معه.

عمل أورويل في السنوات القليلة التالية مدرسا في مدارس خصوصية رديئة السمعة، كما عمل في احدى المكتبات، غير أن الكتابة كانت أهم نشاطاته في هذه الفترة. وفي سنة ١٩٣٥ اعتزل العمل ولجأ الى "هيرتفورد شاير" ليدير حانوتا قرويا هناك. وفي السنة التالية عهد اليه "نادي الكتاب اليساري" دراسة احوال العمال العاطلين عن العمل في شمال انجلترا، فقام بهذه الدراسة بحماس شديد ونشرها في كتابه "The Road to Wigan Pier" (١٩٣٧). والكتاب عبارة عن ريبورتاج وثائقي لاذع اثار استياء وغضب رعاة البرنامج، ختمه أورويل بتمجيد المبادئ الاشتراكية ومهاجمة جميع الحركات والتنظيمات الاشتراكية القائمة وأعضائها الذين أخرجوه عندما دعوه رفيقا. وكانت هذه المرة الاولى التي اعلن فيها أورويل عن موقف سياسي واضح. وكانت من احدى نتائج رحلته الى شمال انجلترا اهتمامه الثابت بالثقافة

* الجنجل: حشيشة الدينار وهو نبات عشبي معمر يستعمل كمخدر.

الشعبية التي انعكست في مقالاته الكلاسيكية أمثال "Boys Weeklies" و "The Art of Donald McGill" وغيرهما.

أحدث اندلاع الحرب الاهلية الاسبانية سنة ١٩٣٧ أزمة ثانية في حياة أورويل، فعلى الرغم من أنه كان قد تزوج من ايلين أومشوغنسي، وهي معلمة وصحفية، في منتصف سنة ١٩٣٦، لكنه ذهب الى اسبانيا كصحافي، حيث انضم بعد وصوله الى برشلونه، الى جانب الجمهوريين كبادرة عملية لمقاومة الفاشية التي كانت تحتاج أوروبا آنذاك، وحارب في صفوف " الحزب العمالي للاتحاد الماركسي" (POUM) ووصل الى رتبة ملازم أول. ثم أصيب بجرح خطير في عنقه، وفي أيار من نفس السنة تورط في قتال نشب بين "الحزب العمالي للاتحاد الماركسي" والثوار في جانب والشيوعيين الذين كانوا يحاولون القضاء على خصومهم السياسيين من جانب آخر، ولما طارده البوليس الشيوعي السري هرب من اسبانيا خوفا على حياته. لقد جعلته هذه التجربة يخاف من الشيوعية خوفا لازمه طيلة حياته عبر عنه في "Homage to Catalonia" (١٩٣٨) وهي عبارة عن وصف شخصي للقتال في الخندق أثناء الحرب الاهلية في اسبانيا، وتعرض لمحاولة استالينية من أجل السلطة هناك، ويعتبرها الكثيرون من أحسن مؤلفاته.

أعطت اسبانيا لأورويل موضوعا يكتب عنه بقية حياته وكشفت له الى أي مدى تستطيع الدوافع السياسية، عندما يساء استخدامها وتطبق بطريقة خاطئة، أن تقضي على احترام الصدق والحقيقة والقيم الأخرى التي كان القرن التاسع عشر المتحرر يبجلها ويعمل بها، والتي كان أورويل قد وصفها باطراء في مقاله "Charles Dickens" وفي روايته الاخيرة قبل الحرب العالمية الثانية "Coming Up for Air" (١٩٤٠) التي شجب فيها تاكل المعايير والقيم في العالم الحديث.

حاول أورويل عند اندلاع الحرب العالمية الثانية التطوع في صفوف الجيش الانجليزي، غير أن طلبه قد رفض نظرا لحالته الصحية، ف قضى سنين الحرب في كتابة المقالات الصحفية متنقلا بين عدد من الصحف حتى استقر نهائيا كناقذ أدبي في مجلة ال "Tribune" سنة ١٩٤٢. كما عمل في الاذاعة

البريطانية حيث كان يقدم برامج عن الهند وعن جنوب آسيا، كما عمل مديرا لاحدى المكتبات. وفي سنة ١٩٤١ نشر كتابه "The Lion and the Unicorn" الذي يجمع بين آراء وطنية عاطفية وتأييد لاشتراكية ترسخ مبادئ الحرية وتلغى المركزية، اشتراكية تغيير لدرجة بعيدة تلك الاشتراكية التي كان حزب العمال البريطاني يمارسها. وفي تلك الفترة شرع في وضع خطة لروايته المشهورة ١٩٨٤ قبل أن يبدأ بتأليف "Animal Farm" الكتاب الذي منحه الشهرة العالمية التي تمتع بها. والكتاب عبارة عن خرافة ذكية وظريفة حول فشل الشيوعية والثورة الروسية معروضة كقصة مزرعة بريطانية تولت حيواناتها السلطة فيها، وانتهت بقيام الحيوانات بنفس التصرفات التي كان الانسان يمارسها والتي أدت الى الثورة عليها وطردها من المزرعة. وهي على الأرجح أروع انتاج أدبي لأورويل باستثناء روايته الأخيرة "Nineteen Eighty - Four"

وضع أورويل خطة روايته "١٩٨٤" سنة ١٩٤٣، وعندما شرع بكتابة النسخة الاولى منها سنة ١٩٤٧ لم تكن أحداث العالم وأحداث حياته الخاصة قادرة على جعله أكثر تفاؤلا وأملا بالنسبة للمستقبل. فمن الناحية الشخصية أصابه انهيار صحي ألزمه الفراش لمدة شهر كامل بعد انتهائه من كتابه النسخة الأولى لكتابه، وأخيرا وبعد استشارة طبية أرسل الى مصحة من أجل معالجة مرض السل الذي كان يعاني منه. وما أن أخذ يشعر بالتحسن حتى عاود الكتابة ثانية مستخدما ريشة لهذا الغرض لأن الأطباء الذين كانوا يعالجه قد أخذوا آلتة الكاتبة بعيدا.

أجرى أورويل تغييرات وتعديلات على "١٩٨٤" وهو في المصح، وعندما تمكن من الخروج منه انصرف الى كتابة النسخة الثانية منها رغم أنه كان ما يزال ضعيفا لدرجة كان يضطر معها الى قضاء نصف النهار راقدا في السرير. وقد أدى الجهد الذي بذله اثناء طباعته للنسخة الاخيرة الى انهيار جسدي الامر الذي اضطره الى دخول المصح للمرة الثانية.

لقد كتب أورويل الصفحات الاخيرة لروايته في بيت ناء في جزيرة جورا (Jura) احدى جزر الهيردين (Hebridean) والذي كان قد ابتاعه من عائدات

روايته "Animal Farm". وقبل نشر روايته "١٩٨٤" توفيت زوجته في المستشفى الذي دخلته من أجل إجراء عملية ثانوية غير خطيرة. وكان هناك اعتقاد قوي ان عناية طبية مبكرة كان من الممكن أن تمنحها الفرصة لحياة أطول، غير أن مشكلة النقود هي التي أخرتها عن اللجوء الى الطبيب في الوقت المناسب. كما أهمل أروويل صحته على حد سواء لأنه كان هو الآخر يرفض أن يقوم بزيارة الطبيب أثناء نوبات المرض المفاجئة التي كانت تختابه.

أمل أروويل بعد وفاة زوجته أنه اذا كان مستعدا أن يحيا حياة مريض عاجز، فان هناك بعض الأمل، فعزم على الزواج ثانية والذهاب الى سويسرا من أجل صحته. وقد تزوج بالفعل من "سونيا براونل" وهو راقد في المستشفى لأنه كان أضعف من أن يذهب الى مكتب تسجيل للزواج. غير أن سويسرا ظلت حلما لم يتحقق لأن رئته قد انهارت تماما في الحادى والعشرين من كانون الثاني من سنة ١٩٥٠ وتوفي وحيدا وهو في السابعة والاربعين من العمر وبعد زواجه الثاني بشهرين فقط. وبموته هوى نجم أدبي ثر العطاء.

خلفية الرواية

يصور أسلوب أورويل رأى شخص متشائم لعالم متماثل أريد تسيطر فيه الدولة على كل مظهر من مظاهر الحياة وتضبطه. ونظرا لأن الرواية قد كتبت وأورويل يقاسي من مرض السل الذي قضى عليه، فقد أعتبرت روايته "١٩٨٤" على أنها نتاج رجل على وشك الموت، لذلك فقد كتبت في فترة من خيبة الامل بالحاضر ويأس من المستقبل. غير أن هذا رأي مفضل خادع لأن المخطط الأول للرواية، التي كانت ستسمى **الرجل الأخير في أوروبا** ، كان قد وضع سنة ١٩٤٢ قبل تأليف روايته الشهيرة **مزرعة الحيوان** التي منحتها المال والشهرة أكثر من أي عمل أدبي آخر.

وعندما كان أورويل يضع تصميم روايته "١٩٨٤" كان يقرأ رواية "We" للكاتب الروسي زمياتن * "Evgeni Ivanovich-Zamiatin"، الذي عني عناية كبيرة بالمشاكل الاجتماعية والسياسية حيث انعكس هذا الاهتمام في جميع أعماله الأدبية. وروايته "We" هي عبارة عن رؤيا لشكل مختلف للمدينة الفاضلة، وهي عبارة عن اختراع هجائي نكبي أثارت الكثير من التخمين والتأمل والجدل. فجاءت رواية أورويل "١٩٨٤" مقاومة لليطوبيا التي تنادي باصلاحات اجتماعية وسياسية مثالية الى حد يتعذر معه تطبيقها وبخاصة من حيث قوانينها وحكومتها وأحوالها الاجتماعية. الا أن الكثير من المواضيع الرئيسية لرواية "١٩٨٤" قد استمدت من تجارب أورويل الشخصية وهمومه. فقد شاهد بنفسه أثناء الحرب الاهلية الاسبانية دليلا على تحريف وتشويه الأخبار وعلى تلفيقها، حيث كتب فيما بعد: "رأيت التاريخ يكتب ليس بلغة ما حصل ولكن بلغة ما كان يجب أن يحصل بالنسبة للحزب، وكان هذا الشيء مخيفا بالنسبة لي. فاذا ما قال أحد القادة ان تلك الحادثة لم تحصل أبدا فانها لم تحصل البتة. واذا ما قال أن اثنين زائد اثنين تساوي خمسة، فان اثنين زائد اثنين تساوي خمسة."

ولد زمياتن في بلدة Lebedian في أواسط روسيا سنة ١٨٨٤ وهو من القلة الموهوبة التي عاشت في المنفى بسبب الضغوط التي مارستها الحكومة عليها بعد الثورة الروسية. وقد مات في فرنسا سنة ١٩٣٧.

أما الطريقة التي كانت اللغة تحرف بوساقتها لاغراض سياسية، فقد كانت واحدا من أعظم همومه واهتماماته، والاسلوب الذي تستغل فيه الدولة اللغة لتعزيز سيطرتها السياسية على الذين يستعملونها هي واحد من المواضيع الرئيسية المتكررة باستمرار في "١٩٨٤". كان رعية واشمئزاه من الاسلوب الذي كان بعض الكتاب السياسيين يحرفون فيه اللغة أثناء محاولاتهم تبرير الشيء الذي كان أورويل يعتبره غير قابل للتبرير، هما اللذان أديا الى ابتكار الخطوة المنطقية لاجاه لغة محرفة لاغراض سياسية أطلق عليها أورويل **اللغة الحديدية**. كان ذلك مبنيًا على نظرية، أمن بها الكثير من الكتاب في ذلك الوقت، تقول ان الفكر يعتمد على الكلمات التي تعبر عنه، فاذا كانت اللغة لا تمتلك كلمات وافكار محددة، فانه من غير الممكن لمن يتكلمون هذه اللغة أن يحملوا هذه الافكار. ان الهدف من **اللغة الحديدية** أن الناس لا يمكن أن يؤمنوا بجميع الاراء التي تتمشى ومبادئ الاشتراكية البريطانية، ومن أجل هذه الغاية فان جميع المفردات والمعاني غير المرغوب فيها من الناحية السياسية قدانتزعت من اللغة بطريقة جراحية. ان الغرض - كما يوضحه سليم في الرواية - هو تحقيق ضبط سياسي ثابت وسليم للغة من أجل ازالة الغموض والفوارق غير الضرورية في المعنى من أعمال العطاء من المؤلفين القدامى. أما أورويل فكان يؤمن بوجود التعبير عن أي شيء هام بكلمات يستطيع الناس العاديون أن يفهموا، وأن الاستعمال المعقد المتعمد للغة فقد كان واحدا من الكبائر والأثام العظيمة، وأن الاستعمال غير الواعي للغة يعقدها، وأسوأ من ذلك كله أنه يعني أن الذي استعملها قد فقد الصلة مع حقيقة ما كتب عنه.

تجسد في "١٩٨٤" مظاهر كثيرة من الحياة في مدينة لندن زمن الحرب، مثل الغارات الجوية على المدينة وما كانت تحدثه من خسائر بشرية ومادية، كوصف الغارة على القارب الذي كان يحمل النازحين. كما أن بناء "وزارة الصمق" كان قد صمم وفقا لبناء جامعة لندن التي استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية من قبل "وزارة الاعلام" البريطانية، ووفقا للمبنى الرئيسي للاذاعة البريطانية والتي كانت، على ما يبدو، قد أدرجت لاورويل بفكرة المطعم الذي تفوح منه رائحة الملقوف، والمرأة العاملة التي كانت تعني في الساحة الواقعة خلف حانوت المبيد **شارنجتون** أثناء قيامها بالغسيل، تمثل عاملات التنظيف في الاذاعة البريطانية، كما أن عمل زوجته في "وزارة التعمين"

التي كانت تخلق الدعاية لتشجيع الجمهور على تناول الانواع المناسبة من الأطعمة أثناء الحرب، هو الذي أوحى اليه باستعمال الشعارات القصيرة الحادة الموجودة في الرواية.

ان الطريقة التي اجتمع فيها قادة الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية من أجل تقسيم العالم الى مناطق نفوذ، هي التي أوحى له بفكرة الثلاث دول الكبرى: "أوشانيا، وأوراسيا وأستاسيا" كانت أوشانيا تضم فيما تضم من المناطق انجلترا، المسماه في الرواية "المنطقة الجوية رقم ١". كان أروويل قد تنبأ في احدى مقالاته أن العالم سيقسم الى ثلاث دول مزودة بالسلاح، ومع أنه أمل أن الشعب سيتحد لمقاومة ذلك، غير أنه لم يعتقد أن ذلك محتمل. أما ايمانه في عامة الشعب، وعدم ثقته بالمفكرين والعقلانيين، فهما من العناصر المهمة لروايته "١٩٨٤". بل انه يذهب الى أبعد من ذلك عندما يقول لحبيبته جوليا: "ان العمال هم البشر. نحن لسنا بشرا".

كانت أعظم اهتمامات أروويل شعبية وسياسية، غير أنه كان يدرك ادراكا واعيا أهمية حياة الفرد الخاصة وشؤون الحياة اليومية. والسبب الذي جعله يشعر ان العمال هم البشر كان نابعا من كون حياتهم الخاصة ذات الصلة بالعلاقات العاطفية والهموم الشخصية هي ملكهم، وأنها بعيدة عن يد الدولة المهيمنة. صحيح أن أعضاء "الحزب" يتمتعون بامتيازات لا يتمتع بها العمال، غير أن "الحزب" كان هو الذي يتحكم في جميع شؤون حياتهم الشخصية. وبالنسبة لهذا الموضوع كان أروويل يؤمن أن على الدولة توفير الاطار الاجتماعي لمواطنيها لا أن تفرض عليهم كيفية معيشتهم الخاصة، فاذا ما قامت بهذا الدور فان هؤلاء المواطنين يصبحون أقل من البشر. وقد عبّر عن ذلك في روايته "١٩٨٤" بأسلوب ساخر لاذع.

تحليل موجز للرواية

يحذر جورج أورويل، بتسميته روايته المشهورة "١٩٨٤" بهذا الاسم، أي بعد أربعين سنة تقريبا من كتابته إياها، يحذر من مستقبل مظلم للبشرية في ظل استبداد السلطة وطغيانها، ويتنبأ لضيء الحرية أن يخبو ولاغلال العبودية أن تكبل الانسانية الى يوم القيامة كما يصور نوع المجتمع الذي يمكن أن ينشأ اذا ما سمح الانسان للدولة أن تفتصب سلامة أوسع، وأذا ما أتاح الفرصة للسياسيين أن يرسخوا ويخلدوا حكما ديكتاتوريا عن طريق تحريف منظم للحقائق، وعن طريق اعادة كتابة التاريخ بصورة مستمرة. كما أنه يصف تجرد الانسان من الصفات الانسانية في عالم ألي استبدادي مبني على اخضاع الفرد للدولة وعلى السيطرة التامة المملقة على جميع مقدرات الامة ومظاهر حياتها وطاقاتها المنتجة.

كتب أورويل "١٩٨٤" في الفترة التي اشتدت فيها وطأة المرض عليه، فكانت روايته بمثابة الرصية الاخيرة التي أودع فيها جميع عبقريته وفلسفته في الحياة وجميع الامة وتجاربه المريرة القاسية. وقد حار النقاد والمحللون في تحليل السبب الذي دفع به الى اختيار "١٩٨٤" دون غيرها من السنوات لتكون اسما لهذه الرواية، كما كتبت أبحاث ومؤلفات كثيرة في محاولة لتحليلها، غير أنني ساكتفي هنا بما قاله اورويل نفسه عنها: "تهدف روايتي الاخيرة الى اظهار الانحرافات التي يمكن ان يتعرض لها الاقتصان المركزي والتي ظهرت بصورة جزئية في الشيوعية والفاشية.....".

قسم أورويل العالم الى ثلاث دول كبرى "أوشانيا، وأوراسيا، وأسكاسيا"، وقد وضعت هذه الدول نصب أعينها وقف التقدم ومحو الماضي وتجميد التاريخ، واتفقت على اشغال حروب صغيرة فيما بينها لكي تشغل الناس عن التفكير في بؤسهم. ويأتمر هؤلاء الناس بأوامر "الحزب" كآلات متحركة، ويعاملهم "الحزب" كما يعامل الحيوانات الماجنة. وتدير شؤون "أوشانيا" أربع وزارات: "وزارة الصدق" المختصة بتفقيق الاخبار ونشر الاكاذيب، و"وزارة السلم" المختصة بشؤون الحرب، و"وزارة الحب"

ومهمتها مراقبة الناس وتعذيبهم عندما يقعون بين أيديها، وتطبيق النظام عليهم، و"وزارة الرخاء" ومهمتها تقديم أسوأ الطعام والشراب والملابس للمواطنين.

ويسود التشاؤم الرواية من أولها حتى آخرها، فالجملة الأولى منها تعلن ان الساعات تدق الثالثة عشر وهي بذلك تضع الاساس للشعور بالخوف والتشاؤم. صحيح أن ذلك يفسر فيما بعد بأن الساعات المستعملة آنذاك هي ساعات الاربع والعشرين، الا أن الترابط بالرقم المشؤوم الثالث عشر، والاعتقاد السائد بأن الساعة التي تدق الثالثة عشرة هي اشارة لوجود شيء خاطيء، هيأ الجو السائد في الرواية منذ بدايتها. وتصف الفقرة التالية الملل الجاف المؤلم للحياة المادية اليومية التي يمارسها أهل **أوشانيا**، والشعور بأن الانسان هناك مراقب بصورة دائمة من قبل الحكومة بوساطة أجهزة خاصة أطلق عليها أورويل (Telescreens)، كما تصف القوة الطاغية المسيطرة لصور "الاخ الكبير" الموجودة في كل مكان، وعينيه اللتين تلاحقان المرء أينما اتجه.

ويعتقد المحللون أن الظهور المادي "للأخ الكبير" يمثل "ستالين"، كما أن الكثير من العناصر الرئيسية في "١٩٨٤" مثل النظام الحكومي المسيطر والاساليب المتبعة من أجل الحفاظ على السلطة مستمدة من نظامه وأساليبه. أما شخصية "جولد ستاين" فقد شكلت على غرار شخصية "تروتسكي" ودوره كمرؤوس سابق لـ"ستالين". وقد جعلت منه خلافاته السياسية فيما بعد عدوا لدودا لهذا الرئيس.

وهناك شبه واضح بين شخصيتي "جولد ستاين" و "تروتسكي" وكلاهما من أصل يهودي. وفوق ذلك فان وصف شخصية "جولد ستاين" يعتمد على عناصر من حياة "أندري نين" "Andres Nin" الذي كان قائد الـ "Poum" في اسبانيا والتي حارب أورويل في صفوفها، ذلك القائد الذي قتل من قبل عملاء روسيين لاعتقاده أن "ستالين" قد خان مبادئ الثورة الروسية. وقد ترك كما قال "جولد ستاين" وثيقة شرح فيها آراءه ومبادئه ومعتقداته السياسية.

ان بعض صفات مجتمع أوشانيا تصور خبره مروعة رهيبة أشبه بالكابوس تنقل على لسان "ونستون" بطل الرواية، فالقنابل الصاروخية التي تلقى على مدينة لندن بين الحين والآخر لتقتل وتدمر، والقارب الغاص باللاجئين الذي يقصف من الجو ويدمر، والفروق الشاسعة في المأكل والملبس والمسكن وجميع نواحي الحياة المعيشية بين أعضاء الحزب، لاسيما أعضاء "الحزب المركزي"، وعمامة الشعب، وحالة الحرب الدائمة التي تعيشها "أوشانيا" مرة مع "أوراسيا" وأخرى مع "استاسيا"، وعمليات التطهير المستمرة، وغير ذلك من المأسى، تركز جميعها على مجتمع يعيش في رعب وقلق دائم. وبالإضافة الى ذلك فان العناصر الشريرة التي اخترعها أورويل مثل شاشات التلفزيون (Telescreens) التي وجدت لمراقبة الناس بصورة دائمة، والاشتراكية الانجليزية (Ingsoc)، وأسبوع الكراهية (Hate Week)، وبوليس الفكر (Thought Police)، والمنطقة الجوية رقم ١ (Airstrip 1) وغيرها توحى بالتشاؤم من حيث المعنى والتسمية. كما أن تسميات الوزارات العملاقة الاربع تهيء القارئ لما تقوم به الاشتراكية الانجليزية من تحريف للغة، لان كل وزارة من هذه الوزارات معنية بما يناقض تسميتها تماما.

وحتى ونستون نفسه، بطل الرواية، قد صور كشخصية غير بطولية منذ البداية. فهو ضعيف هزيل، في طريقه الى منتصف العمر، ويعاني من قرحة في ساقه، ويكتشف القارئ فيما بعد، أن أسنانه اصطناعية وانه عرضة لنوبات شديدة من السعال. وجميع هذه الصفات تهيء القارئ لجميع ما يصدر عنه من تصرفات، لاسيما تلك التي تصدر عنه أثناء استجوابه وتعذيبه. ويصور كإنسان ينتمي لعصر سابق، ذكرياته عنه عندما كان ولدا هي ذكريات باهته مبهمه. ونظرا لذلك فانه يتفاعل مع الاشياء التي تنتمي الى حقبة زمنية سابقة مثل صفحات دفتر يومياته الناعمة ذات اللون القشدي، وريشة الكتابة المستدقة السن التي تناسب ذلك الدفتر، والزجاج الناعم الشبيه بماء المطر لمثقلة الورق المرجانية، وغيرها من الاشياء القديمة. كما ان ذكرياته الوحيدة عن الحب المتفاني غير الاناني تعود لعهد طفولته، والحضارة التي قام عليها عالم هذه الطفولة جعلته - عندما رأى جوليا في المنام وهي تنزع ملابسها من أجل عملية جنسية متحدية (وهي لذلك عملية سياسية) جعلته يستيقظ من نومه وعلى شفثيه كلمة "شكسيير".

ولما اراد أورويل أن يظهر ونستون كنموذج وكفرد فانه من المهم ان يجعله يتجاوب مع برنامج "دقيقتي الكراهية" بصورة خالية من الريباء لا تختلف عن بقية أعضاء الحزب الآخرين. لو كان أورويل قد وصفه في الرواية كشخصية ذات عقل قوي وراء سياسية محددة وواضحة لتغيرت مجريات الرواية، ولكن القارئ يدرك أن ثورة ونستون تنحصر في كراهيته للملل والجمود المادي للعالم الذي يعيش فيه، والتي تكمن في شعور غامض - لا يعرف مصدره وأسبابه - أن الامور ليست كما يجب أن تكون. وقد مكنته "دفتر يوهياثه" ان يعبر عن همومه وقلقه وعدم استقراره من غير ان يحتم عليه أن يصوغ المبادئ التي كان يشعر أن الاشتراكية الانجليزية قد انتهكتها. كانت تصرفاته الثورية أقل أهمية من ثورة أفكاره وأحاسيسه التي انبثقت عن تلك الثورة، ومن أجل ذلك فانه سوف يعاقب كما يفكر هو نفسه عندما يقول في الجزء الاول من الرواية: "بوليس الفكر فقط هو المهم".

لقد أدت به صلته بجوليا أن يضع أفكاره التي ينتقد فيها المجتمع الذي كانا يعيشان فيه في كلمات، مع أن جوليا قلما كانت تستمع اليه عندما كان يشرح أفكاره اليها، لأنها لم تدرك معناها وأهميتها. ان معرفته بجوليا جعلته يشعر ويدرك بوضوح أنه محكوم عليه بالموت منذ اللحظة التي شرع فيها بتدوين يومياته. لذلك فان عمله الجنوني المتمثل باستحجار الغرفة التي فوق حانوت السيد "شارفجوتون" ومقابلاته المستمرة لجوليا هناك يمكن أن تعتبر كمحاولة منه لاستغلال كل دقيقة من حياته قبل حلول الضربة المحتومة التي لا مفر منها، ولا يمكن تفاديها، أكثر من أن يؤمل بصورة جديدة أن بوسعه الهروب من هذا القمصان او تفاديه، كانت كلماته الاخيرة لجوليا قبل أن يلقي "بوليس الفكر" القبض عليهما: "نحن الاموات".

ان شخصية "أوبرين" هي الشخصية القوية المؤثرة في الرواية. وكان انطباع ونستون الاول بالنسبة اليه أنه رجل نكي مفكر، يحمل نفس الشكوك والشعور المتألمين اللذين يحملهما هو بالنسبة للاشتراكية الانجليزية، وكان هذا الانطباع قويا لدرجة جعلته يثق بأوبرين من غير تردد. ان ثقته هذه والتي وجدت قبل اعتقاله ظلت راسخة أثناء فترة سجنه واستجوابه وتعذيبه، وهي تعكس شيئاً من الاعتماد العاطفي الذي يجب على العضو المخلص

للاشتراكية الانجليزية ان يشعر به تجاه "الأخ الكبير" لذلك كان هدف أوبرين أثناء مقابلاتهما المتكررة في زيناتات التعذيب أن يحول حب ونستون له الى "الأخ الكبير". ان من أهم النقاط التي يعالجها أورويل في "١٩٨٤" يكمن في أن الخموص وحده ليس كافيا؛ لذلك يتوجب على "ونستون" أن يحقق لحظة من الحب الحقيقي "الأخ الكبير" تماما كما حقق لحظة من الكرامة لاعداء "الأخ الكبير" من قبل، وحتى يشعر بهذا الحب، فان عليه أن يبتذ - وأن يعترف أنه قد نبذ - جميع مشاعر الحب والولاء لأي انسان آخر. كان في داخله خلال المراحل الاولى من سجنه وتعذيبه شيء من الاستقامة في الرأي والامانة على الرغم من تحمله الخزي والعذاب والاذلال، غير أنه عندما فُرد بأسوأ شيء في الدنيا بالنسبة اليه، خان جوليا عندما توسل لمعذبيه أن يضعونها في مكانه لتعاقب وتدفع الثمن بدلا عنه. وعن طريق خيافته لجوليا فقد خان نفسه، لذلك شعر بعدها أن شيئا ما قد مات في قلبه، وأنه قد فقد جزءا حيويا بالنسبة اليه، وأنه قد أصبح مجرد هيكل لانسان وأنه لم يعد يشكل أي تهديد محتمل لا للدولة ولا لأي انسان آخر.

أما "جوليا"، حبيبة ونستون، فقد كانت أصغر منه سنًا، لذلك فليست لديها ذكرياته عن العالم قبل أن غيرته الاشتراكية الانجليزية. كان تمردها غريزيا ومباشرا اكثر من تمرده. وكانت قادرة على أن تعيش ضمن نظام الدولة وقيودها المفروضة، كما كانت عندها أساليب أقوى للمحافظة على النفس، اما ثقفتها بنفسها فكانت أقوى بكثير من ثقة "ونستون" بنفسه، انها لا تهتم أبدا بالاسس النظرية للثورة، وعندما شرعت تستمع لونستون وهو يقرأ "الكعاب" الذي أرسله له "أوبرين"، فقد فعلت ذلك بدافع من شعورها بالواجب، غير أنها سرعان ما استغرقت في نوم عميق. انها أفضل من "ونستون"، ليس بمقترتها على الترتيبات العملية فحسب، ولكن بفهمها الغريزي للاسباب الضمنية لبعض سياسات "الحزب" وممارساته خاصة ما يتعلق منها بالامور الجنسية، فهي تدرك أنه عن طريق جعل العملية الجنسية واجبا سياسيا بين الزوج وزوجته - كما هو الحال بالنسبة "الكاثريين" زوجة "ونستون"، أو بالنسبة لأي رجل آخر - وعن طريق جعلها لقاء مختلسا خاليا من المتعة مع بغبي من العاملات، فان باستماعة "الحزب" استغلال الاحباط الجنسي وما ينتج عنه من هستيريا، لخدمة مصالحه الذاتية. لذلك فان أية عملية

جنسية ممتعة تمارس بحرية بين عضوين من أعضاء "الحزب" (مثل الاتصال الجنسي الاول الذي تم بين ونستون وجوليا قبل أن يكون بينهما أي اتصال عاطفي) هي بحد ذاتها عمل سياسي متمرد. يبدأ "ونستون" في الرواية كتائر متمرد في أفكاره وأحاسيسه، ثم يتطور الى ممارسات جسدية من التمرد عن طريق تأثير جوليا عليه، والتي كانت متمردة بجسدها منذ بلوغها سن الرشد، والتي تعلمت كيف تبقى على قيد الحياة بأساليب ليس لدى ونستون القدرة عليها أو الاهلية لها. وأثناء علاقتهما، اعتقد كلاهما ان الدولة في صورة "بوليس الفكر" لا تستطيع الوصول الى أعماق الانسان بحيث تعرف طبيعة أفكاره ومشاعره، وقد ثبت أن كليهما كان على خطأ.

صورت شخصيات الرواية الاخرى بعمق أقل. قد تكون شخصية "أوبرين" هي الاكثر أهمية والاكثر تعقيدا، فعندما يظهر للمرة الاولى في الرواية، يشير اورويل من خلال ونستون الى تاحيتين متناقضتين فيه: وحشية قاسية يؤكدما مظهره الجسدي الضخم، ورقة متناهية تتمثل بالحركة التي يقوم بها عندما يضع نظارته فوق أنفه، والتي يشبهه اورويل بسببها بنيل من القرن الثامن عشر. ان دمج هاتين الصفتين هو الذي يشكل خطرا شديدا على "ونستون". كانت لدى "أوبرين" الحساسية الكافية لان يدرك سر عدم ولاء "ونستون" للدولة وتمرده عليها، كما كانت لديه القدرة بسبب مركزه في "الحزب المركزي" لانزال الالم الذي جعل "ونستون" يدفع الثمن من خلاله. انه باخلاص وتفان نكبين باربعين يحاول التاثير على "ونستون" وهو في السجن حتى يستطيع العودة الى المجتمع بعد اطلاق سراحه وقد شفي من الفساد الذي في عقله (حسب رأي أوبرين) والذي يحول بينه وبين حب "الاخ الكبير". ان "أوبرين" مثال الرجل الذكي العقلاني الذي كان أورويل يحشى قدرته على استخدام نفوذه ونكاته لحفظ ودعم أية ديكتاتورية هدفها الوحيد الحفاظ على السلطة، اكثر من أي شيء آخر.

اما "ساييم" الرجل الاكاديمي المفكر الذي لا يمتلك نفوذ "أوبرين" وقوته، فقد افسدت الدولة قدراته العقلية، وعلى الرغم من ذلك فانه يرى الامور بوضوح كبير ويتكلم بصراحة أكثر مما ينبغي الامر الذي يتعارض مع سلامته الشخصية. وقد أدرك "ونستون" في مرحلة مبكرة ان "ساييم" معد للتبخر اي اللابادة.

اما المفاجأة الكبرى في الرواية فقد تمثلت بظهور "بارسونز" جار "ونستون" المؤيد "للحزب"، في السجن. كان "ونستون" يعتقد ان ذكاء بارسونز المحدود مع استقامة آرائه السياسية المخلصة "للحزب" ستساعد على بقائه سالما حتى آخر أيام حياته، وقد اعتبر بقاءه في موضع التقدير والاحترام امرا مفروغا منه. الا ان "ارسونز" - ولسوء حظه - خدع مرتين: الاولى عن طريق عقله الباطن عندما حلم بصوت مسموع، والثانية بوساطة ابنته الصغيرة التي بلغت عنه والتي كان يفخر بذكائها وبمهارتها في اكتشاف الخونة والتبليغ عنهم ومن ضمنهم والدها. وفي النهاية فانه يلقي نفس المصير الذي يلقاه الآخرون.

يعتقد ونستون ان الامل - ان كان هناك أمل - يكمن في طبقة العمال، وهذا الاعتقاد هو واحد من العناصر الرئيسية المتكررة في الرواية والتي يدرك القاريء انه أت من اورويل نفسه. غير ان العمال يلعبون دورا بسيطا للغاية. انهم في بعض الحالات - مثل المرأة التي لا تنفك تغني بصوت قوي حزين وهي تغسل وتعلق الغسيل على الحبال خلف حانوت السيد "شارنجتون" - في خلفية الرواية للإشارة الى التباين الشاسع بين حياتهم وحياة أعضاء "الحزب" لا سيما أعضاء "الحزب المركزي". يصف اورويل آمال ونستون بالنسبة للعمال كحقيقة رمزية غامضة وسخف ظاهر. فعندما يقوم ونستون بزيارة طويلة الى حيّ العمال ويحاول ان يستفسر من رجل طاعن في السن يلقاه في احدى الحانانات التي يرتادها العمال عن ذكرياته ايام الشباب، فان التجاوب مشوش ومضطرب وتنقصه الثقافة. غير أن ونستون بحاجة الى ان يشعر أن هناك بعض الامل في مكان ما، وبالتأكيد ليس هناك أمل في العالم القاسي المليء بالخوف والرعب الذي يعيش فيه اعضاء "الحزب" لذلك يصبح العمال بالنسبة اليه املا رومانسيا وهميا للمستقبل، بل يصبحون الامل الوحيد.

وفي الحقيقة ليس هناك امل وبالتأكيد ليس "لونستون" الذي يرى عالم الرواية عالما خاليا من الثقة، فالناس الذين يظهرون ابرياء بعيدين عن كل خداع، امثال صاحب حانوت السلع المستعملة الذي وثق به "ونستون"، يثبت في النهاية انهم اعضاء في "بوليس الفكر"، وبأنهم اشد الناس خطرا لانه لا يشتبه بهم احد أبدا. ان زيارات "ونستون" لحيّ العمال والذي كان يعتقد انه

مكان امين (ان استطاع المرء ان يتجنب العسس) اثبتت انها كانت مهلكة له ولجوليا. وفي النهاية، فانه يخون جوليا ويخون مشاعره تجاهها. انه تحت الضغط والتعذيب ليس بأكثر بطولة عنه في مطلع الرواية. انه يُشاهد في النهاية في "مقهى شجرة الكستناء" حيث كان قد رأى بنفسه رجالا آخرين كانت الدولة قد حطمتهم.

هنا يعترف لنفسه ان التمرد والعصيان قد انتهيا. ان انذار اورويل واضح: ان ونستون، بكل قوة الدولة ضده، لم يستطع الصمود او الوصول الى قرار، انه عاجز تجاهها، بل وأكثر من ذلك، انه يتقبل هزيمته بسرور: انه يحب الاخ الكبير.

الجزء الاول

كان يوماً مشرقاً بارداً من شهر نيسان، وكانت الساعات تدق الثالثة عشرة عندما انسدل ونستون سمعته مسرعاً من الأبواب الزجاجية لانيبة النصر وأفضع نطقه في صدره انقاء للريح الشديدة، غير ان سرعته لم تكن كافية لمنع دوامة رملية من الدخول الى المبنى.

وكانت رائحة الملوخ والمطبوخ والحمر القديمة البالية، تفوح من الرواق الذي ثبتت على جوانبه صورة ملونة لوجه فضخ لا يتجاوز عرضه أكثر من متر- وجه رجل في حوالى الخامسة والاربعين من العمر ذي شارب كث اسود وقسمات وسمية صارمة. اندفع ونستون نحو السلم لانه لم تكن هناك جدوى من محاولة استعمال المصعد الذي قلما كان يعمل حتى في احسن الظروف، فكيف حاله الآن، والتيار الكهربائي مقطوع خلال ساعات النهار كجزء من الحملة الاقتصادية استعداداً لاسبوع الكرامة. كانت الشقة التي يسكنها ونستون البالغ من العمر التاسعة والثلاثين، في الدور السابع، ونظراً لانه كان يشكو من تقرح في الأوردة التي فوق كاحله الايمن، فقد صعد الدرج ببطء مستريحاً عدة مرات في اثناء ذلك. وكانت الصورة ذات الوجه الهائل تحلق فيه من الحائط عند كل منبسط من الدرج مقابل بيت المصعد. كانت كل واحدة من تلك الصور قد رسمت بطريقة بحيث تلاحقك العينان كلما تحركت، وكان التعليق الذي في اسفلها يقول : "الايخ الكبير يراقبك".

وفي داخل الشقة كان صوت جميل جناب يقرأ قائمة من الارقام تتعلق بانتاج الحديد الخام عند خروجه من أتون المصهر، وكان الصوت يأتي من صفحة معدنية مستطيلة تشبه مرآة معتمة باهتة تشكل جزءاً من سطح الحائط في الجانب الايمن. ادار ونستون مفتاحاً كهربائياً فانخفض الصوت قليلاً وبقيت الكلمات واضحة مميزة. كان يوسع المرء اضغاث ما يسمى بمشاشة التلفزيون ولكن لم تكن هناك وسيلة لايقظها تماماً. اتجه ونستون نحو النافذة، هيكل بشرى ضئيل، وزاد في ضآلته ذلك السؤال الازرق الفمضاض الذي كان يرتديه والذي كان لباس الحزب. كان شعره اشقر كثيراً ووجهه احمر

قائما بالطبيعة، وقد خشن جلده بفعل الصابون الرديء، والشفرات غير الحادة، وبرد الشتاء الذي كان قد انتهت مؤخرًا.

وفي الخارج بدأ العالم باردا حتى من خلال زجاج النافذة المغلقة. وفي الشارع كانت دوامات صغيرة من الرياح تحمل الغبار والورق الممزق في أشكال حلزونية، وعلى الرغم من ان الشمس كانت سامعة والسماة زرقاء صافية، الا ان الاشياء بدت باهتة لا لون لها باستثناء تلك المصممة في كل مكان والتي كان الوجه ذو الشارب الاسود يحرق منها في كل زاوية مشرقة. كانت احداهما على الواجهة الامامية للبيت المقابل مباشرة وتحتها التعليق الذي يقول الاخ الكبير يراقبك، في حين كانت عيناه السوراوان تنظران بعمق في عيني ونستون. وعلى مستوى الشارع كانت صورة ثانية، مزقت احدى زواياها، تتلاعب بها الرياح بصورة مقطعة فتغطي وتكشف على نحو متوال الكلمة الوحيدة التي عليها والتي تعني الاشتراكية الانجليزية. وفي الافق البعيد، كانت طائرة عمودية تمر بين أسطح المنازل بسرعة وخفة وتحوم لفترة قصيرة مثل ذبابة ضخمة زرقاء البطن ثم تندفع بعيدا متعرجة في طيراتها حتى يتمكن الخفر الذين في داخلها من التطلع بتفائل الى نوافذ الناس الذين لم يكن يعينهم ما كان يقوم به بوليس الفكر.

وخلف ونستون كان الصوت ما يزال يثرثر بغير وضوح حول ما حققته خملة الثلاث سنوات التاسعة من انجاز هائل بالنسبة لانتاج الحديد الخام. كان جهاز التلفزيون يستقبل ويرسل تلقائيا وكان بوسعهم ان يلتقطا اي صوت اعلى من الهمس يصدر عن ونستون. وعلاوة على ذلك، كان من الممكن رؤية ونستون طالما كان ضمن النطاق الذي تشرف عليه اللوحة المعدنية ولم تكن هناك وسيلة لمعرفة ما اذا كان المرء تحت المراقبة في أي وقت من الاوقات. اما بالنسبة لعقد المرات والنظام الذي يتبعه بوليس الفكر لمراقبة الناس والتخصص عليهم، فقد كانت عملية تخمين، ولما كان بوسعهم مراقبة اي انسان في اي وقت يشاء، فانه كان يخيل للجميع انه يراقبهم دائما. كان على الانسان أن يعيش - وهذا ما كان يحدث بحكم العادة التي أصبحت غريزة على افتراض ان كل صوت يصدر عنه يسمع، وأن كل حركة باستثناء الحركات التي يقوم بها في الظلام تتفقد وتفحص.

كان ونستون بيدير ظهره لشاشة التلفزيون لأن ذلك أكثر أمناً، على الرغم من ادراكه أن بوسع ظهر الانسان أن يكشف عما في النفس. وعلى بعد كيلو متر من مكان سكنه كانت ترتفع وزارة الصديق، بيضاء ضخمة فوق المنظر الكاليج القنذر الذي أمامه. وبشيء من النفور الغامض أخذ يفكر - كانت هذه لندن، المدينة الرئيسية للمملكة الجوية رقم ١، وهي نفسها ثالث مدينة من المدن المزدهمة بالسكان من أقاليم أوشانيا. حاول ونستون أن يعتصر بعض ذكريات الطفولة التي لا بد أن تخبره ما اذا كانت لندن على هذه الحالة دائماً، وما اذا كانت المنازل البالية المهترئة التي تعود الى القرن التاسع عشر والتي عززت جوانبها بروافد خشبية خوفاً عليها من الانهيار، ورقعت ثرافذها بالكرتون، ورممت اسطحها بألواح الحديد الموعج الذي يستعمل للمباني الرخيصة، ذات الحوائق المنهارة الجدران من جميع الجهات موجودة دائماً؟ وما اذا كانت الامكنة التي ضربت بالقنابل والتي كان غبار الجص يدور فيها كالدرامة وحيث ينتشر نبات السنفية*، ويمتد في غير اتساق فوق أكرام الركام، والاماكن التي أزلت القنابل جزءاً كبيراً منها وقامت مكائنها مستعمرات قذرة من المساكن الخشبية الشبيهة بأركان الدجاج موجودة؟ عبثاً حاول أن يتذكر فلم يبق من طفولته غير سلسلة من اللوحات المضيئة المشرقة تظهر بلا خلفية وغالبا ما تكون غامضة غير مميزة المعالم.

كانت وزارة الصديق مختلفة بشكل مدهش عن أي شيء آخر على مدى البصر. كانت بناء هرميا هائلا من الاسمنت المتألق ترتفع صفا بعد آخر من الابنية لعلو ثلاثمائة متر في الجو. وكان بوسع ونستون أن يقرأ من المكان الذي كان يقف فيه شعارات الحزب الثلاثة المميزة على وجهته البيضاء في حروف أنيقة رائعة:

الحرب هو السلام

الحرية هي العبودية

الجهل هو القوة

* نبات أرجواني الزهر.

يقال ان وزارة المصدق تضم ثلاثة آلاف غرفة فوق سطح الارض ومثلا تحت الارض. وكانت هناك ثلاثة أبنية أخرى مشابهة لها في الشكل والحجم منتشرة في لندن. وكانت المباني الأربعة من المصنعة بحيث تجعل الابنية المجاورة تبدو صغيرة كالأقزام وبحيث يستطيع المرء ان يراها جميعها من على سطح أبنية النصر في أن واحد. كانت هذه الابنية مقر الوزارات الأربع التي كانت تتقاسم الجهاز الحكومي بأكمله: وزارة المصدق التي كانت تعنى بشؤون والتسليية والتربية والفنون الجميلة، وزارة السلم التي كانت تعنى بشؤون الحرب، وزارة الحب والتي كانت تحافظ على النظام والقانون، ووزارة الرخاء والتي كانت مسؤولة عن الشؤون الاقتصادية.

كانت وزارة الحب هي المحيطة حقا. لم تكن فيها نوافذ البيت. لم يدخلها ونستون أبدا ولم يصل الى بعد نصف كيلو متر منها. كانت مكانا يستحيل دخوله الا في عمل رسمي، لا ينفذ اليها الانسان الا من خلال شبكة من الممرات المعقدة من الاسلاك المشابكة الابواب الفولاذية الصلبة، وأوكار سريية للمدافع الاتوماتيكية الرشاشة. وحتى الشوارع المؤدية الى حواجزها الخارجية كان يطوف فيها حرس ذو وجوه وحشية بشعة، يرتدون زيا أسود ومسلحين بهراوات ذات مقامل.

استهار ونستون فجأة وقد اكتست قسما وجهه بتعبير يدل على التفاؤل الذي كان من المستحسن اتخاذه كلما واجه المرء شاشة التلفزيون، واجتاز الغرفة الى المطبخ الصغير. كان قد مضى بوجبة غداة في الكنتين بتركه الوزارة في ذلك الوقت من النهار مدركا أنه لم يكن في المطبخ من الطعام غير قطعة كبيرة من الخبز الأسود والتي كان عليه أن يوفرها لفظور الغد. تناول من الرف زجاجة فيها سائل لا لون له عليها رقعة بيضاء مكتوب عليها جن النصر* يعلق رائحة زيتية باعثة على الغثيان تشبه مسكرا صينيا يستخرج من الرز. صبت ونستون لنفسه مقدار فنجان شاي تقريبا، وتجراً كأنه ينتظر صدمة وشربه دفعة واحدة كأنه جرعة دواء.

* مسكر قوي.

وفي الحال احمر وجهه وفاضت الدموع من عينيه. كان الشراب مثل حامض الشتريك، وفضلا عن ذلك فان المرء يشعر عند ابتلاعه كأنه ضرب على مؤخرة رأسه بهراوة من المطاط، ومع ذلك فقط تلاشى الغليان الذي في معدته في اللحظة التالية وأخذت الدنيا تبدو أكثر بهجة. أخرج سيجارة من علبة متجمدة مكتوب عليها سجائر النصر. ومن غير احتراس حملها بشكل عمودي وعلى أثر ذلك سقط التبغ على الارض، ولكنه كان أكثر حفا في السيجارة الثانية. عاد ثانية الى غرفة الجاوس وجلس الى منضدة صغيرة الى الشمال من شاشة التلفزيون وأخرج من درجها حاملة ريشة كتابة، وزجاجة حبر، وكتابة سميكا مربعة فارغا له ظهر أحمر وغلاف معرق كالرخام.

ولسبب ما كانت شاشة التلفزيون في غرفة الجلوس في موضع غير مألوف، فبدلا من أن توضع في الجدار الاخير كما كان متوقعا، حتى تشرف على الحجرة جميعها، كانت في الجدار الأطول في مواجهة النافذة، وفي أحد جوانبها توجد فجوة غير عميقة في الجدار، كان ونستون يجلس فيها في ذلك الحين، أعدت على الأرجح لوضع رفوف للكتب عندما أقيمت تلك الشقوق. كان من عادة ونستون أن يبقى بعيدا عن نطاق الرؤية اذا ما جلس داخل الفجوة تماما. وكان بالامكان سماعه طبعيا، غير أن رؤيته تصبح صعبة ما دام في مكانه الحالي. ان السمات الجغرافية غير المألوفة للحجرة والكتاب الذي كان قد أخرجه لتوه من درج المنضدة هما اللذان أوحيا اليه بعمل الشيء الذي كان على وشك القيام به. كان كتابا جميلا بصور استثنائية فورقة الناعم ذو اللون القشدي الذي امفر قليلا بفعل الزمان، كان من النوع الذي لم يصنع منذ أربعين سنة على الاقل. استطاع أن يختم ان الكتاب الذي رآه موضوعا على نافذة مخزن حقير للخزنة في حي فقير من البلدة - لم يستطيع ان يتذكر أي حي - اقدم من ذلك بكثير، واعتزته رغبة عارمة في اقتنائه. لم يكن من المفروض أن يذهب أعضاء الحزب الى المخازن المألوفة التي كانت تسمى بأسواق الحرية. ولكن هذا القانون لم يكن متبعا على نحو صارم لأن هناك أشياء متعددة مثل أربطة الاحذية وشفرات الحلاقة لا يمكن الحصول عليها بغير هذه الطريقة. كان قد ألقى نظرة عجل على الشارع من فوقه الى أسفله قبل أن ينسل الى داخل المخزن حيث ابتاع الكتاب بدولارين ونصف. لم يدرك عندما ابتاعه أنه أراده لغرض معين، وعندما حمله الى البيت في محفظته الجلدية شعر بالذنب لانه، وان لم يكن فيه شيء مكتوب، الا ان مجرد اقتنائه كان يعرضه للشبهة.

كان على وشك أن يبدأ في تدوين يومياته، ولم يكن هذا غير شرعي (ونظرا لعدم وجود أية قوانين فانه لم يكن هناك أي شيء غير شرعي) غير أنه لو اكتشف أمره فمن المؤكد أن عقابه سيكون الموت، أو على الأقل قضاء خمسة وعشرين سنة في معسكر إنزامي. اختار ونستون ريشة كتابة ملائمة لحاملة الريشة التي عنده وامتصها ليخرج المادة الزيتية منها. كانت الريشة قديمة وناذرة الاستعمال حتى للتواضع، وقد حمل عليها خلسة وبشيء من المصعوبات لمجرد أنه شعر أن الورق الجميل ذا اللون القشدي يستحق أن يكتب عليه بريشة حقيقية بدلا من أن يخذش بقلم مداد. في الحقيقة لم يكن من عادته أن يكتب باليد، وباستثناء بعض الملاحظات القصيرة، جرت العادة ان يملأ كل شيء الى آلة قلم - واكتب. كان ذلك مستحيلا لغرضه الحالي من غير ريب - . فمسن الريشة في المداد وتردد لفترة وجيزة فحسب، لقد انتابت احشاه رعدة. كانت الكتابة على الورق هي العمل الحاسم، وبحروف خرقاء يعوزها الاتقان والجمال كتب:

الرابع من نيسان ١٩٨٤

استراح ونستون وقد انتابه شعور كامل بالعجز: أو لا لم يكن يعرف يقينا أن هذه كانت سنة ١٩٨٤. يجب أن تكون حوالي ذلك التاريخ نظرا لأنه كان متأكدًا تماما أن عمره تسع وثلاثون سنة، ولأنه كان يعتقد أنه قد ولد سنة ١٩٤٤ أو ١٩٤٥، غير انه لم يكن من الممكن أن يتأكد المرء من أي تاريخ خلال سنة أو سنتين في هذه الأيام. وفجأة خطر له أن يتساءل لمن كان يكتب يومياته هذه؟ للمستقبل، للذين لم يولوا بعد. وحام عقله لفترة وجيزة حول التاريخ غير المؤكد الذي على الصفحة ثم توقف وهو يشعر بصدمة قوية عند الكلمة التي تعني في لغة أو شائبا الرسمية "الإيمان بفكرتين متناقضتين في وقت واحد"، ولأول مرة أدرك عظم ما قد شرع فيه. كيف يستطيع المرء أن يتصل مع المستقبل؟ ان مثل هذا الاتصال مستحيل في طبيعته، ان قد يكون المستقبل شبيها بالحاضر، وفي هذه الحالة فلن يستمع اليه أحد، أو قد يكون خلوا من المعنى. جلس لبعض الوقت يحدق بالورق ببله وممل، وأثناء ذلك تغير أرسال التلفزيون واستبدل بموسيقى حربية حادة. والغريب في الأمر أنه لم يفقد القدرة على التعبير عن نفسه فحسب، ولكنه قد نسي ما أراذ قوله في

الاصل. لاسباع خلت كان يعد نفسه لهذه اللحظة، ولم يخطر بباله قما أنه سيحتاج لغير الجراء. ان الكتابة الفعلية ستكون سهلة، كل ما عليه ان يفعله هو ان ينقل الى الورق بواقعية المونولوج اللامتناه، المفعم بالقلق الذي كان يدور في رأسه لسنوات طويلة، ولكن حتى المونولوج قد جف في هذه اللحظة. وعلاوة على ذلك فان تقرح الاوردة الذي عنده أخذ يستحكه بصورة غير محتملة ولم يجرؤ على حكه لانه ان فعل ذلك فانه يلهثب. ومرت الثواني ولم يشعر بأي شيء سوى خلو الورقة التي أمامه من الكتابة، وحكة الجلد الذي فوق كاحله، ودوي الموسيقى، وثمل طفيف سببه الجن الذي شر به.

وفجأة أخذ يكتب بذعر مطلق غير واعي تماما ماذا كان يدون على الورق. وانتشر خطه الصغير المبياني من أعلى الصفحة الى أسفلها مسقطا أو لا الحروف الكبيرة وأخيرا النقام.

الرابع من نيسان ١٩٨٤. الليلة الماضية الى السينما، جميعها افلام حربية. كان احدهما حول سفينة ملأى باللاجئين قذفت بالقنابل في البحر الابيض المتوسط. استمتع جمهور المتفرجين كثيرا برؤية اطلاق النار على رجل ضخم كان يحاول ان يهرب سباحة في حين كانت طائرة عمودية تلاحقه. كان يتخبط في الماء كالدلفين، ثم راه الجمهور من خلال جهاز تسديد الطائرة العمودية وقد امتلا جسده ثقوبا وتحول لون البحر من حوله الى الاحمر وغرق فجأة كأن الثقوب التي في جسده قد ادخلت الماء اليه فانقلته. وقد ضج الجمهور بالضحك عندما غرق. بعد ذلك رأى الجمهور قارب نجاة مليئا بالاطفال تحوم من فوقه طائرة عمودية وتجلس في مقنمته امرأة في منتصف العمر، ربما كانت يهودية، تحمل بين ذراعيها ولدا صغيرا في حوالى الثالثة من العمر يصرخ من الخوف ويخبيء رأسه بين ثدييها كأنه يحاول الاختباء في داخلها، وقد طوقته المرأة بذراعيها محاولة مواساته مع انها كانت في غاية الخوف والرعب، وكانت طيلة الوقت تغطيه قدر الامكان معتقدة ان باستطاعتها ابعاد الرصاص عنه بذراعيها. ثم القت الطائرة العمودية قبيلة زنتها عشرون كيلو غراما على من في القارب، تبعها وميض مروع، وتحول القارب الى شظايا خشبية، تلا ذلك اقطة مدمشة لانزاع طفل وهي ترتفع الى أعلى، فأعلى، فأعلى في الهواء. لا بت ان طائرة عمودية مزودة مقدمتها بالة تصوير قد لحقتها الى

الاعالي والتقطت لها الصورة. وضح المكان المخصص لاعفاء الحزب بالتصفيق والاستحسان.

ولكن فجأة ابدت امرأة كانت تجلس في المكان المخصص للعمال معارضة وأخذت تصرخ مهتاجة أنه لم يكن من المناسب عرض ذلك المشهد على مرأى من الأطفال، مكررة قولها ذلك عدة مرات حتى طردها البوليس. ولا أفطن ان شيئا قد حصل لها نتيجة لذلك لأنه لا يهتم أحد بما يقوله العمال، أو برآ فعلهم الذي ينسجم مع طبقتهم.

توقف ونستون عن الكتابة لأنه تألم الى درجة التشنج. لم يدر ما الذي دفعه لان يصتب هذا السيل من الهراء على الورق، ولكن الغريب في الامر انه عندما كان يقوم بذلك وضحت في ذهنه ذكرى مختلفة لدرجة أيقن معها أنه كفو لتدوينها، حيث أدرك لتوه أن قراره المفاجيء للعودة الى البيت والبدء في تدوين يومياته في ذلك اليوم انما يعود الى تلك الحادثة التي كانت قد حصلت في الوزارة ذاك الصباح، ان كان بالامكان القول ان شيئا مبيانا كهذا يمكن ان يحصل.

كانت الساعة الحادية عشرة بعد المائة تقريبا، وفي دائرة السجلات حيث كان يعمل ونستون كانوا يسحبون الكراسي من الحجيرات ويجمعونها في وسط القاعة مقابل شاشة التلفزيون الكبيرة استعدادا لبرنامج دقيقتي الكرامية. كان ونستون يأخذ مكانه في احد الصفوف التي في الوسط عندما دخل الغرفة على غير توقع، شخصان كان يعرفهما بالنظر اليهما ولكن لم يسبق له أن كلمهما ابدا. كانت احدهما فتاة كثيرا ما كان يمر بها في الاروقة، لم يكن يعرف اسمها غير أنه كان يعلم انها تعمل في دائرة الادب القصصي، وحيث أنه كان يراها احيانا ويدها ملوثتان بالزيت وتحمل مفتاح ربط افترض ان عملها ميكانيكي وأنها تعمل على آلة لكتابة الروايات. فتاة جريئة في حوارها السابعة والعشرين من العمر، ذات شعر كثيف اسود ووجه نمش وحركات رياضية سريعة نشطة، وقد لفت وشاحا قمرزيا ضيقا شعار "عمبة اعداء الجنس للاحداث" حول وسط سروالها بطريقة مشدودة اظهرت شكل وركيها. لقد كرهها ونستون منذ اللحظة الاولى التي وقع بصره عليها، وعرف السبب لذلك. كان

بسبب جوّ ميادين لعبة الهوكي*، والحمامات، والنزهات الجماعية الطويلة التي يقوم بها أفراد العمبة سيرا على الأقدام، والنظافة العقلية التي نجحت في الإيحاء بها الى الآخرين. وكان يكره جميع النساء ولا سيما الصغيرات منهن والجميلات، لان النساء - ولا سيما الصغيرات منهن - كن دائما اكثر الناس ولاء وتعميما للحزب، واللواتي يقبلن الشعارات من غير اعتراض او سؤال، والجاسوسات الهاويات، والمكتشفات غير التقليديات. ولكن هذه الفتاة بالذات اعطته الانطباع بأنها اشد خطرا من معظمهن. حصل مرة وهما يمران في الدهليز أن القت عليه نظرة جانبية سريعة تراءى له انها نفذت الى اعماقه، وملأته برعب قائم لبرهة وجيزة. وقد خطر له انها ربما كانت عميلة لبروليس الفكر. صحيح أن هذا غير محتمل، غير أنه قل يشعر بعدم راحة غريبة يخالطها الخوف والحقد كلما كانت قريبة منه.

اما الشخص الآخر فقد كان رجلا يدعى اوبرين، وهو عضو في الحزب المركزي يشغل مركزا هاما، منعزلا للدرجة أنه اعلى ونستون فكرة غامضة عن طبيعته. ساد القاعة هدوء قصير عندما رأى الحضور عضوا من الحزب المركزي يقترب بسرواله الاسود. كان اوبرين رجلا ضخما، قوي البنية، ذا عنق غليظ، ووجه خشن وفك قاس. وعلى الرغم من مظهره المرعب كان سلوكه سحر معين، إذ كان من عادته اعادة تسوية نظارته على أنفه بطريقة لطيفة بصورة غريبة - بأسلوب يتعذر تحديده، ولكنه مهذب بشكل لافت للنظر. كانت حركة ممكن أن تعيد الى الاذهان صورة احد نبلاء القرن الثامن عشر وهو يقدم علبة سعوطه - ان ظل هناك من يفكر بهذه اللغة. قد يكون ونستون قد رأى اوبرين اثنتي عشرة مرة خلال هذا العدد من السنوات، غير أنه كان يحس بانجذاب شديد اليه، ليس لمجرد كونه مأخوذا بالفرق بين سلوكه المتحضر وبنيقته الشبيهة ببنيّة ملاكم محترف، بل أكثر من ذلك، كان يسبب ايمان خفي او ربما ليس حتى ايمان، بل مجرد أمل ان معتقدات اوبرين السياسية ليست مثالية ولا بالغة حد الكمال. كان في وجهه شيء يوحي بذاك بصورة لا تقاوم. و فوق ذلك قد لا يكون التعبير الذي على وجهه هو عدم تمسك بالمعتقدات، ولكن مجرد

* لعبة الكرة الغشبية والمورلجان

ذكاء ليس غير. وعلى أية حال فإن مظهره يدل على أن بوسع المرأة أن يكلمه ان استطاع التحايل على الناشئة بطريقة أو بأخرى والانفراط به. لم يقم ونستون أيضا بأدنى محاولة للتأكد من صحة تخمينه: في الواقع لم تكن هناك طريقة للقيام بذلك. وفي تلك اللحظة ألقى اوبرين نظرة عجل على ساعة يده واستوثق أنها الحادية عشرة بعد المائة تقريبا، كان من الجلي انه قرر البقاء في دائرة السجلات حتى نهاية برنامج دقيقتي الكراهية. وجلس على كرسي في صف ونستون على بعد مقعدين منه. وكانت تجلس بينهما امرأة فضيلة ذات شعر رملي اللون كانت تعمل في المقصورة المجاورة لورنستون، وكانت تجلس خلفه مباشرة الفتاة ذات الشعر الاسود.

وفي اللحظة التالية اندفع من الشاشة الكبيرة الموضوعة في طرف الغرفة حديث يشع ذو صرير، كأنه أت من آلة ضخمة جذا تعمل بلا زيت: جليلة ترغم المرأة أن يطبق فكليه بانفعال، وتوقف الشعر الذي خلف عنقه. لقد ابتأ برنامج الكراهية.

وكالعادة فقد برز وجه أمانويل جولدستاين - عدو الشعب - على الشاشة فجأة، مصحوبا بفحيح من كل مكان من بين الجمهور أما المرأة الضئيلة ذات الشعر الرملي فقد اطلقت صوتا قصيرا حادا، مزيجا من الخوف والاشمئزاز. كان جولدستاين الخائن المرتد، الذي كان منذ عهد بعيد (لا أحد يتنكر تماما بعده) احد الشخصيات القيادية البارزة للحزب، في مستوى الاخ الكبير نفسه تقريبا، ثم تورط بعد ذلك في نشاطات ثورية معادية، وحكم عليه بالموت، ولكنه هرب واختفى بطريقة غامضة. كانت برامج دقيقتا الكراهية تتغير من يوم لآخر، ولكن لم يكن هناك برنامج واحد لم يكن جولدستاين الشخصية الرئيسية فيه، فهو الخائن الاول، واقدم من دنس نقاء الحزب وطهارته، كما انبثقت جميع الجرائم اللاحقة ضد الحزب، وانبعثت جميع الخيانات، وأعمال التدمير والتخريب، والبدع والانحرافات مباشرة من تعاليمه. وهو ما يزال حيا يدبر مؤامراته في مكان ما، قد يكون وراء البحار تحت حماية أسياه الغرباء، أو في مخبأ ما في اوشانيا نفسها - كما يشاع أحيانا - .

شعر ونستون بانقباض في الحجاب الحاجز إذ لم يكن يوسعها ابداً أن يرى وجه جولدستين دون أن ينتابه مزيج مؤلم من الانفعالات. كان وجهها يهزها نحيلاً ذا مالة كبيرة من الشعر الأبيض الجعد، ولحية صغيرة مشدبة - ووجه ذكي، ولكنه على الرغم من ذلك حقيقير بالفطرة، مع نوع من البلاهة الناجمة عن الانغماس في الملذات والملاهي حول الانف الطويل الرفيع والذي كان يجثم في آخره زوج من النظارات. وجهه يشبه وجه الخروف، كما كان موته مشابهاً لصوت الخروف أيضاً. القى جولدستين هجومه السام المعتاد على معتقدات ومذاهب الحزب - هجوماً من المبالغة والانحراف بمكان يستطيع معه طفل أن يدرك حقيقة مراميه الخفية، غير أنه جدير بالتعديق ظاهرياً بحيث يمكن أن يخضع به أولئك الذين كانوا أقل حصافة من ونستون، الأمر الذي يملأ المرء بالربح. كان يشتم الأخ الكبير، ويشجب ديمقراطية الحزب، ويطالب بعقد معاهدة سلام فورية مع أوراسيا، ويدافع عن حرية الكلمة ويؤيدها، وعن حرية الصحافة، وعن حرية التجمعات والتجمعات وعن حرية الفكر، وكان يصرخ بصوت مستعير قائلاً إن الثورة قد خدمت وغرر بها - كل ذلك بخلفية سريعة تتميز بكلمات متعددة المقاطع والتي كانت نوعاً من البارودية* المعتادة والمستخدمة من قبل خطباء الحزب، حتى أنها تضمنت كلمات من اللغة الرسمية الجديدة لاوشانيا أكثر مما يستخدم عادة أي عضو حزب آخر في الحياة الواقعية. وحتى لا يكون هناك مجال للشك في حقيقة الكلام المخادع الذي تضمنه جولدستين في خطابه، كانت تمرّ من خلف رأسه على الشاشة طوابير متصلة لا نهاية لها من جيش أوراسيا، صفوف متتالية من الرجال الآسيوية الجامدة ذوي الوجوه الخالية من كل تعبير، والتي كانت تطفو على الشاشة ثم تختفي لتحل محلها وجوه مشابهة لها تماماً. وكان صوت وقع اقدام الجنود المترن البطنيء يشكل الخلفية لصوت جولدستين الثغائيء.

وقبل مرور ثلاثين ثانية على بدء برنامج الكراهية أخذت تنطلق من نصف الذين كانوا في الغرفة هتافات حماسية غاضبة لم يكن من الممكن ضبطها أو التحكم فيها، فالوجه الممثل من الشاشة الشبيه بوجه الخروف والذي يدل على

* المحاكاة الساخرة.

الرضى عن النفس والقوة الرهيبه للجيش الاوراسي الذي خافه، كانا أكبر وأقوى من أن يحتلما: وعلاوة على ذلك فإن رؤية جولدستاين أو حتى مجرد التفكير فيه كان يثير الشعور بالخوف والخطر بصورة آلية، فقد كان موضع كراهية أكثر ديمومة وثباتا من أوراسيا أو أستاسيا، نظرا لأنه عندما تكون أوشانيا في حالة حرب مع أي من هاتين القوتين، تكون عادة في حالة سلام مع الأخرى، والغريب في الأمر أنه بالرغم من كون جولدستاين مكروها ومحققرا من الجميع، وبالرغم من أن نظرياته وأرائه كانت تدحض وتهاجم ويسخر منها وتعرض للرأي العام على أنها هراء جدير بالراءء، من على منصات الخطابة وشاشات التلفزيون، في الجرائد والكتب كل يوم وألف مرة كل يوم - بالرغم من هذا كله فإن تأثيره لم يقل أو يضعف البتة، إذ كان هناك دائما مغفلون اغرار ينتظرون ان يضلوا بواسطته. ولم يكن يمر يوم واحد دون أن يكشف بوليس الفكر النقيب عن جواسيس ومخربين يعملون تحت اشرافه ويتوجهاته. كان قائدا لجيش مهم ضخم، شبكة سرية من المتأمرين مكترسة للاطاحة بالدولة وتدميرها. وكان المفترض ان يكون اسمها الاخوة، وكانت تروج أيضا قصما حول كتاب رهيب يضم خلاصة واقية لجميع البدع من تأليف جولدستاين الذي كانت تتداوله الايدي في كل مكان بطريقة سرية. كان كتابا بدون عنوان، يشير الناس اليه بكلمة الكتاب، ان حصل وأشاروا اليه البتة. وكان المرء يعرف عن مثل هذه الأشياء عن طريق الاشاعات الغامضة فقط ان لا يرغب اي عضو عادي في الحزب أن يذكر موضوع الاخوة او الكتاب، ان كان هناك سبيل لتجنب ذلك.

وفي الدقيقة الثانية من البرنامج ازادات الكراهية وبلغت حد الجنون وأخذ الناس يقفزون وهم في أماكنهم الى الأعلى وإلى الأسفل يصرخون بأعلى أصواتهم في محاولة لحجب الصوت الثغائي المثير الاتي من الشاشة. أما المرأة الضخيلة ذات الشعر الرملي فقد تغير لونها واصبح ورديا متاقفا - وكان فمها يفتح ويغلق كفم سمكة تم اصطيادها، وحتى وجه أوبرين المرهق اصبح متوردا. كان يجلس على كرسيه متمبما تماما ومدره القوى يعلو ويرتعش كأنه يقف في وجه موجة منقمة. اما الفتاة ذات الشعر الاسود الداكن الجالسة خلف ونستون، فقد اخذت تصرخ: خنزيرا خنزيرا خنزير وفجأة التقلت قاموسا ضخما للغة اوشانيا الرسمية وقذفته بقوة على الشاشة وارتد بعد ان

أصاب انف جولدستاين. واستمر الصوت بعناد وتصلب. وفي لحظة رائعة شفافة، اكتشف ونستون أنه كان يشارك الآخرين صراخهم، وأنه كان يضرب رافدة كرسيه بكعب حذاءه بعنف. ان الشيء الرهيب حول دقيقتي الكراهية هو أن المرء لم يكن مكرها على تمثيل دور، ولكن العكس تماما، فإنه يتعذر عليه عدم المشاركة فيه، وفي اقل من ثلاثين ثانية يصبح الظاهر غير ضروري وتتباب الناس كلهم نشوة بشعة من الخوف والحقد وحب الانتقام، ورغبة في القتل، وفي التعذيب، وفي تهشيم الوجوه بمطرقة ثقيلة، تناسب هذه النشوة بين جميع الناس المتجمعين كتيار كهربائي يحيل المرء ضد ارادته الى مجنون صارخ ذي قسمات ملقوة بفعل الازدراء والتكشير، وفوق ذلك فان الغضب الذي يشعر المرء به يصبح انفعالا مجردا وغير موجه بحيث يمكن تحويله من هدف لآخر مثل لهب المصباح، ومكنا، لم تحول كراهية ونستون في تلك اللحظة، ضد جولدستاين، بل على العكس، تحولت ضد الاخ الكبير والحزب، وبوليس الفكر، وفي مثل هذه اللحظات كان قلبه يتنقل مع الهرطوقي المنعزل، موضوع السخرية الذي على الناشئة، المفافع الوحيد عن الحقيقة وسلامة العقل وصحته في عالم من الاكاذيب. ومع ذلك فقد انسجم في نفس اللحظة التالية مع الناس المحيطين به وقد بدا له ان جميع ما قيل عن جولدستاين كان صحيحا. في مثل هذه اللحظات كان اشمئزاه السري من الاخ الكبير يتحول الى عبادة، بحيث يرتفع ويسمو ليصبح الحامي الشجاع الذي لا يقهر، صامد كالصخرة ضد حشورات آسيا، وينبذ جولدستاين على الرغم من عزائه وعجزه، والشك الذي يدور حول وجوده، مثل العزاف الشرير القادر على تحميل بنية الحضارة بقوة صوته فحسب.

وفي بعض اللحظات كان من الممكن تحويل كراهية المرء من ناحية لآخرى ارابيا. وفجأة وبمحاوله عنيفة كتلك التي ينتزع المرء بواسطتها رأسه من على الوسادة عندما يرى كابوسا في منامه، نجح ونستون في تحويل كراهيته من الوجه الذي على الناشئة الى الفتاة ذات الشعر الاسود الجاسمة خلفه، وانفج الى رأسه هذيان قوي، تمنى معه لو انه يجدها بهراوة مطاطية حتى الموت، لو يشدها عارية الى وتد ويمطرها بالسهام مثل القديس سباستيان، لو يفتصمها ويفصل عنقها عندما يصل الى قمة التهيج الجنسي، وعلاوة على ذلك،

فقد ادرك أكثر من أي وقت مضى لماذا يكرهها. كان يكرهها لأنها كانت شابة صغيرة، وجميلة وبنون غريزة جنسية، ولأنه كان يرغب في مضاجعتها ولن يتحقق له ذلك أبدا لأن المزاج القرمزي البغيض، رمز المطهارة، كان يحميها بخصرها اللين الجميل الذي يبدو وكأنه يدعوك لاحاطته بذراعتك.

وارتفعت الكراهية الى الذروة، وأصبح صوت جولد ستاين ثغاء نعجة بالفعل، وللحظة تحول الوجه الى وجه نعجة تلاشى تدريجيا وتحول الى شكل جنيني أوراسي ضخم الجسم رهيب تراءى للحضور كأنه يتقدم الى الامام ومعه رشيشتة الهائلة كأنها تنطلق من سطح الشاشة حتى أن بعض الجالسين في الصف الامامي تراجعوا الى الخلف في مقاعدهم بدافع من الخوف. ولكن في نفس اللحظة تلاشى الشكل المعادي، منتزعا تنهدا عميقا من الارتياح من الجميع، ليحل مكانه وجه الاخ الكبير بشعره وشاربيه السوداوين، تملؤه القوة والهدوء الغامض، وكان من الضخامة بحيث ملأ الشاشة كلها تقريبا. لم يسمع احد ماذا كان الاخ الكبير يقول، كانت بضع كلمات للتشجيع، من النوع الذي يقال عادة عند جلبة المعركة، غير مميزة عندما تقال كلمة التانيه وبرزت مكانه الثقة ليجرد أنها قيلت. ثم تلاشى وجه الاخ الكبير للمرة الثانية وبرزت مكانه شعارات الحزب الثلاثة في حروف كبيرة واضحة:

الحرب هو السلام

الحرية هي العبودية

الجهل هو القوة

ولكن وجه الاخ الكبير استمر ليضع ثوان على الشاشة وكان قوة تأثيره على عيون الجميع كانت أشد من ان تزول مباشرة. اما المرأة الضئيلة ذات الشعر الرملي فقد دفعت نفسها بقوة الى الامام فوق ظهر الكرسي الذي امامها، وقد مدت ذراعها نحو الشاشة وهي تتدمم بارتعاش ما بدا كأنه: يا مخلصي، ثم دفنت وجهها بيديها. كان واضحا انها كانت تملي.

وفي تلك اللحظة انطلق الجميع في انشودة ايقاعية موزونة عميقة بطبيعة من بابا! بابا! وأخذوا يكررونها بجمء شديد ووقفة ملوية بين الب الاول والثانية - صوت مدمم ثقيل وبطريقة ما ممجى بشكل غريب، وفي خلفيته كان المرء يسمع صوت وقع الاقدام الحافية وصوت توم - تومز المرتجف النابض الذي استمر لمدة ثلاثين ثانية. كانت لازمة طالما سمعت في لحظات الانفعال الغامر، وكانت الى حد ما نوعا من الترتيل لحكمة الاخ الكبير وعظمته، واكثر من ذلك كانت عملية تنويم مغناطيسي ذاتي، اغراق متعمد ومدروس للادراك بواسطة صوت متزن ومتناغم، تراءى لوستون ان احشائه قد اعترأها الوهن، لم يكن بوسعها ان يحول دون المشاركة في الانفعال العام اثناء دقيقتي الكراهية ولكن ترتيلة البأ - با يا غير الانسانية كانت دائما تملؤه بالرعب والاشمئزاز الشديد، مع انه من غير ريب غنّي مع الاخرين ان لا يمكنه ان يتصرف بطريقة اخرى لان رد الفعل الغريزي في مثل هذه المواقف ان يخفي المرء شعوره بقصد الخداع، وان يتحكم في تعابير وجهه، وان يفعل ما يفعله الاخرون. ولكن لمدة لم تتجاوز الثانيةين تخيل لوستون ان تعبير عينيه قد يفضحه، وفي تلك اللحظة بالذات حصل ذلك الشيء الهام - ان كان قد حصل حقا.

جذب انتباه اوبرين الذي وقف نازعا نظارته وكان يصد اعادتها ثانية فوق انفه بطريقة المميزة، عندما التقت عيناهما لجزء من الثانية كانت كافية لان يدرك ونستون انه واوبرين كانا يفكران بالشيء ذاته، وان رسالة لا يمكن اساءة فهمها، قد تبودلت بينهما، كأنما عقلاهما قد تفتحا وانسابت افكار كل منهما للاخر من خلال عيونهما. وقد تراءى لوستون كأن اوبرين يقول له: انني معك، واعرف تماما ماذا تشعر، اعرف كل شيء عن مشاعر الاحتقار، والكراهية، والاشمئزاز التي تعتمل في نفسك. ولكن لا تعلق فأنا بجانبك ، ثم تلاشت ومضة الادراك وعاد وجه اوبرين الى الغموض كبقية الوجوه الاخرى.

هذا هو كل ما في الامر وهو الان غير متأكد ان كان قد حصل ذلك بالفعل لانه ليس لمثل هذه الحوارات العرضية نتائج البتة، كل ما في الامر انها تبقى الشقة او الامل حيا في نفسه من أن هناك آخرين اعداء للحزب مثله. ربما كانت الاشاعات عن وجود مؤامرات سرية واسعة صحيحة - رغم كل شيء - وربما

كانت جماعة الأضياء موجودة في الواقع. انه لمن المستحيل - على الرغم من الاعتقالات التي لا نهاية لها والاعتراضات وأحكام الاعدام - التأكد من ان جماعة الأضياء كانت مجرد أسطورة. كان يؤمن بها احيانا ولا يفعل ذلك احيانا اخرى، لانه ليست هناك بيئة او دليل على وجودها، مجرد نظرات خاطفة يمكن ان تعني اي شيء او لا شيء؛ نتف من حديث يسمع مصارفة ، كتابات سريعة باهتة على جدران المراحيض - وحتى عندما كان يلتقي غريبان ذات يوم، ويتبادلان حركة يد صغيرة تبدو وكأنها اشارة مميزة. كان كله تخمينيا: ومن المحتمل انه قد تخيل كل شيء. كان قد عاد الى مهجعه دون ان ينظر الى اوبرين ثانية، اما فكرة اتصاليهما الخاطف، فنانرا ما خطرت له. سيكون ذلك خطرا بصورة لا تصدق حتى لو عرف كيف يبدأ به. لقد تبادلنا نظرة سريعة ملتبسة للحظة لو للحظتين، وكانت تلك القصة. ولكنها حادثة جديدة بأن يذكرها المرء في العزلة المغلقة المفروضة عليه. نهض ونستون وجلس بصورة اكثر استقامة، ثم تجشأ. كان الجن الذي احتساه يصعد من معدته الى اعلى.

تركزت عيناه على الصفحة للمرة الثانية واكتشف انه بينما كان يجلس بانسا ومستغرقا في التفكير، كان ايضا يكتب كأنما يفعل ذلك بصورة اوتوماتيكية. لم تعد كتابته غير مقروءة وغير متناسقة كما كانت سابقا، لقد انسابت ريشته فوق الورق الناعم المصقول بطريقة مبهجة للحواس وكتبت بشكل طباعي وبحروف كبيرة ومتقنة:

ليسقط الاخ الكبير

ليسقط الاخ الكبير

ليسقط الاخ الكبير

ليسقط الاخ الكبير

ليسقط الاخ الكبير

المرة تلو الاخرى حتى ملأ نصف صفحة.

لم يتحملك نفسه من الشعور بوحز حاد ومفاجيء من الهلع، كان ذلك مخيفا نظرا لان كتابة تلك الكلمات بالذات لم تكن أكثر خطورة من العمل الاول وهو البدء بكتابة يومياته: ولكنه ولفترة وجيزة انتابه اغراء لتمزيق الصفحات التالفة والتخلي عن المشروع كلية. ولكنه لم يفعل ذلك لانه أدرك

عدم جدواة، فكتابته - ليسقط الاخ الكبير - او عدم كتابتها سيان، وسواء استمر في يومياته او لم يستمر فسوف يناله بوليس الفكر فقد أقرتف - وسوف يكون قد أقرتف لو لم يضع قلما على ورق - الجريمة الاساسية التي تتضمن بحد ذاتها كل الجرائم. كانوا يطلقون عليها - الجريمة المبيته - والجريمة المبيته لم تكن بالشيء الذي يمكن اخفاؤه ابدا. بإمكان المرء المراوغة بنجاح لفترة، وحتى لسنوات، ولكنهم بالتأكيد سيملون اليه ان عاجلا او آجلا.

كانت الاعتقالات تتم اثناء الليل بصورة ثابتة، الهزّة المفاجئة التي توقظك من النوم، واليد الخشنة القاسية تحيط بالسرين. وفي معظم الحالات لم تكن هناك محاكمة، ولا تبليغ باقاء القبض. كان المرء يختفي ببساطة واثناء الليل دائما، ويمحي اسمه من السجلات كما يزال كل ما قام به، وينكر وجوده السابق ثم ينسى. كان يلغى ويباد من الوجود، والكلمة المعتادة لاناك كانت يتبخر.

اصيب ونستون بنوع من الهستيريا لفترة وجيزة، واخذ يكتب بطريقة سريعة ومن غير ترتيب: سيطلقون النار علي لا اهتم، سيطلقون النار على عنقي من الحظف لا اهتم ليسقط الاخ الكبير. انهم دائما يطلقون النار على خلف العنق لا اهتم ليسقط الاخ الكبير.....

استراح في كرسيه وهو خجل قليلا من نفسه، ووضع ريشته جانبا. وفي اللحظة التالية وثب من مكانه بعنف عندما سمع طرقا على الباب.

بهذه السرعة... جلس ساكنا كالفأر على أمل أن ينصرف الطارق كاننا من كان بعد المحاولة الاولى. ولكن بدون جدوى، فقد تكرر الطارق. سيكون التأخير في فتح الباب اسوأ من كل شيء. كان قلبه يضرب كالطبل، ولكن وجهه كان على الارجح خاليا من كل تعبير بحكم العادة المرطبة. نهض واتجه بتأقل نحو الباب.

عندما وضع ونستون يده على مقبض الباب ادرك انه قد ترك دفتر اليوميات مفتوحا على الطاولة وعبارة - ليسيطة الاخ الكبير - مكتوبة فوقه جميعه بحروف كبيرة لدرجة تجعلها مقروءة عبر الغرفة. كان تصرفا غيبيا بمورزة لا تصدق، ولكنه حتى اثناء هلعه، ادرك أنه لم يكن يرغب ان يلمخ الورق ذا اللون القشبي باغلاقه الدفتر ولما يجف الحبر بعد.

تنفس بعمق وفتح الباب، وللتو استولى عليه شعور عميق من الارتياح عندما رأى امرأة شاحبة يبدو عليها الخنوع، ذات شعر قشبي هش ووجه مغضن تقف في الخارج.

قالت بصوت شاك حزين (آه، أيها الرفيق، حسبت أنني سمعتك وأنت تدخل. هل تظن أن بإمكانك الحضور لتلقي نظرة على بالوعة مطبخنا؟ لقد سمّيت (..).

كانت السيدة بارسونز، زوجة أحد الجيران الذين يقطنون في نفس الطابق. كانت كلمة سيّدة مهمة الى حد ما ولا يشجع الحزب استعمالها، وكان المفروض أن يتنادى كل واحد بكلمة رفيق، غير أن المرء كان يستعملها بالفطرة مع بعض النساء. كانت في حوالي الثلاثين من العمر ولكنها بدت أكبر من ذلك بكثير، وكان الناظر اليها يفكر أن هناك غبارا في تجمعات وجهها. تبعها ونستون عبر الممر المفضي الى أقسام المبنى. كانت أعمال الإصلاح تتم من قبل هواة تعوزهم الخبرة والبراعة. ازعاجا يومية تقريبا، لأن أبنية النمر كانت شققا قديمة بنيت سنة ١٩٣٠ أو حوالي ذلك التاريخ، وكانت في حالة انهيار. كان الجص الذي على السقوف والجدران يتقشر باستمرار والاثانيب تنفجر كلما اشتد الصقيع، والسطح يرشح كلما سقطت الثلوج، وعندما لا تنقطع التدفئة كلية لاسباب اقتصادية، فان نظام التدفئة يعمل عادة بنصف القوة الدافعة، أما الاصلاحات، باستثناء تلك التي يستطيع المرء أن يقوم بها بنفسه، فيجب أن توافق على اجرائها لجان نائية من

المحتمل أن تؤخرها لمدة عامين حتى لو كان المطلوب اصلاح لوح زجاج احدى النوافذ.

قالت السيدة بارسونز بابهام: (طبعا لأن توم ليس في البيت).

كانت شقة البارسونز أكبر من شقة ونستون وكانت قدرة وحفيرة بصورة مختلفة، وكان كل ما فيها يبدو باليا كأن حيوانا شرسا قد زار المكان لتوه وداس على كل ما فيه. كانت عمى الهوكي، وقفزات الملاكمة، وكرة قدم منفجرة وبنطلون قمصيرة مقلوبة مبللة بالعرق، وامتعة ومون - وجميعها تعيق الالعاب - ملقاة على الارض، وعلى الطاولة ركام من الاطباق القذرة ودفاتر تمارين صفحتها مطوية الزوايا، وعلى الجدران كانت الرايات القرمزية اللون شعار عصبة الشيشية والجواسيس، وصورة كبيرة للاخ الكبير بنفس حجمه. وكانت رائحة المظوف المغلي المألوفة التي يشترك فيها البناء كله، تملأ المكان يتخللها رائحة كريمة وحادة من العرق، التي يعرف المرء من النشقة الاولى - مع انه من الصعب القول كيف يفعل ذلك - انها رائحة عرق شخص غير موجود في تلك اللحظة. وفي غرفة ثانية كان شخص يحاول محاكاة الموسيقى الحربية التي ما زالت تصدر عن شاشة التلفزيون بواسطة مشط وقطعة من ورق المرحاض.

قالت مسز بارسونز وهي تلقي نظرة نصف خائفة على الباب مرتقية شرا:
(انهم الاولاد، لم يخرجوا اليوم من البيت، وطبعا...) .

كان من عادتها ان تتوقف فجأة في منتصف الجمل التي تتفوه بها. كان حوض المطبخ مليئا حتى حافته تقريبا بماء قدز ضارب الى الخضرة تفوح منه رائحة المافوف اكثر من اي وقت مضى. ركع ونستون على الأرض وتفحص مفصل زاوية الانبوبة. كان يكره استعمال يديه والانحناء الى اسفل لان ذلك يعرضه للسعال. جعلت مسز بارسونز تراقب بعجز ثم قالت: (طبعا لو كان توم في البيت لقام باصلاح الحوض في لحظة. انه يجب هذا النوع من العمل فهو ماهر في استعمال يديه).

كان السيد بارسونز، زميل ونستون في وزارة العمق، رجلا بدينا الى حد ما ولكنه شيطا وأبله لدرجة مذهلة، كتلة من الحماسات البلهاء - واحد من الكادحين المحلّمين الذين لا يرتابون او يعترضون ابدا - والذين يعتمد عليهم استقرار الحزب وروسخه اكثر من بوليس الفكر. وكان قد ملرد على غير رغبة منه من عمصة الشيبية وهو في الخامسة والثلاثين. وقبل ان يتخرج من العمصة كان قد تدبر امر بقاءه في الجوايسيس لسنة بعد السن القانونية. واستخدم في الوزارة لوظيفة ثانوية لا تتطلب ذكاء، ولكنه، من ناحية اخرى، كان شخصية قيادية في لجنة الالعاب الرياضية وفي جميع اللجان الاخرى التي تتعهد بتنظيم النزاهات الطويلة المشتركة التي يقوم بها الجمهور سيرا على الاقدام، والمظاهرات التلقائية، وحملات التوفير والنشاطات الطوعية عموما. وكان من عادته ان يخبرك بكبرياء هادئة ومن خلال نغحات غليونه انه يذهب للمركز الاجتماعي مساء كل يوم للسنوات الاربع الاخيرة. وكانت تلاحقه اينما ذهب - حتى انها كانت تبقى خلفه بعد ان يكون قد ترك - راحة عرق قوية جدا، شاهد غير مقصود على عنف حياته وقسوتها.

سأل ونستون وهو يعبث بالمصولة التي على وصلة الزاوية: (هل عندك مفتاح ربط؟)

اجابت السيدة بارسونز وقد ضعفت على الفور: (مفتاح ربط، لا ادري؟ انني متأكدة. لعل الاولان) .

سمع وطء اقدام وصوت تاقت ثان على المشط عندما اندفع الاولان الى غرفة المعيشة. واحضرت السيدة بارسونز مفتاح الربط واخرج ونستون الماء وباشمئزاز ازال كتلة الشعر التي كانت قد سدّت الانبوبة. ونظف اصابعه قدر المستطاع بماء الحنفية البارد وما ان عاد الى الغرفة الاخرى حتى صاح صوت متوحش: (ارفع يدك) .

ظهر من خلف الطاولة غلام وسيم قوي المظهر في التاسعة من العمر واخذ يهدده بمسدس اوتوماتيكي ممنوع للعب، في حين قامت شقيقته الصغرى، التي كانت اصغر منه بحوالي الستين بنفس الحركة بقطعة من الخشب. كان

كلاهما يرتدي البزة النظامية للجواسيس والمؤلفة من بنطال قصير ازرق وقميص رمادي ومئبيل احمر للعنق. رفع ونستون يديه فوق رأسه ولكن بشعور من عدم الارتياح لان تصرف الغلام كان من الضراوة بحيث أنه لم يكن في مجموعة مزحه.

صاح الغلام قائلا: (انت خائن! انت محرم بالنية! انت جاسوس أوراسيا! سأفكك رميا بالرصاص، سأحوكك الى بخار، سأرسلك الى مناجم الملح!)

وفجأة كان الصغيران يقفزان من حوله وهما يصرخان: (خائنا! وعندك النزعة الى الاجرام!) وكانت البنت الصغيرة تقلد شقيقها في كل حركة. كان ذلك مخيفا بطريقة ما، مثل صغار النمره التي ستكبر سريعا لتصبح أكلة لحوم البشر. كان في عيني الغلام، نوع من الضراوة الماكرة الحذرة، رغبة واضحة جلية تماما لضرب ونستون أو ركله مع الادراك انه كبير لدرجة تمكنه من القيام بذلك تقريبا. وفكر ونستون أن المسألة انتهت على خير لأن المسوس الذي حمله الغلام لم يكن حقيقيا.

اخذت عينا السيدة بارسونز تنتقل بسرعة وعصبية من ونستون الى الالاول وبالعكس. وحيث ان الضوء في غرفة الجلس كان افضل، لاحظ ونستون باهتمام ان غبارا كان بالفعل في تجعدات وجهها.

قالت السيدة بارسونز: (انهما يحدثان ضجة شديدة بالتأكيد. لقد اصيبا بخيبة أمل لانهما لم يستطيعا الذهاب لمشاهدة عملية الشق، وهذا هو السبب في تصرفهما. انني مشغولة لا استطيع مصاحبتهما، ولن يعود توم من العمل في الوقت المناسب).

(لماذا لا نستطيع الذهاب لمشاهدة عملية الشق؟) زار الغلام بصوته الضخم.

(تريد ان ترى الشق! تريد ان ترى الشق!) رثمت البنت الصغيرة وهي تثب بمرح حول الغرفة.

تذكر ونستون أن من المفروض ان يعلق في الحديقة العامة مساء ذلك اليوم بعض المساجين الاوراسيين المتهمين بجرائم حربية، الشيء الذي يحصل مرة في الشهر تقريبا. كان مشهدا شعبيا محبوبا، يطالب الاطفال ان يؤخذوا لرؤيته دائما. استأنن ونستون السيدة بارسونز بالانصراف واندفع الى الباب، ولكنه لم يكد يسير ست خطوات في الامر حتى اصاب شيء ما عتقه من الخلف، ضربة مؤلمة سببت له ألما مبرحا، كأن سلكا ملتها طعنه. استدار في الوقت المناسب ليرى السيدة بارسونز تسحب ولهما الى داخل الدار بينما وضع الولد المرجم* في جيبه.

(جولدستاين!) قال الولد بصوت عال عميق عندما اغلق الباب خلفه. ولكن نظرة الخوف البائسة التي ظهرت على وجه المرأة الضارب الى اللون الرمادي كانت اشد ما استوقف ونستون واخافه.

وعندما عاد الى شقته سار بسرعة في محاذاة الشاةة وجلس ثانية عند الطاولة وهو لا يزال يفرك عنقه. كانت الموسيقى التي تبتها الشاةة قد توقفت وحل محلها صوت عسكري سريع وعنيف يقدم بنوع من الاستمتاع الوحشي وصفاء للقوات الحربية وأسلحتها التابعة للحصن العائم الجديد الذي كان قد رسي بين آيسلندة وجزر الفارو منذ لحظات.

وفكر ونستون: "لا بد ان تلك المرأة البائسة تحيا حياة رعب مع هؤلاء الاطفال. وبعد ستة او سنتين من الان سوف يقومون بمراقبتها ايل نهار من أجل معتقدات غير قويمه. كان معظم اولاد هذه الايام رهيبين الى اقصى حد، واسوأ ما في الأمر أنهم وبطريقة منظمة كانوا يتحولون الى وحوش صغيرة لا يمكن السيطرة عليها بواسطة تنظيمات مثل الجواسيس، ولكن ذلك لم يحدث لديهم اية نزعة للتمرد على نظام الحزب وكل ما يتعلق به، فالاغاني والمسيرات والريات والسير على الاقدام لمسافات طويلة، والتدريب العسكري بواسطة بناتق وهمية زائفة، والهتاف للشعارات وتأييه الاخ الكبير كل ذلك كان بالنسبة

* اداة يقذف بها الاطفال الحمى والحجارة.

لهم عبارة عن لعبة مجيدة رائعة. تحولت فتراتهم كلها الى الخارج، ضد اصحاء الدولة، ضد الاجانب والحائنين، والمخربين، والنزاعين الى الجريمة. وكان من الطبيعي ان يخاف الذين تجاوزوا الثلاثين من العمر من اولادهم، وعندهم المبرر لذلك، ان لا يكاد يمضي اسبوع دون أن تنشر خلاله الاوقات فقرة تصف فيها كيف كان متصل صغير - مفل بمل - وهو الاصملاخ المستعمل عادة، يسترق السمع عندما سمع مصافحة ملاحظة تعترض صاحبها للشبهات، بلغ على اثرها عن والديه لبوليس الفكر.

كان الوخز الذي سببته الكرة الصغيرة التي اطلقها المرجام قد خف، فتناول ونستون ريشته بتناقل متسائلا ان كان باستطاعته ان يجد شيئا آخر يسجله في دفتر يومياته. وفجأة اخذ يفكر بأوبرين للمرة الثانية.

منذ سنوات - ما عددها؟ يجب أن يكون سبعا - رأى في المنام أنه كان يسير في غرفة شديدة الظلام حين قال له شخص كان يجلس على احد جانبيه عندما مر به أثناء سيره: (سنتقي في المكان الذي لا ظلام فيه). قالها بهدوء بالغ وبصورة عرضية تقريبا - كانت تمرحيا وليس امرا، وقد واصل السير دون أن يتوقف، والغريب في الامر أن الكلمات لم تترك في نفسه انطبعا قويا في الحلم، ولكنها تدريجيا اخذت تكتسب اهمية ومغزى فيما بعد. لم يكن يوسعه ان يتذكر ما انا كان قد رأى اوبرين لأول مرة قبل الحلم او بعده. ولا متى حدث صوت الشخص الذي كلمه في المنام على انه صوت اوبرين. ولكن على اية حاله كان التماثل موجودا، لقد كان اوبرين هو الذي كلمه في الظلام.

لم يكن بوسع ونستون ان يتأكد، حتى بعد الوميض الذي بدا في العينين هذا الصباح، ما اذا كان اوبرين صديقا او عدوا؟ كان هناك رباط من التفاهم بينهما اكثر اهمية من العاطفة او الموالاة. (سنتقي في المكان الذي لا ظلام فيه)، قال اوبرين ولم يعرف ونستون معنى ذلك ولكنه سيتحقق بطريقة او بأخرى.

ترقف الصوت الاتي من الشاشة، وانساب الى الجو الراكد صوت بوق واضح جميل. استمر بصورة مزعجة ومثيرة للاعصاب:

(انتباه، ارجو انتباهكم! وصلنا للتو بلاغ من جبهة مالبار يقول ان قواننا في جنوب الهند احترت انتصارا مجيدا، وانني مفروض أن أوقول ان المعركة التي نعلن عنها الان ربما تقرب الحرب من نهايتها الى حد بعيد وضمن فترة قابلة للقياس، واليكم النشرة....)

توقع ونستون أخبارا سيئة، ومن غير ريب فقد تلا الوصف المثير الدموي لابادة جيش اوراسي مسحوب بأرقام مذهمة لعدم القتل والاسرى، اعلان يقول ان حصمة الشوكولاته ستخفض من ثلاثين الى عشرين غراما اعتبارا من الاسبوع القادم.

تجسأ ونستون ثانية، واخذ تأثير الجن يزول تدريجيا مخلفا وراءه شعور بالانكماش. واندفع التلفزيون محدثا ضجة عالية في نشيد من اجلك او شانيا، ربما فعل ذلك للاحتفال بالنصر، ربما ليطلقى على ذكرى الشوكولاته الضائعة. كان المفروض ان يقف المرء منتعبا عند سماعه النشيد، ولكن ونستون كان محجوبا في موقعه الحالي.

تلا نشيد من اجلك او شانيا موسيقى اخف من موسيقى النشيد. سار ونستون نحو النافذة وظهرت للشاشة. كان النهار ما يزال باردا وصافيا. وفي مكان ما غير قريب انفجرت قنبلة صاروخية - من النوع الذي كان يسقط منه اسيرعا على مدينة لندن حوالي عشرين او ثلاثين - محدثة نوبيا وصدى باثنين.

وفي الشارع كانت الريح تصفق الاعلان الممزق في غدوها ورواحها، وكانت الكلمة التي تعني الاشتراكية الانجليزية تظهر وتختفي بصورة متقطعة تبعا لذلك الاشتراكية الانجليزية. والمبادئ والمعتقدات المقدسة لهذه الاشتراكية، ولغة او شانيا الرسمية، والايمان بفكرتين متناقضتين في وقت واحد، والاستقرارية الماضي. شعر ونستون وكأنه يتجول هالما في غابات قاع البحر، ضائعا في عالم رهيب شديد البشاعة هو وحده المسخ الشان فيه. كان وحييا، وكان الماضي قد مات والمستقبل لا يمكن تصوره. ما الدليل الذي يؤكد له ان انسانا واحدا حيا يؤيده؟ وما الوسيلة لمعرفة ما اذا كانت سيادة الحزب ستبقى الى الابد؟ وتذكر الشعارات الثلاثة الموجودة على الواجهة البيضاء لوزارة الصمق وكأنها تجيب على هذه التساؤلات:

الحرب هو السلام

الحرية هي العبودية

الجهل هو القوة

اخرج من جيبه قطعة من النقود مقدارها خمسة وعشرون سنتا منقوش عليها ايضا نفس الشعارات بحروف صغيرة واضحة، وعلى الجانب الاخر منها نقش رأس الاخ الكبير الذي كانت عيناه تلاحقك حتى من قطعة النقود. ففي كل مكان - على قطع النقود، على طوابع البريد، على غلافات الكتب، على الرقيات والملمقات وعلى صناديق السجائر - تراقبك العينان ويغلفك الصوت بصورة مستمرة، سواء كنت نائما او مستيقظا، عاملا او اكلا، في الداخل او في الخارج، في الحمام او في السرير - لا مهرب. لا شيء ملك سوى المستمترات المكعبة القليلة داخل مجموعتك.

كانت الشمس قد تحولت وذاك بدت النوافذ التي لا تعد ولا تحصى لوزارة الصدق كالحة متجهمة مثل فتحات الرمي في قلعة لان الضوء لم يعد يتألق عليها. خاف قلبه امام البناء الهرمي الضخم. كان من القوة بحيث لا يمكن اقتحامه كما لا تستطيع آلاف القنابل الصاروخية ان تدكه. تسأل ثانية لمن كان يكتب مذكراته اليومية، هل كان يكتبها للمستقبل، للماضي - لعصر ربما يكون خياليا. وامامه تكمن الابادة لا الموت. فسوف تحول اليرميات الى رمانه وهو نفسه سيتحول الى بخار، وسوف يقرأ بوليس الفكر فقط ما كان قد كتبه قبل ان يزيلوه من الوجود ويطمسوه من الذاكرة. كيف يستطيع المرء ان يناشد المستقبل وهو يعرف أنه لن يتحرك اثرا وراهه وأن كلمة من مجهول كتبت بسرعة ومن غير عنايه على قطعة من الورق لا يمكن ان تبقى؟

اعلنت اشارة الوقت من الشاشة الاربعة عشرة. وكان عليه ان يغادر خلال عشر دقائق، لان عليه ان يعود للعمل في الساعة الاربعة عشرة والنصف.

والغريب في الامر ان دقائق الساعة حسب ما تراءى له امدته بشجاعة جديدة. كان شبحا وجيدا يعبر عن حقيقة سوف لا يسمعها احد البتة. ولكن طالما انه قالها فان الاستمرارية ستدوم بطريقة مبهمة، فالمرء لا يواهل الترات الانساني يجعل نفسه مسموعا، ولكن يواضله عن طريق بقاءه سليم العقل. عاد الى المخذلة وغمس ريشته بالحبر وكتب:

(الى المستقبل او الى الماضي، الى زمن يكون الفكر فيه حرا، يختلف الناس فيه من شخص لآخر ولا يعيشون مفردين - الى عمر يكون فيه صدق

والشيء الذي يعمل لا يمكن نقضه: من عصر الاتساق، من عصر العزلة، من عصر الاخ الكبير، من عصر الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد - تحيات!)

كان ميتا في ذلك الحين، فكر مليا، وترأى له انه قد اتخذ الخطوة الحاسمة بعد ان اصبح قادرا على صياغة افكاره. ان عواقب كل عمل تكمن في العمل ذاته. كتب:

(ان الجريمة المبيتة لا تستلزم الموت، ان الجريمة المبيتة هي الموت).

والآن وقد ادرك انه رجل ميت اصبح من المهم ان يبقى حيا لاطول وقت ممكن. تلمخ اصبعان من اصابع يده اليمنى بالحبر، وكان هذا النوع من التغاميل هو الذي يمكن ان يفشي سره، اذ ربما يبدأ احد المتعممين الفخوليين في الوزارة (على الارجح امرأة: واحدة مثل المرأة الضخيلة ذات الشعر الرملي، او الفتاة ذات الشعر الاسود من دائرة الادب القصصي) يتساءل لماذا كان يكتب خلال فترة الغناء - ولماذا استخدم ريشة قديمة الطراز، وماذا كان يكتبه. وبعد ذلك يشير الى ذلك في المكان المناسب بطريقة عرضية. ذهب الى الحمام وبعناية أزال الحبر بالصابون الرملي ذي اللون البني الغامق الذي يبشر جلد الانسان مثل ورق السنفرة، وكان معدا لهذا الغرض بمصورة جيدة.

خبيا دفن اليوميات في الدرج. كان التفكير في تخفيته عديم الجدوى حقا، ولكن باستماتته على الاقل أن يتأكد ما ان كان وجوده قد اكتشف ام لا. ان وضع شعره على طرف الصفحة عمل واضح جدا، لذلك التقط عن الارض بطرف اصبعه ذرة من الغبار الضارب الى البياض والتي يمكن تعيينها ووضعها على زاوية الغلاف بحيث يكون سقوطها موكدا في حالة تحريك المفتتر من مكانه.

الرجل العجوز يحبه - ربما حفيذة صغيرة - كان قد قتل. وظل الرجل يكرر كل بضع دقائق : ((ما كان يجب ان نثق بهم. قلت ذلك يا امي - اليس كذلك؟ هذه نتيجة الوثوق بهم. قلت ذلك منذ البداية. ما كان يجب ان نثق بالتافهين)).

ولكن من هم التافهون الذين ما كان يجب الوثوق بهم، لم يستطع ونستون ان يتذكر الان.

منذ ذلك الوقت تقريبا والحرب مستمرة مع انها، وبامانة تامة، لم تكن دائما نفس الحرب. ففي عهد طفولته كان في لندن نفسها حرب شوارع لعدة شهور احدثت فوضى واضطراب، تذكر بعضها بوضوح وقوة. ولكن من المستحيل ان يتتبع المرء تاريخ الحقبة جميعها، او ان يقرر من كان يحارب من في اي وقت محدد لعدم ذكر أي تحالف غير التحالف القائم حاليا سواء في سجل مكتوب أو عن طريق كلمة شفوية في أي وقت مضى. ففي هذه اللحظة على سبيل المثال، في سنة ١٩٨٤ (ان كانت تلك السنة ١٩٨٤) كانت أوشانيا في حالة حرب مع أوراسيا وحليفة لأستاسيا. لم يعترف أبدا لا سرا ولا علانية ان القوى الثلاث كانت قد صنفت في أي وقت تصنيفا مختلفا. في الحقيقة، كما يذكر ونستون تماما، فان أوشانيا كانت منذ أربع سنوات فقط في حالة حرب مع أستاسيا وحليفة لأوراسيا. ولكن كانت تلك معرفة مختلصة ليس غير، عرفها بالمصادفة لأن ذاكرته لم تكن تحت السيطرة على نحو مرض. أما من الناحية الرسمية فان تغيير الحلفاء لم يحدث أبدا. أوشانيا كانت في حالة حرب مع أوراسيا: لذلك فأوشانيا كانت دائما في حالة حرب مع أوراسيا، كان عدو الساعة يمثل دائما الشر المطلق الثابت، وبالتالي فان أي اتفاق معه سواء في الماضي او في المستقبل كان مستحيلا.

وبينما كان ونستون يدفع كتفيه بألم الى الوراء (كانوا يلفون أجسامهم من الوسط وهم يضعون أيديهم على أوراكهم، وكان من المفروض أن يكون هذا التمرين مفيدا لعضلات الظهر) فكّر لعشرة آلاف مرة أن الشيء المخيف هو أن جميع ذلك قد يكون حقيقة. فان كان بمقدور الحزب أن يمد يده الى الماضي وان يقول ان هذه الحادثة أو تلك لم تحصل أبدا - فان ذلك بالتأكيد أكثر رهبة من مجرد التعذيب والموت.

قال الحزب أن أوשאينا لم تكن أبدا متحالفة مع أوراسيا قبل وقت قصير مدته أربع سنونات. ولكن أين كانت هذه المعروفة؟ في وعيه فقط والذي يجب أن يلغى ويباد قريبا على أية حال، وإذا ما صئق الاخرون كلهم الكذبة التي يفرضا الحزب عليهم بالخداع والحيلة، وان أكدت جميع السجلات الكذبة ذاتها - عندما تدخل الكذبة التاريخ وتمصبح حقيقة، وشعار الحزب يقول: (ان من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل، ومن يسيطر على الحاضر على الماضي). وعلى الرغم من ذلك فالماضي لم يتغير أبدا، مع أنه قابل للتغيير بطبيعته، فكل ما هو صحيح الآن، كان صحيحا دائما. ان الأمر في غاية البساطة، وكل ما يحتاجه المرء كان سلسلة لا تنتهي من الانتصارات على ذاكرته. كانوا يسمون ذلك (السيطرة على الحقيقة) أما في اللغة الرسمية الجديدة فكانوا يسمونه (الايان بفكرتين متناقضتين في أن واحد).

(قفوا يارتخاء!) أعلنت المدرسة بصوت عال شبيه بالنباح وبلطف أكثر قليلا. خفض ونستون نراعيه الى جنبيه، وبيطاء ملا رثتيه بالهواء ثانية. وتحول الى عالم الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد المعقد. أن يعلم ولا يعلم، أن يدرك الحقيقة كاملة بينما يقول كذبات صيغت بعناية، ان يؤمن باعتقائين يلغى أحدهما الآخر في وقت واحد وهو يعلم أنهما متناقضان وأن يثق بكليهما وان يستخدم المنطق ضد المنطق وأن يتبرأ من الفضيلة والمبادئ الأخلاقية بينما يدعي لنفسه حق المطالبة بهما، وأن يعتقد أن الديمقراطية مستحيلة، وان الحزب هو حامي الديمقراطية، ان ينسى كل ما هو ضروري للنسيان وان يعيده الى النذاكرة في اللحظة التي يحتاجه فيها، ثم ينساه ثانية فورا ومن غير ابطاء، وفوق ذلك كله أن يخلق نفس العملية على العملية ذاتها. كان ذلك نزوة المهارة والمكر، أن يخلق اللاوعي وهو واع، ثم يصبح ثانية غير مدرك لعملية التزوير المغناطيسي التي كان قد أنجزها لتوه. وحتى يفهم كلمة الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد فإن ذلك يستلزم الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد.

كانت المدرسة قد طلبت منهم الانتباه ثانية ثم قالت بحماس: (والآن لئرى من منّا يستطيع أن يلمس أصابع قدميه! من الاوراق مباشرة. أرجوكم أيها الرفاق. واحد - اثنان! واحد - اثنان!...)

كان ونستون يعاف هذا التمرين لأنه كان يسبب له وخزات ألم من أخمص قدميه الى ردفه، وغالبا ما كان يحدث نوبة سعال ثانية في النهاية. اخفى الشعور السار نوعا ما من تأملاته، وفهم بوضوح أن الماضي لم يكن قد تغير فحسب، بل انه قد قضي عليه بالفعل، ان كيف يستطيع المرء أن يرسخ أكثر الحقائق وضوحا اذا لم يكن هناك سجل سوى ذاكرته؟ حاول أن يتذكر في أية سنة كان قد سمع ذكر الأبخ الكبير لأول مرة. اعتقد أنه لابد أن يكون ذلك قد حصل في وقت ما في الستينات، ولكن من المستحيل أن يتأكد. برز الأبخ الكبير في تاريخ الحزب بوصفه القائد والحامي للثورة منذ عهدها الأول. وقد دفعت مآثره وبطولاته تدريجيا الى الوراثة من حيث الزمن حتى أنها امتدت الى العالم الخرافي للأربعينات والثلاثينات، عندما كان الرأسماليون يرتدون قبعاتهم الأسطورية الغربية وينطلقون في شوارع لندن في سيارات فضفاضة لامعة أو في عربات ذات جوانب زجاجية تجرّها الخيول. لم يكن هناك طريقة لمعرفة مدى ما في هذه الأسطورة من حقيقة ومدى ما فيها من اختلاق وتلفيق. لم يستطيع ونستون أن يتذكر تاريخ ظهور الحزب الى الوجود، ولم يعتقد أنه قد سمع بالاشتراكية البريطانية قبل سنة ١٩٦٠ أبدا، ولكن من الممكن أنها كانت شائعة في اللغة الانجليزية القديمة قبل ذلك التاريخ. كل شيء تلاشى الى ضباب. صحيح أن المرء يستطيع أحيانا أن يضع اصبعه على كذبة محددة، فمثلا لم يكن صحيحا أن الحزب قد اخترع الملائكات حسب ادعائه في كتب تاريخه لأنه كان يتذكر الملائكات منذ طفولته المبكرة جدا، ولكن ليس بوسع المرء أن يبرهن أي شيء ان ليس هناك أي دليل أو بيينة أبدا. كان لديه دليل وثائقي ملموس عن تزييف حقيقة تاريخية لمرة واحدة فقط طيلة حياته وفي تلك المناسبة...

وهنا صاح صوت سليل من التلفزيون (سميث! ٦٠٧٩ سميث و ..! نعم أنت! إنحن أكثر، أروك! بوسعك أن تقوم بعمل أفضل من ذلك. انك لا تحاول. أكثر انحناء من فضلك! ذلك أحسن أيها الرفيق. والآن لتقف جميع الفرقة باسترخاء وراقبوني).

تفضد عرق ساخن ومفاجيء من جسم ونستون جميعه، وظل وجهه غامضا تماما. اياك أن تظهر فزعاه! اياك أن تظهر امتعاضا أبدا! فومضة واحدة للعينين يمكن أن تفضحك. وقف يراقب بينما كانت المعاملة ترفع ذراعيها فوق رأسها-

لم يكن بوسع المرء أن يقول أنها فعلت ذلك برشاقة ولكنها انحنفت ببراعة استثنائية رائعة وبفعالية دست المفصل الأول لأصابع يديها تحت أصابع قدميها.

(بهذه الطريقة أريد أن اراكم تقومون به أيها الرفاق. راقبوني ثانية. انني في التاسعة والثلاثين من العمر وعندي أربعة أطفال. والآن انظروا) وانحنت ثانية وهي تقول: (أنتم ترون أن ركبتي غير محنيتين، باستطاعتكم جميعا عمل ذلك إن أردتم). وأصافت وهي تعتدل: (إن أي واحد دون الخامسة والأربعين قادر تماما على أن يلمس أصابع قدميه. نحن لا نملك شرف المحاربة في الخطوط الأمامية، ولكننا نستطيع المحافضة على لياقتنا البدنية. تذكروا أولادنا في جبهة الملايكا؟ وتذكروا البحارة في القلاع العائمة؟ تذكروا فقط ماذا عليهم أن يتحملوا. والآن جربوا مرة ثانية. هذا أحسن، أيها الرفيق، هذا أفضل بكثير). أصافت مشجعة عندما نجح ونستون بوسامة اندفاعه عنيفة الى الامام، في لمس أصابع قدميه دون أن يحني ركبتيه لأول مرة خلال بضع سنين.

ع

وبتجنيد عميقة لا شعورية لم يمنعه قربه من التلفزيون أن يطلقها كلما بدأ عمله اليومي، سحب ونستون جهاز التخاطب والكتابة نحوه، ونفخ الفيار عن فتحة ورضع نظارته، ثم بسط وثبت بمشك أربع أسطوانات صغيرة من الورق كانت قد أقيت فجأة وبغف من الأنبوب الهوائي الموضوع على الجانب الأيمن من مكتبه.

كانت هناك ثلاث فتحات في جدران المكتبة: أنبوب صغير هوائي للرسائل المكتوبة على يمين جهاز التخاطب والكتابة، وفي الجانب الأيسر كانت فتحة أكبر للمحف، كما كانت فتحة كبيرة مستطيلة الشكل، حولها سياج من الأسلاك المعدنية وضع لحمايتها، في الجدار الجانبى في متناول يد ونستون للتخلص من الأوراق التالفة. كانت مثل هذه الفتحات المستطيلة متوفرة بالآلاف أو بعشرات الآلاف في كل مكان من المبني، ليس في كل غرفة فحسب،

ولكن على مسافات قصيرة في كل ممر ولسبب ما كانت تسمى جحور الذاكرة. وعندما كان المرء يعرف أنه يجب اتلاف أية وثيقة، أو حتى عندما كان يرى قصاصة من الاوراق التالفة ملقاة هنا او هناك، كان يرفع غطاء أقرب جحر للذاكرة اوتوماتيكيا ويسقطها بداخله حيث تنقل بحركة دائرية بوساطة تيار هوائي دافئ لافران ضخمة مخبأة في أماكن داخلية منعزلة من المبنى. تفحص ونستون قصاصات الورق الاربعة التي بسطها أمامه، كانت كل واحدة منها تحتوي على رسالة من سطر أو سطرين فقط من اللغة المختزلة غير المفهومة والتي لم تكن في الواقع اللغة الرسمية الجديدة لأوشانيا ولكنها كانت تتألف غالبا من مفردات تلك اللغة التي كانت تستعمل في الوزارة لاغراض داخلية، وكانت تجري على النحو التالي:-

٠١ الاوقات: ١٧ ٢ ٨٤ ب ب اعد الحديث عن افريقيا على نحو سيء. عدل.
٠٢ الاوقات: ١٩ ١٢ ٨٢ في تنبؤات الانتاج ٣ ب عن الفصل الرابع لسنة ٨٢، أخطاء مطبعية. تأكد من العدد الاخير.

٠٣ الاوقات: ١٤ ٢ ٨٤ وزارة الوفرة، المعلومات حول الشيكولاته غير دقيقة. صحح.

٠٤ الاوقات: ٣ ١٢ ٨٣ تقرير ب ب الطلب اليومي سيء للغاية يشير الى أشخاص غير موجودين أعد كتابته مفصلا وأعرضه على سلطة أعلى قبل وضعه في الملف.

وبشعور قليل من الرضى وضع ونستون الرسالة الرابعة جانبا لأنها كانت تتطلب عملا معقدا وذا مسؤولية ومن الافضل معالجتها في النهاية. أما الرسائل الثلاث الاخرى فقد كانت قضايا روتينية، مع أن الثانية قد تعني بعض الخوض الممل في قوائم من الارقام.

أدار ونستون أرقاما قديمة على الشاشة وطلب الاعداد الملائمة من الاوقات التي انزلت من الانبوب الهوائي بعد دقائق قليلة من التأخير. أشارت الرسائل التي كان قد تسلمها الى مقالات او انباء صحفية اعتقد ان من الضروري تنقيحها، فمثلا اتضح من العدد الصادر في السابع عشر من آذار من الاوقات أن الاخ الكبير كان قد تنبأ في حديثه لليوم السابق أن الهدوء سيسود الجبهة الهندية الجنوبية، غير أن هجوما أوراسيا سوف يشن على شمال افريقيا في وقت قريب، واتفق أن القيادة العليا لاوراسيا قد شنت هجوما على جنوب الهند وتركت شمالي افريقيا وشأنه، لذلك فان من الضروري اعادة كتابة فقرة من

حديث الاخ الكبير بطريقة تجعله يتنبأ بالشيء، كما وقع فعلا. كما كانت الاوقات قد نشرت في عددها الصادر في التاسع عشر من كانون الاول التنبؤات الرسمية لنتائج أمتاف مختلفة من البضائع الاستهلاكية في الربع الاخير من ١٩٨٢، وهو أيضا الربع السادس من الخطة الثلاثية التاسعة، وقد تضمن عدد اليوم بيانا حول الانتاج الحقيقي أفاد أن التنبؤات كانت خاطئة بشكل واضح في كل مرحلة، وكان على ونستون تصحيح الارقام الاصلية لتصبح مطابقة للارقام الاخيرة. أما بالنسبة للرسالة الثالثة فقد أشارت الى غلطة بسيمة جدا يمكن تصحيحها في دقيقتين ، فقد أصدرت وزارة الوفرة منذ وقت قصير في شهر شباط وعدا كانت الكلمات الرسمية المستعملة فيه "تعهد مطلق" بأن مخصصات الشيكولاته سوف لا تخفض خلال عام ١٩٨٤، ولكن الحقيقة كما عرفها ونستون كانت تشير الى أن هذه المخصصات ستخفض من ثلاثين الى عشرين جرما في نهاية الاسبوع الحالي. كان كل ما هو مطلوب استبدال الوعد الاصلي باشعار ينص على أنه ربما يصبح تخفيض الحصص في وقت ما في نيسان ضروريا.

كان ونستون حالما ينتهي من أية رسالة، يشبك تعديلاته الشفوية المكتوبة الى العدد المناسب من الاوقات ويضعه الى الانبوب الهوائي، ثم يجعد الرسالة الاصلية وأية ملاحظات كان قد قام بها بنفسه بحركة لا ارادية ويلقيها الى فتحة النافذة لتلتهمها النيران.

لم يكن ونستون يعرف بالتفصيل ماذا كان يحدث في شبكة الممرات المعقدة غير المرئية التي توذي اليها الانابيب الهوائية، ولكنه كان يعرف بوجه عام، فحالما كانت تجمع وتفحص جميع التعديلات التي كان يرى أنها ضرورية في أي عدد خاص من الاوقات، كانت تعاد طباعة ذلك العدد، وتتلف النسخة الاصلية وتوضع النسخة المعدلة مكانها في الملفات. لم تقتصر عملية التغيير المستمرة هذه على الجرائد فقط، ولكنها كانت تنطبق على الكتب، والدوريات، والكراسات، والاعلانات والملصقات، والورقيات، والافلام، والمدرجات الصوتية* والرسوم الكاريكاتورية والصور وكل أنواع الالب والبيانات الموثقة

*الاجزاء من الافلام السينمائية الحاملة للتسجيل الصوتي

والتي كان يعتقد أنها قد تحمل مغزى سياسيا أو أيولوجيا. كان الماضي يواكب العصر يوما فيوما بل دقيقة ف دقيقة تقريبا، وبهذه الطريقة كان من الممكن تأكيد صحة تنبؤات الحزب جميعها بالادلة والبراهين الموثقة. كما كان لا يسمح لأي خبر أو تعبير عن رأي يتناقض مع متطلبات الساعة أن يبقى في السجل. كان جميع التاريخ لوحا يمسح حتى يصبح نظيفا ويكتب عليه ثانية كلما دعت الحاجة الى ذلك. وعندما كان يقع أي تزيف أو تحريف في حادثة ما، يصبح من المستحيل اثبات ذلك بحال من الاحوال. كان اكبر قسم في دائرة السجلات - والذي كان أكبر بكثير من القسم الذي يعمل فيه ونستون - يضم فقط أشخاصا مهمتهم اقتفاء وجمع نسخ الكتب، والجرائد والوثائق الأخرى التي ابطلت وتستحق الابدان. وما يزال في الملفات اعداد من الاوقات يحتمل أن تكون قد اعيدت كتابتها مرات عديدة بسبب تغييرات حصلت بالنسبة للانحياز السياسي، أو تنبؤات خاطئة صدرت عن الاخ الكبير تحمل تاريخ صدورهما الاصلي دون ان تتوفر أية نسخة ثانية لتناقضها. كما كانت الكتب تستعاد وتعاد كتابتها المرة تلو المرة ثم يعاد اصدارها بصورة ثانية من غير اي اعتراف بأن أي تغيير قد طرأ عليها. وحتى التعليمات المكتوبة التي يستلمها ونستون ويتخلص منها بصورة دائمة حالما ينتهي من معالجتها، لم تصرح أو تتضمن البتة أن عملية تزوير قد ارتكبت، وكانت الاشارة دائما حول هفوات وأخطاء، وأخطاء مطبعية، أو اقتباسات خاطئة كان من الضروري تصحيحها من اجل الدقة.

فكر ونستون وهو يعيد تنظيم أرقام وزارة الوفرة أن المسألة في الواقع لم تكن تزويرا، بل عبارة عن استبدال قطعة من السفاسف بقطعة اخرى مماثلة ليس غير، وإن معظم المواد التي يعالجها لا تمت بصلة للحياة الواقعية، ولا حتى لذلك النوع من العلاقة المتضمنة في الكذبة المباشرة. وكانت الاحصائيات الاصلية منها والمصححة بنفس القدر من الخيال لانه غالبا ما كان يتوقع من المرء أن يخترعها من عقله، فعلى سبيل المثال كانت وزارة الوفرة قد قدرت في تنبؤاتها للربع السنوي الحالي أن انتاج الاحذية عالية الساق سيكون ١٤٥ مليون زوج واعطي الانتاج على أنه ٦٢ مليونا، وعندما أعاد ونستون كتابة ذلك خفض الرقم ل ٥٧ مليونا لكي يدع مجالا للدعاء المؤلف الذي يقول ان الحصاة النسبية فاقت المستهدف في الخطة. وعلى أية حال فان الرقم ٦٢ مليونا لم

يكن أقرب الى الحقيقة من ٥٧ مليوناً أو ١٤٥ مليوناً، على الأرجح أنه لم يكن هناك انتاج للجزم البتة، وأن الاحتمال الاكبر ان لا أحد يعرف عدد الجزم التي انتجت ولم يكن أحد ليهتم أن يعرف، وكل ما كان يعرفه المرء أن اعدادا ضخمة الى حد لا يصدق من الجزم كانت تنتج كل ربع سنة على الورق، في حين كان نصف سكان أوشانيا يمشون حفاة. ومكنا كان الوضع بالنسبة لكل نوع من الحوادث المدونة كبيرها وصغيرها. كان كل شيء يتلاشى الى عالم وهمي باهت يصبح فيه حتى تاريخ تحديد السنة غير مؤكد في النهاية.

ألقي ونستون نظرة على الردمة، وفي المكتب المقابل لمكتبه في الجانب الاخر كان رجل فضيل، أسود اللحية، شديد العناية بمظهره يدعى تيلوتسون يواصل العمل باستمرار، وعلى ركبته جريدة مطوية وفتحة قل واكتب قريبة جدا من فمه وعليه سيماء من يحاول أن يحتفظ بما يقوله سرا بينه وبين الشاشة. رفع رأسه وأرسلت نظارته وميضاً عدائياً في اتجاه ونستون.

لم يكن ونستون يعرف تيلوتسون الا معرفة قليلة، كما لم تكن عنده فكرة عن ماهية العمل الذي يقوم فيه، لأن الناس في دائرة السجلات لا يتكلمون عن أعمالهم بسهولة، ففي الردمة المطوية الخالية من النوافذ ذات الصفيين من المكاتب، وذات خشخشة الورق الدافئة، ومهمة الاصوات التي تهمس في فتحات قل واكتب، كان هناك اثنا عشر شخصاً لم يعرف ونستون حتى أسماءهم، مع أنه يراهم يوميا وهم يهرعون نهابا وايابا في الممرات، أو وهم يومنون في أثناء الكلام خلال دقيقتي الكرامية. وكان يعرف أن في المكتب المجاور لمكتبه كانت المرأة الضئيلة ذات الشعر الرملي اللون تكوِّح يوما بعد يوم في عملها الذي يتطلب تعقب وشطب أسماء الناس الذين قد تبخروا من الصحف والمجلات والذين يعتبرون كأنهم لم يكونوا أبدا. كان في عملها هذا توافق نظرا لأن زوجها نفسه قد تبخر قبل سنتين. وعلى بعد مكاتب قليلة من مكتبه كان هناك انسان لطيف حالم غير فعال يدعى أميلفورت أزعج الالانين، ذو موهبة مدمشة للتلاعب في قوافي الشعر وأوزانه، يعمل في انتاج نسخ محرفة تسمى نموص نهائية من الاشعار التي أصبحت عدوانية من الناحية الفكرية ولكن يجب أن يحتفظ بها في كتب المقتمطات الالابية المختارة لسبب أو لآخر. كانت هذه الردمة بعملها الخمسين، أو ما يقرب من

ذلك، عبارة عن جزء، عن خلية واحدة، اذا جاز التعبير، في دائرة السجلات ذات التعقيد الهائل. ففي كل الجهات من الدائرة المذكورة توجد حشود من العاملين منهمكة في عدد وافر من الاعمال لا يمكن تصوره. فهناك مكاتب الطباعة الضخمة مع محرريها المساعدين وخبرائها في الطباعة، وستوديوهاتها المجهزة باتقان واحكام لاجل تزييف الصور، وقسم البرامج التلفزيونية مع مهندسين ومخرجين وفرق ممثلين يختارون خصيصا لمهارتهم في تقليد الاصوات. وكانت هناك جيوش من موظفي المراجع مهمتهم ترتيب قوائم الكتب والدوريات الواجب الغاؤها ومستودعات ضخمة لحفظ الوثائق المصححة، والافران المخبأة حيث تتلف النسخ الاصلية لهذه الوثائق. وفي مكان مجهول تماما كانت العقول الموجهة التي تدير وتنسق الجهد جميعه وترسم خطوط السياسة التي جعلت حفظ هذا الجزء من الماضي ضروريا، والتي قررت أن تكون نسخة من هذا الجزء محرفة والأخرى الاصلية مزالة من الوجود.

لم تكن دائرة السجلات نفسها الا فرعا واحدا من وزارة الصدق التي لم يكن عملها الرئيسي اعادة بناء الماضي وتنظيمه، ولكن تزويد سكان أوشانيا بالجراند، والافلام، والكتب المدرسية، والبرامج التلفزيونية، والتمثيلات والروايات - بجميع أنواع المعلومات والتعليمات أو التسلية الممكن تصورها، من تمثال الى شعار، من قصيدة من الشعر الغنائي الى بحث في علم الاحياء، ومن كتاب التهجئة للأطفال الى قاموس اللغة الجديدة لاوشانيا. ولم يكن واجب الوزارة تزويد الحزب بالمتطلبات المتعددة فحسب بل كان عليها تكرار العملية جميعها ولكن على مستوى أقل من أجل فائدة طبقة العمال الكادحين. كانت هناك سلسلة كاملة من الدوائر المنفصلة لمعالجة أدب العمال، من الموسيقى والدراما والتسلية بشكل عام، حيث تنتج الجرائد التافهة عديمة القيمة التي لم تكن تحتوي على شيء تقريبا سوى الرياضة، والجريمة، وعلم التنجيم، والروايات القصيرة المثيرة التي كانت تباع بخمسة سنتات، والافلام التي تطفح بالجنس، والاغاني العاطفية التي تؤلف كلية بطرق آلية على نوع خاص من المشكال*. وكان هناك أيضا قسم يعمل في انتاج أنواع الادب والفن الاباحي

*إذاعة تحتوي على قطع متحركة من الزجاج الملون ما ان تتغير اوضاعها حتى تعكس مجموعة لا نهاية لها من الاشكال الهندسية المختلفة الالوان، يعرف بناظم الشعر

الذي يرسل على شكل رزم صغيرة مختومة لا يسمح لأي عضو في الحزب الاطلاع عليها باستثناء الذين يعملون فيها.

وبينما كان ونستون مهتمًا في العمل خرجت من الانجوب الهوائي ثلاث رسائل تغم أمورا بسيطة، انتهى منها قبل ان اعترضه برنامج دقيقتا الكرامية. وبعد الانتهاء من هذا البرنامج عاد الى مكتبه وتناول قافوس اللغة الجديدة عن الريف، ودفع آلة قل واكتب جانبا، ونظف نظارته وجلس للقيام بعمله الرئيسي للفترة الصباحية.

يمثل عمل ونستون أمتع ما في حياته وان كان في معظمه روتينيا مملًا وذلك لأنه يتضمن أعمالا صعبة ومعقدة لدرجة تنسي المرء نفسه كما يفعل عندما يغوص في مسألة رياضية - نماذج دقيقة من التزييف حيث لا يملك المرء ما يرشده سوى معرفته لقواعد اللغة الاشتراكية البريطانية وتخمينه لما يريد الحزب أن يقول. كان ونستون يجيد هذا النوع من العمل لدرجة كان يعهد اليه أحيانا تصحيح وتعديل مقالات رئيسية كتبت جميعها باللغة الجديدة في الأوقات. عاد وبسط الرسالة التي كان قد وضعها جانبا من قبل. كانت على النحو التالي:

الأوقات: ٣ ١٢ ٨٣ بيان بب طلب يومي، سيء للغاية يشير الى أشخاص غير موجودين. أمد كتابته مفصلا أعرض على سلامة أعلى قبل وضعه في الملف.

من الممكن ترجمة هذه الرسالة باللغة الفصحى على الوجه التالي:

ان وصف الأبخ الكبير للملعب التجاري المعلن في الأوقات في عددها الصادر في الثالث من كانون الأول ١٩٨٣، غير مرض حد ويشير الى أشخاص غير موجودين. أمد كتابته كاملا وقدم المسودة لسلامة أعلى قبل حفظه في الملف.

قرأ ونستون المقال المبهين حتى نهايته، وترأى له أن طلب الأبخ الكبير اليومي قد خصص في المقام الأول لتحميد ما تقوم به منظمة تعرف باسم ف

ف س س، كانت تزود بحلقة القلاع العائمة بالسجلات وأدوات الرفاهية الأخرى، وخص بالذكر عضو بارز في الحزب الداخلي يدعى وذرز منح وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية.

وبعد أشهر ثلاثة حلت منظمة ال ف ف س س دون ذكر الاسباب. لقد كان بوسع المرء أن يعتبر أن الحاق العار بوذرز ورفاقه أمر مفروغ منه، ولكن الصحافة والتلفزيون لم يصدرا بيانا عن المسألة. وكان هذا أمرا متوقعا لأنه لم يكن من المألوف محاكمة المذنبين السياسيين أو شجبهم علانية، والتطهيرات للخرقة وذوى النوايا الاجرامية (الذين قدموا اعترافا مثلا عن جرائمهم، ثم أعدوا تنقيحا لحكم قضائي)، لم تكن الا نماذج استعراضية لا تحدث اكثر من مرة كل سنتين، وذلك لان اختفاء الناس الذين يتعرضون لغضب الحزب ببساطة دون ان يسمع عنهم ثانية أبدا، ومن غير ان يكون لدى المرء أدنى دليل لما حل بهم، كان هو الامر الشائع كثيرا. وفي بعض الحالات قد يحصل انهم يموتون لأن ونستون يعرف حوالى ثلاثين شخصا باستثناء والديه معرفة شخصية، قد تعرضوا للاختفاء في وقت ما.

مز ونستون بمقلمة الورق على أنفه برفق، وفي المكتب المقابل لمكتبه كان الرفيق تيلوتسون ما يزال مكبا فوق أنه قل واكتب بخوف وتكتم. ثم رفع رأسه لوهلة، وصدرت عن نظارته وللمرة الثانية الرمضة العنائية، وتساءل ونستون ما اذا كان الرفيق تيلوتسون يقوم بنفس العمل الذي كان يقوم فيه. كان ذلك ممكنا تماما لان عملا كهذا لا يمكن ان يعهد به الى شخص واحد. ومن ناحية اخرى، فان تسليمه الى لجنة يعني اعترافا صريحا بأن ثمة عملية تزوير تحدث. ومن المحتمل جدا ان يكون حوالى اثني عشر شخصا يعملون حاليا على نسخ منافسة لما كان قد قاله الاخ الكبير فعلا. وكما هي العادة فان شخصا شديد الذكاء من الحزب الداخلي يقوم الآن باختيار هذه النسخة او تلك ويعيد تحريرها ثم يبدأ بعمليات الاستناد الترافقي المعقدة اللازمة، وبعد ذلك تنتقل الكلبة المغضلة الى السجلات الدائمة لتصبح حقيقة.

لم يدر ونستون لماذا طرد وذرز قد يكون ذلك بسبب الفساد أو عدم الكفاية، أو ربما لأن الاخ الكبير أراد فقط التخلص من مرؤوس له شعبية قوية

جدا، وربما لأنه قد اشتهبه بأن ونرز أو أحد المقربين اليه كانت لديه ميول رايكالية، وربما وفقا هو الارجح أن طرد ونرز قد حصل لان تطهيرات الحزب عن طريق التخلص من الاعضاء غير المرغوب فيهم والتبخرات كانتا جزءا ضروريا من ميكانيكات الحكومة. كان المفتاح الحقيقي الوحيد يكمن في الكلمات التي تشير الى اشخاص غير موجودين والتي تدل على أن ونرز كان ميتا في ذلك الحين. لا يستطيع المرء أن يفترض بصورة ثابتة أن هذا هو ما يحصل كلما القي القبض على الناس، ان كان يطلق سراهم أحيانا ويسمح لهم أن يظلوا أحرارا لمدة سنة او سنتين قبل أن ينفذ فيهم حكم الاعدام، وأحيانا كثيرة كان أحد الذين يعتقد أنه قد مات منذ وقت طويل يظهر ثانية كالشبح في محاكمة علنية حيث يورط بشهادته مئات الاخرين قبل اختفائه نهائيا هذه المرة. ومهما يكن من أمر فان ونرز لم يكن موجودا في ذلك الحين، كما انه لم يكن قد وجد مطلقا. قرر ونستون أن مجرد قلب الهدف من حديث الاخ الكبير لن يكون كافيا وأنه من الافضل أن يجعله يعالج شيئا لا يمت لموضوع حديثه الاصلى بعملة.

بماكانه ان يحول الحديث الى الموضوع المعتاد وهو شجب وتحذير الخونة والنزاعيين للاجرام، ولكن ذلك كان وافحا الى حد كبير، في حين أن اختراع نمر في الخلوطة الامامية، أو ابتهاج بالنجاح الذي حقق في خملة الثلاث سنوات التاسعة والذي فاق المستهدف ربما يعقد السجلات كثيرا. كان المطلوب قطعة من الخيال الخالص. ورفاعة قفزت الى ذهنه صورة رفيق معين يدعى أو جلفي توفي حديثا في ظروف بطولية في المعركة. كانت هناك مناسبات يكرس فيها الاخ الكبير جدول اعماله لاجياء نكرى عضو في الحزب متواضع الرتبة والسجل يعتبر حياته مثلا يحتذى، ويجب عليه اليوم أن يحيي نكرى الرفيق أو جلفي. صحيح انه لا يوجد انسان بهذا الاسم، ولكن بضعه أسطر مطبوعة وصورتين مزيفتين ستجنيء به الى الوجود بسرعة.

فكر ونستون لبرهة، ثم جذب آلة قل اكتب نحوه وابتدأ يملئ بأسلوب الاخ الكبير المؤلف: انه أسلوب عسكري متحذلق في أن واحد، له سمة مميزة يسهل محاكاتها، وهي طرح الاسئلة والاجابة الفورية عليها مثل: (ما هي الدروس التي نتعلمها من هذه الواقعة أيها الرفقاء؟ الدرس - وهو أيضا أحد المبادئ الاساسية للاشتراكية البريطانية - انه، الخ . الخ .) .

رفض الرفيق أوجلفي وهو في الثالثة من عمره جميع الألعاب ما عدا طبلًا ورشاشًا صغيرًا، ومجسم طائرة عمودية، وفي السادسة - عندما كان أصغر من السن المملوكة بسنة واحدة - وعن طريق تخفيف خاص في القوانين، انضم إلى الجواسيس، وفي التاسعة من العمر أصبح قائد فرقة، وفي الحادية عشرة بلغ عن عمه لبوليس الفكر إثر سماعه محادثة تراءى له أن فيها نزعات اجرامية. وفي السابعة عشرة أصبح مسؤولًا عن عمالية مقاومة الجنس للاحداث في المقاطعة، وفي التاسعة عشرة صمم قنبلة يدوية تبنتها وزارة السلم قتلت واحدا وثلاثين سجينًا أوراسيا في انفجار واحد في أول تجربة لها. وفي الثالثة والعشرين قتل في المعركة عندما لحقته طائرات العدو النفاثة أثناء طيرانه فوق المحيط الهندي ومعه شحنات مهمة، وقد أثقل جسمه برشاشة وقفز من طائرته العمودية الى اعماق المحيط ومعه شحناته وكل شيء. قال الأخ الكبير: (وكانت نهاية من المستحيل التفكير فيها من غير شعور بالحسد). ثم أضاف بعض تعليقات قليلة عن نقاء حياة الرفيق أوجلفي واخلاصه وعزمه الوطني، حيث امتنع عن تعامله المسكرات وعن التدخين طيلة حياته، ولم تكن لديه وسائل للتسلية عدا ساعة يومية يقضيها في مبنى الألعاب الرياضية. وقد أخذ على نفسه عهدًا بعدم الزواج لأنه كان يؤمن بأن الزواج ومسؤولية العائلة تتعارضان مع التكريس والاخلاق للواجب لاربع وعشرين ساعة يوميًا. ولم يكن لديه مواضيع للحديث سوى مبادئ الاشتراكية البريمانية، ولا هدف في الحياة غير ايقاع الهزيمة بالاعداء الأوراسيين، ومطاردة الجواسيس، والمخربين، والزراعيين للجريمة، والخونة بوجه عام.

فكر ونستون في أمر منح الرفيق أوجلفي وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة، ولكنه قرر في النهاية أن لا يفعل خوفًا من المعارضة المحتمية غير الضرورية التي سوف تنجم عن ذلك.

وللمرة الثانية ألقى نظرة عابرة على منافسه في المكتب المقابل فترأى له أن شيئًا ما يقول له بصورة مؤكدة أن تيلرتون كان منكمًا في نفس العمل الذي كان هو نفسه مشغولًا فيه. ليس هناك وسيلة لمعرفة أي إنجاز سيحقق عليه الاختيار في النهاية، ولكن كان لديه اقتناع عميق في أن الاختيار سيقع على عمله هو لان الرفيق أوجلفي الذي لم يكن موجودًا في الخيال قبل ساعة أصبح

الان حقيقة. خطر بياله كأمر غريب كيف أنه بوسع المرء أن يخلق أشخاصا أمواتا بينما يعجز عن اصطناع اشخاص أحياء، فالرفيق أوجفلي الذي لم يكن موجودا في الحاضر أبدا، أصبح موجودا في الماضي، وأنه عندما تنسى عملية التزييف، سوف يصبح، على أساس الدليل نفسه، وجوده حقيقة، شأنه شأن شارلمان أو يوليوس قيصر.

٥

تحرك طابور الغذاء الى الامام ببطء في المطعم ذي السقف المنخفض الواقع تحت سطح الارض، وكانت الغرفة أنذاك ملأى تماما وصاخبة بشكل يصم الأذان، وبخار اليخنه ذوالرائحة المعدنية الكريهة ينبعث بشدة من المسخنة التي على المنضدة، غير انه لم يستطع التغلب كلية على الابخرة المتصاعدة من جن النصر. وفي الجانب البعيد من الغرفة كان بار صغير، على شكل فتحة في الحائط، يستطيع المرء أن يشتري منه كمية كبيرة من الجن بعشر سنتات.

قال صوت من خلف ونستون: (الرجل الذي كنت أبحث عنه على وجه التحديد).

استدار ونستون ورأى صديقه سايم الذي يعمل في دائرة البحث. ربما لم تكن كلمة صديق هي الكلمة المناسبة تماما فليس للمرء أصدقاء هذه الايام، لديه رفقاء: ولكن هناك بعض الرفقاء تكون عشرتهم اكثر متعة من الآخرين. كان سايم عالما بفقته اللغة متخصصا في اللغة الجديدة، وفي الحقيقة كان واحدا من فريق حاشد من الخبراء المنهمكين حاليا في تجميع النسخة الحادية عشرة من قاموس اللغة الجديدة. كان شخصا ضئيلا، أشد ضالة من ونستون، ذا شعر اسود داكن وعينين بارزتين حزينتين وساخرتين في آن واحد تبدوان كأنهما تستكشfan وجه الشخص الذي يتحدث اليه بدقة.

قال سايم: (كنت أريد أن أسالك ان كان لديك شفرات حلاقة). أجاب ونستون بطريقة سريعة تدل على الشعور بالذنب: (ولا واحدة. لقد بحثت عنها في كل مكان، لم يعد لها وجود).

كان الجميع يسأل عن شفرات حلالة باستمرار. في الواقع، كانت لديه شفرتان جديتان يدخلهما للمستقبل نظرا لوجود نقص منها منذ عدة شهور خلت. كانت مخازن الحزب تعجز في فترات محددة عن تزويد أداة من الأدوات الضرورية، وأحيانا ما تكون هذه الأداة أزرارا، وأحيانا أخرى تكون خيطان صرف للرفو، أو رباطات للاحذية، أما الآن فهي شفرات للحلاقة. باستماعة المرء الحمول عليها إن كان ذلك ممكنا، من السوق الحرة عن طريق الاستجداء بصورة خبيثة مأكرة. أضاف ونستون بكذب: (مضت على ستة أسابيع وأنا استعمل الشفرة نفسها).

تقدم الطابور الى الامام بحركة سريعة أخرى، وعندما توقف استنار ونستون وواجه سايم ثانية. تناول كل منهما صينية معدنية ملوثة بالدهن من فوق المجموعة الموضوعة على حافة المنضدة.

وسأل سايم: (هل ذهبت لترى السجناء وهم يشنون بالأمس؟) فأجاب ونستون بغير اكتراث: (كنت أعمل. اعتقد أنني سأرى ذلك على الشاشة).

فأجاب سايم: (بديل غير كاف ابدا).

طافت عينا سايم الساخرتان فوق وجه ونستون كأنهما تقولان: (أعرفك وأدرك حقيقتك، وأعرف جيدا لماذا لم تذهب لرؤية هؤلاء السجناء وهم يشنون). كان سايم تقليديا بصورة ذكية حاقدة. وكان من عاداته التحدث بارتياح خبيث سيء، وباعجاب عن غارات الملائكات العمودية على قرى العدو، وعن محاكمات واعترافات اولئك الذين لديهم النزعة للاجرام، وعن تنفيذ احكام الاعدام التي تتم في أقيية وزارة الحب. كان التحدث اليه قضية تتضمن إبعاده عن مثل هذه المواضيع الى حد كبير، وجهله بينهما، ان كان ذلك ممكنا، في الحديث عن تقنيات اللغة الجديدة، والتي كان فيها مرجعا موثوقا وممتعا. أثار ونستون رأسه جانبا الى حد قليل ليتجنب تفحص العينين الواسعتين السوداوتين.

قال سايم وهو يستعيد ذكري تلك الحادثة: (كانت عملية شتى بارعة

واعتقد أنهم يفسدونها عندما يربطون أقدامهم معا فانا أحب أن أراهم وهم يركلون، وقبل كل شيء عندما يخرج اللسان كله في النهاية أزرق - أزرق صاف الى حد بعيد. هذه هي التفاصيل التي تروق لي).

وصاح العامل ذو المريطة البيضاء والمغرفة: (الشخص التالي، أرجوكم).

دفع ونستون وسليم صينيتيهما تحت المسخنة حيث أفرغ في كل واحدة الغداء المألوف بسرعة: كوب معدني صغير من اليخنة ذات اللون القرمزي القاتم، وقطعة كبيرة من الخبز، ومكعب من الجبنة، ويريق من قهوة النمر الخالية من الحليب، وقرص من السكرين.

قال سايم: (توجد طاولة هناك، تحت تلك الشاشة، دعنا نتناول كأسا من الجن في طريقنا اليها).

قدم الجن لهما في اباريق خزفية من الصيني بدون يدين، وشقا طريقهما عبر الغرفة المزرحةمة وأفرغا صينيتيهما على الطاولة المغمل جرزوها الأعلى بالمعدن، وكان قد ترك أحد الناس على احدى زواياها مقدارا من اليخنة اللينة القذرة له مظهر اللقيء. رفع ونستون ابريق الجن، وتردد لبرهة كي يستجمع شجاعته، وتجرع الشراب ذا المذاق الزيتي، وعندما طرقت عيناه لاجراج الدمع منهما، اكتشف فجأة أنه كان جائعا فأخذ يزدرد ملائق من اليخنة التي يحتوي مرقتها الرقيق على مكعبات من مادة اسفنجية قرنفلية اللون والتي قد تكون معدة من اللحم. لم يتكلما ثانية حتى أتيا على كل ما في اكواريهما المعدنية الصغيرة . ومن الطاولة التي كانت على شمال ونستون، خلفه قليلا كان احدهم يتكلم بسرعة ومن غير توقف، ثرثرة مزعجة تشبه صوت البطة تقريبا، وقد اخترق صخب الغرفة الشامل.

سأل ونستون بصوت عال ليتغلب على الصخب: (كيف يسير القاموس؟)
فأجاب سايم ببطء: (انني اعمل الآن على الصفات، انه عمل ساحر).

ابتهج لسجود ذكر اللغة الحديثة. دفع أكوابه جانبا، وتناول قطعة الخبز

باحدى يديه الرقيقتين والجبنة باليد الاخرى، واتكأ على المنضدة كي يستطيع الكلام دونما صراخ وقال:

(ان النسخة الحادية عشرة هي النسخة النهائية. اننا نعد اللغة في شكلها النهائي - الشكل الذي ستتحذه عندما تصبح اللغة التي يتكلمها الجميع دون سواها - وعندما ننتهي منها يتوجب على الناس أمثالك ان يتعلموها من جديد. انك تظن، يمكنني القول، ان عملنا الرئيسي هو اختراع كلمات جديدة. ولكن ما نقوم به ليس هذا على الاطلاق. اننا نقضي على كلمات - اعداد لا حصر لها منها، مئات منها يوميا. اننا ننقص اللغة الى أبعد حد، ولن تحتوي النسخة الحادية عشرة على كلمة واحدة من الكلمات التي سوف تصبح قديمة وغير مستعملة قبل سنة ٢٠٥٠).

قضم من قطعة الخبز لقمتين بنهم وابتلعهما ثم تابع حديثه بأسلوب المعلم المتحذلق الذي اكتسب ثقافته من الكتب فحسب، وقد أصبح وجهه الداكن النحيف مفعما بالحيوية وتلاشى التعبير التهكمي من عينيه اللتين أصبحتا حالمتين تقريبا واستأنف قائلا: (ان ابادء الكلمات شيء جميل. ان الخسارة الكبرى من غير ريب، هي في الافعال والصفات، ولكن هناك مئات الاسماء التي يمكن التخلص منها أيضا، ليست من المرادفات فحسب ولكن من المضادات أيضا، اذ ما هو المبرر لوجود كلمة مضادة لكلمة اخرى؟ ان الكلمة نفسها تتضمن نقيضها. خذ مثلا كلمة جيد. ان كانت هناك كلمة مثل جيد، ما هي الحاجة لوجود كلمة مثل سيء؟ ان غير جيد تفي بالغرض تماما - بل هي أفضل لأنها نقيض دقيق في حين ان كلمة سيء ليست كذلك. من ناحية اخرى، اذا أراد المرء مرادفا أقوى لكلمة جيد، ما هو المنطق في وجود سلسلة من الكلمات الغامضة عديمة الفائدة مثل ممتاز ورائع وهلم جرا؟ إن جيد زائد تؤدي المعنى المطلوب، واذا أراد المرء تعبيرا أقوى فان بإمكانه استعمال جيد زائد مضاعف. نحن الآن نستعمل هذه الصيغ من غير ريب، ولكن لن يكون في النسخة النهائية للغة الحديثة غيرها. وفي النتيجة ستغلى الفكرة العامة للجودة والسوء، بست كلمات فقط - وفي الحقيقة بكلمة واحدة لا غير. ألا ترى جمال ذلك يا ونستون؟) وأضاف عندما خطر له فكرة متأخرة: (كانت في الاصل فكرة الاخ الكبير من غير ريب).

وعند ذكر الاخ الكبير اكتسب وجه ونستون نوعا من اللهجة التافهة، ومع ذلك اكتشف سايم في التو افتقارا أكيدا للحماس.

قال بحزن تقريبا: (انك لا تقدر اللغة الحديثة حق قدرها بالفعل يا ونستون، وحتى عندما تكتبها فانك لا تزال تفكر باللغة القديمة. لقد قرأت بعض القطع التي تكتبها في الاوقات بين الفينة والاخرى، انها جيدة الى حد مقبول، ولكنها ترجمت. انت تتمنى من اعماق قلبك ان تتمسك باللغة القديمة بكل ما فيها من غموض وفوارق دقيقة في المعنى عديمة الجدوى. انت لا تدرك جمال تدمير الكلمات. اتدري أن اللغة الجديدة هي اللغة الوحيدة في العالم التي تتناقض مفر داتها كل ستة؟)

لم يكن ونستون بطبيعة الحال يعرف ذلك، ولما كان لا يعتمد على نفسه ان هو تكلم، ابتسم بعطف وتأييد كما كان يأمل. قضم سايم قطعة من الخبز الاسمر، ومضغها لفترة قصيرة ثم تابع كلامه قائلا: (الا تدرك ان الغرض كله من اللغة الجديدة هو تقليص مجال التفكير؟ في النهاية سنجعل التفكير في الجريمة غير ممكن لانه لن يكون هناك كلمات للتعبير عنها. وكل مفهوم من الممكن ان يحتاج اليه في اي وقت، سيعبر عنه بكلمة واحدة ذات معنى محدد بصورة صارمة حيث تزال جميع معانيها الفرعية الثانوية ثم تنسى. وفي النسخة الحادية عشرة لسنا بعيدين من هذه الغاية. ولكن العملية تستثمر لمدة طويلة بعد ان يكون كلانا قد مات، وستقل الكلمات سنة بعد اخرى، وسيصغر مجال الادراك قليلا على الدوام، وحتى الآن لا يوجد مبرر لارتكاب الجريمة المميتة، انها فقط مسألة ضبط النفس والسيطرة على الحقيقة، وفي النهاية لن تكون هناك حاجة الى ذلك لان الثورة ستكتمل عندما تكتمل اللغة. فاللغة الجديدة هي الاشتراكية البريماوية والاشتراكية البريماوية هي اللغة الجديدة)، واذاف بشيء من الرضا الغامض: (هل دار بخلك يا ونستون انه لن يكون هناك انسان واحد سنة ٢٠٥٠ على الابعد يستطلع فهم محادثة كالتي نتبادلها الان؟)

(ماعدا...) ابتعدا ونستون بتردد ثم توقف. كان على وشك ان يقول: (ما عدا العمال)، ولكنه ضبط نفسه لانه لم يكن واقفا تماما ان هذه الملاحظة

لم تكن غير تقليدية بطريقة او بأخرى. ومع ذلك فقد تنبأ سايم بالحدس ماذا كان ونستون على وشك ان يقول.

قال بلا مبالاة: (العمل ليسوا بشرا. في سنة ٢٠٥٠ - وربما قبل ذلك - كل معرفة حقيقية للغة القديمة ستكون قد اختلفت وسيكون أدب الماضي جميعه قد أبيض. تشوسر ، شكسبير، ميلتون، بايرون - سيوجدون في نسخ اللغة الجديدة فقط والتي لن تكون قد غيرت الى شيء مختلف فحسب، ولكن الى شيء يتناقض ما كانت عليه في السابق. وحتى أدب الحزب وشعاراته سيتغيران، ان كيف يمكن للمرء ان يكون لديه شعار مثل الحرية هي العبودية عندما يكون مفهوم الحرية قد الغي؟ سيتغير جميع مناخ التفكير، وفي الحقيقة لن يكون هناك تفكير كما نفهمه الان. المعتقد التقليدي القويم يعني عدم التفكير - عدم الحاجة للتفكير. المعتقد التقليدي القويم هو اللاوعي).

فكر ونستون بايمان راسخ عميق مفاجيء أن سايم سيتبخز في يوم ما ، فهو ذكي للغاية، وعنده وضوح قوي في الرؤية ويعبر عن رأيه بصراحة كبيرة. ولأن الحزب لا يحب هذا النوع من الناس، فانه سيختفي يوما ما، وهذا باد على محياه.

كان ونستون قد أنهى نصيبه من الخبز والجبن، واستمار في كرسيه جانبا الى حد قليل حتى يشرب كوب قهوته. وكان الرجل ذو الصوت الحاد الجالس على الطاولة التي على يساره ما يزال يتكلم بقسوة، وكانت امرأة شابة، ربما كانت سكرتيرته، تجلس وظهرها الى ونستون وتصفي اليه وتوافق على كل ما يقوله بلهفة وحماس، ومن وقت لآخر كان ونستون يتلقا ملاحظة مثل "أعتقد أنك مصيب الى حد بعيد"، واتفق معك كثيرا"، تطلق بصوت أنثوي غص وساذج نوعا ما. ولكن الصوت الاخر لم يتوقف البتة ولو لفترة وجيزة حتى عندما كانت الفتاة تتكلم. كان ونستون يعرف الرجل بالنظر وعلى الرغم من ذلك لم يعرف عنه أكثر من أنه يحتل وظيفة مهمة في دائرة الادب القصصى، رجل في حوالي الثلاثين من العمر ، ذو حنجرة قوية وفم كبير متحرك. كان رأسه مائلا الى الخلف قليلا وبسبب الزاوية التي اتخذها في جلسته، فقد وقع الضوء على نظارته بحيث ظهرت لونستون كأنها قرصان فارغان بدلا من

عينين. والرهيب في الأمر أنه كان من المستحيل تقريبا أن يميز المرء كلمة واحدة من سيل الضجيج المنهمر من فمه. مرة واحدة فقط التقطوا وستون جزءا من جملة "إزالة تامة ونهائية لنظام جولدستاينز"، نطقت بسرعة كبيرة وكأنها قطعة واحدة انطلقت من فمه بسرعة فائقة مثل كتلة من الحروف الطبيعية انطلقت متراممة. أما بقية الكلام فقد كان عبارته عن صوت يشبه صوت البطة، ومع أنه لم يكن يوسع المرء سماع ما كان الرجل يقوله بالفعل، فإنه لا يمكن أن يساوره أدنى شك بالنسبة لجرهه العام، ربما كان يشجب ويتم جولد ستاين ويطالب بأجراءات أكثر صرامة وقسوة ضد الذين لديهم النية لا ارتكاب الجريمة والمخربين، ربما كان يشجب بعنف فطاعة ووحشية الجيش الأوراسي، ربما كان يمتدح الأخ الكبير أو الأبطال الذين كانوا على جبهة المالابار، لم يكن ما يقوله مهما ولكن باستطاعة المرء ان يتأكد أن كل كلمة من كلامه كانت معتقدا تقليديا خالصا، اثتراكية انجليزية صرفة. وبينما كان وستون يراقب الوجه الخالي من العينين والفك الذي يتحرك بسرعة الى أعلى وإلى أسفل، انتابه شعور غريب بأن الذي أمامه لم يكن بشرا ولكنه نوع ما من الدمي. لم يكن الكلام صادرا من عقل الرجل وإنما من حنجرتة. كان الشيء الذي يصدر عنه يتألف من كلمات ولكنه لم يكن حنيثا بالمعنى الصحيح: كان صوتا مثل صوت البطة أطلق في حالة من اللاوعي.

التزم سايم الصمت لبرهة من الوقت رسم أثناءها أشكالا بيد ملعقته في البركة الصغيرة جدا من السيخنة، وواصل الصوت من المطاولة الأخرى، صياحه بسرعة بحيث كان يسمع بسهولة على الرغم من الضجيج المحيط بالمكان.

قال سايم: هناك كلمة في اللغة الجديدة لست أدري ان كنت تعرفها: انها كلام البطة أي يصيح كالبطة . انها واحدة من الكلمات المثيرة للاهتمام والتي تحتل معينين متناقضين، فإذا ما استعملت لغضم فانها اساءة، وازا ما استعملت لشخص تتفق معه في الرأي فهي مديح .(

فكر وستون للمرة الثانية بأن سايم سوف يتلاش من غير شك، وقد فعل ذلك بشيء من الحزن على الرغم من أنه يعرف أن سايم يحقره ويكرهه قليلا، وأنه قادر تماما على اتهامه بأنه الجريمة، اذا رأى ما يوجب ذلك. كان

في سليم شيء خاطيء بصورة قوية. كان ينقمه شيء ما: الحذر والتعقل والتحفظ، نوع من الغباء المنقذ. لا يستطيع المرء أن يقول أنه غير تقليدي. كان يؤمن بمبادئ الاشتراكية الانجليزية ويحترم الأخ الكبير ويتبعه للانتصارات الحربية ابتهاجا عظيما، ويكره المنشقين ليس بصدق فحسب ولكن بنوع من الحماس الذي لا يقطع، ولديه معلومات جديدة لا يضاهيه فيها عضو عادي في الحزب. على الرغم من ذلك كان يلازمه القليل من السمعة السيئة. كان يقول أشياء من الأفضل له أن لا يقولها، ويقراً الكثير من الكتب، ويتروك على مقهى شجرة الكستناء الذي كان الرسامون والموسيقيون يتردون عليه بكثرة. لم يكن هناك قانون، ولا حتى قانون غير مكتوب، يمنع التردد على هذا المقهى، غير أن المكان كان سهء الطالع بطريقة ما، فقد اعتاد زعماء الحزب القدامى، الذين لحق بهم الخزي والعار، أن يجتمعوا هناك قبل تخلص الحزب منهم نهائيا: وقد قيل ان جولد ستاين نفسه كان أحيانا يرى هناك قبل سنين بل عشرات السنين. لم يكن من الصعب التنبؤ بمسير سليم. مع ذلك فمن المؤكد أنه سيبلغ عن ونستون تورا الى بوليس الفكر اذا ما أترك طبيعة آراء ونستون السرية ولو لثلاث ثوان، شأنه في ذلك شأن أي شخص آخر، غير أن سليم كان أكثر استعدادا من معظم الناس. الحماس بالنسبة اليه لم يكن كافيا. كان المعتقد التقليدي شيئا لا شعوريا عنده.

رفع سليم بصره وقال (ها قد حضر بارسونز).

وبما كان شيئا ما في رنة صوت سليم أضاف (ذلك اللعين المغفل). كان بارسونز، رفيق ونستون المقيم في عمارات النصر يشق طريقه بالفعل عبر الغرفة. رجلا قصيرا وبدينا متوسط الحجم ذا شعر أشقر ووجه يشبه وجه الضفدع. وكان وهو في الخامسة والثلاثين يضيف طبقات من الشحم عند العنق والخصر، ولكن كانت له حركات صيبانية رشيقة، وكان مظهره العام كمنظر ولد صغير كبير ونفخ الى حد ما على الرغم من ارتدائه السروال الذي يفرضه النظام. كان من المستحيل أن يتخيله المرء من غير البنطال الأزرق القصير، والقميص الرمادي، وربطة العنق الحمراء التي يرتديها الجواسيس، وعندما يتخيله المرء فإنه يرى دائما صورة ركبتيين فيها تقرتتين، وأكمام مطوية لتكشف عن ساعدين قصيرين سمينين. كان بارسونز يعود دائما الى البنطال

القصير كلما وجد المبرر لذلك كالذهاب مع الآخرين في نزفة طويلة سيرا على الأقدام أو القيام بأي نشاط جسماني، حياتما بابتهاج وجلس على المنضدة ورائحة عرق قوية نفاذة تفرح منه، وحيات العرق تظهر فوق وجه الأحمر. كانت له مقدرة استثنائية على العرق، وفي المركز الاجتماعي كان يوسع المرء أن يعرف متى كان بارسونز يلعب تنس الطاولة من رطوبة مقبض المضرب، أخرج سايم قصاصة ورق عليها عمود طويل من المفردات وأخذ يتأملها وهو يمسك قلم جبر بين أصابعه.

قال بارسونز وهو يمسك ونستون بمرقعه استرعاء لانتباهه: (أنظر اليه كيف يواصل العمل أثناء ساعة الغناء. حماس أليس كذلك؟ ما الذي يجوز لك أيها الولد الكبير؟ أتوقع أن يكون شيئاً أعلى من مستوى ذكائي بقليل. سميت، أيها الولد الكبير، سأخبرك لماذا أطاراك. انه من أجل رسم الاشتراك الذي نسيت أن تعطيني اياه).

فسأل ونستون وهو يتحسس نقوده بصورة اوتوماتيكية: (أي اشتراك!) كان من الواجب أن يخصص المرء حوالى ربع راتبه تقريبا للاشتراكات التطوعية التي كانت من الكثرة بحيث تصعب متابعتها.

(من أجل أسبوع الكراهية. فانا أمين صندوق منظمة جمع المال بيتا بيتا للمبنى الذي تشكته كما تعلم، اننا نبذل أقصى جهدنا - سنقوم بعرض رائع. لن أكون أنا المعلوم اذا لم تزود بنايات النصر بأفخم تجهيز من الرايات في الشارع كله. وعدتني بدولارين).

وجد ونستون دولارين قذرين ومجعين وناولهما لبارسونز الذي سجالهما في دفتر الملاحظات، بخط الأمتي الجاهل المرتب.

قال بارسونز: (على فكرة أيها الولد الكبير، سمعت أن ولدي الصغير قد قذفك بالمرجام بالامس، وقد وبخته من أجل ذلك وضربته بالوسط. وفي الواقع أكدت له بأنني سأخذ المرجام ان فعل ذلك ثانية).

فأجاب ونستون: (اعتقد أنه كان منزعجا نوعا ما لأنه لم يذهب لرؤية عملية تنفيذ الاعدام).

(أه، حسنا - ان ما اقصد قوله أن عمله هذا يدل على الروح الصحيحة اليس كذلك؟ ان ولدى الصغيرين مؤذنين، ولكن عندما نتحدث عن ترقد الذكاء، فإنهما ذكيان للغاية. كل ما يفكران به هو الجوايسيس والحرب من غير شك. أتدري ماذا فعلت ابنتي الصغيرة عندما ذهبت مع فريقها في تزهة على الاقدام معها و قضت بعد الظهر تلاحق رجلا غريبا. لقد فلان يتعقبه لمدة ساعتين في الغابات، وعندما وصلن الى أمرشام سلمنه الى الدورية).

سأل ونستون وقد أخذ على حين غرة: (وماذا فعلن ذلك؟)
فتابع بارسونز بانتعاز:

(تأكدت ابنتي أنه عميل للعدو - ربما أنزل بواسطة مظلة هبوط مثلا. ولكن اليك النقطة الاساسية أيها الولد الكبير. ما الذي حملها على متابعته في المقام الاول؟ اكتشفت أنه كان يرتدي نوعا من الاحذية - قالت انه لم يسبق لها ان رأت أحدا يرتدي مثله من قبل. وهكذا خطرت لها احتمالات أنه غريب. نكاه بارغ لطفلة في السابعة من عمرها، اليس كذلك؟)

سأل ونستون: (وماذا حصل للرجل؟)

(أه، ذلك ما لا استطيع قوله ، طبعاً. ولكنني لا استغرب البتة اذا...)
وقام بارسونز بحركة تدل على تسديد بندقية وطقمق بلسانه بدلا عن الانفجار.

فقال سايم وهو شارد الذهن ودون أن يرفع بصره من على قصاصة الورق: (سايم).

وافق ونستون بطريقة صادرة عن الشعور بالواجب وقال: (لا نستطيع المخاطرة من غير ريب طبعاً).

فأجاب بارسونز: (ان ما أقصد قوله أن هناك حربا دائمة). وعندما طاف صوت بوق من الشاشة التي كانت فوق رؤوسهم مباشرة كأنه يؤكد ما قاله بارسونز. لم يكن هذه المرة بلاغ حول انتصار حربي، ولكنه اعلان من وزارة الرخاء ليس غير.

(أيها الرفاق!) صاح صوت متحمس غصّ، (انتبهوا، أيها الرفاق! عنديا أخبار رائعة لكم. لقد كسبنا معركة الانتاج! فالتقارير التي انهيت الان حول عائدات أصناف البضائع الاستهلاكية جميعها تدل على أن مستوى المعيشة قد ارتفع عن السنة الماضية بما لا يقل عن عشرين بالمائة. ونتيجة لذلك عمت المظاهرات العنصرية، التي تعذرت السيطرة عليها، جميع أوشانيا صباح هذا اليوم عندما خرج العمال من المصانع والدوائر وطاقوا الشوارع في موكب وهم يحملون الأعلام تعبيراً عن عرفانهم بالجميل وامتنانهم للأخ الكبير من أجل الحياة الجديدة والسعيدة التي منحتها لهم قيادته الحكيمة. واليكم بعض الأرقام التي اكتملت. الموار الغنائية...) .

ترددت عبارة (حياتنا الجديدة السعيدة)، وهو الشعر الذي أصبح أثيرا لدى وزارة الرخاء في الفترة الأخيرة، عدة مرات. جلس بارسونز الذي أثار صوت البوق انتباهه، يستمع بشيء من الوقار المتفاوت، بنوع من المنجز المهذب. لم يستطع متابعة الأرقام، ولكنه أدرك أنها تبعث على الرضى بطريقة ما. أخرج غليبرت كيبيرا قفزا ممتلئا بالتبغ المحروق حتى نصفه، لأنه كان من الناس ان يملأ المرء الغليون كله بعد أن أصبحت الحصة الأسبوعية للتبغ مائة غرام فقط وكان ونستون يدخن سيجارة من سجائر النمر حملها بعناية بطريقة أفقية. لن تصرف الحصة الجديدة من السجائر قبل نهار الغد، ولم يتبق معه سوى أربع سجائر فقط. كان قد أفلق أذنيه لتلك اللحظة عن الأصوات الأكثر بعدا وأخذ يستمع للهراء الذي كان ينهمر من التلفزيون. ظهر انه كانت هناك مسيرات شعبية خرجت لتقديم الشكر للأخ الكبير لأنه رفع حممة الشوكولاته الأسبوعية الى عشرين غراما. وخطر لو نستون أنه قد أعلن بالاسم فقط ان الحصة الأسبوعية ستخفص لعشرين غراما، فهل من الممكن أن يصدق الناس ذلك ويقبلوه بعد أربع وعشرين ساعة، نعم، صدقوه، كما صدقه بارسونز من غير ريب وبغياء الحيوان. أما المخروق الجاس على الطاولة الثانية، والذي

كان بدون عينين، فقد صدقه بتعصب وحماس، وبرغبة قوية في ملاحقة، واتهام، وتبخير أي شخص يوحي أن حصة الشوكولاته كانت ثلاثين غراما في الأسبوع المنصرم. وصدق سايم ذلك أيضا ولكن بطريقة أكثر تعقيدا، تتضمن الايمان بفكرتين متناقضتين في آن واحد. هل كان ونستون الوحيد الذي يمتلك ذاكرة أنذاك؟

استمرت الاحصائيات غير القابلة للتصديق تنهمر من الشاشة وبالمقارنه مع السنة الماضية كان هناك طعام أكثر، وملابس أكثر، وبيوت أكثر، وأثاث أكثر، وأواني طبخ أكثر، ووقود أكثر، وطائرات عموديه اكثر، وكتب أكثر، وأطفال أكثر - كل شيء كان أكثر ما عدا المرض والجريمة، والجنون. كان كل انسان وكل شيء يطير الى أعلى سنة بعد سنة، ودقيقة بعد دقيقة محدثا أزياء أثناء ذلك. تناول ونستون ملعقته، كما فعل سايم من قبله، واخذ يلعب بالصالصة ذات اللون الباهت التي انتشرت فوق الطاولة راسما من الخط الطويل الذي عمله من الصالصة شكلا. وفكر في جوهر الحياة المادي. هل كان دائما كما هو الان؟ وهل كان مذاق الطعام كما هو الان دائما؟ نار بعينه حول المطعم. غرفة مزدحمة منخفضة السقف، متسخة الجدران نتيجة احتكاك أجسام لا تعد ولا تحصى بها. طاولات وكراسي معدنية بالية من كثرة الاستعمال، متلاصقة مع بعضها لدرجة أن المرء يجلس ومرفقه يلامس مرفق جاره. ملاعق ملتوية، صواني مبعوجة، كؤوس خشنة بيضاء، وكانت الاجزاء الخارجية لكل شيء دهنية، والوسخ يملأ كل شق، ورائحة نتنة كريهة، هي عبارة عن مزيج من الجن والقهوة السيئين واليخنة المحددة الطعم والملابس القذرة تنبعث من المكان. هناك دائما نوع من الاحتجاج في معدة المرء وجلده، شعور بأنه خدع وأن شيئا له الحق فيه قد أخذ منه. صحيح أنه لم تكن لدى ونستون ذكريات عن أي شيء تختلف كثيرا عن الوقت الحاضر، اذ لم يكن هناك طعام كاف في أي وقت يستطيع أن يتذكره على نحو دقيق، ولم يكن عند المرء جوارب قصيرة أو ملابس داخلية لا تملأها الثقوب، كما كان الاثاث دائما محملا متداعيا، والغرف رديئة التدفئة، والقطارات الكهربائية النفقية مكتظة، والمنازل متداعية، والخبز أسود اللون، والشاي نادرا والقهوة رديئة الطعم، والسجائر غير كافية لم يكن هناك شيء رخيص أو متوفر سوى الجن الاصطناعي. غير أن الوضع يزداد سوءا عندما يهرم جسد المرء، أليس هذا دليل

على أن ما يحصل ليس هو الوضع الطبيعي للأشياء، فاذا ما مرض قلب الانسان بسبب القلق والانزعاج، والقذارة، وفصول الشتاء التي لا تنتهي، والتصاق جوارب المرء بقدميه، والمصاعد التي لا تعمل أبدا، والماء البارد، والصابون الرملي الخشن، والسجائر التي تنفتت، والطعام بنكهته الغريبة الكريهة؟ لماذا يشعر المرء بأن الوضع لا يطاق ما لم يكن لديه نوع من الذكرى التي لها علاقة بالاسلاف، بان الاشياء كانت مختلفة في يوم ما؟

دار ونستون ببصره حول المطعم مرة ثانية. كان كل واحد من الموجودين قبيحا ، وحتى لو ارتدى ملابس تختلف عن البزة النظامية الزرقاء، فانه سوف يظل قبيحا. وفي الجانب البعيد من الغرفة جلس منفردا رجل ضئيل يشبه الخنفساء بشكل غريب لافت للنظر، يحتسي فنجانا من القهوة وهو يلقي نظرات مفعمة بالشك من جهة الى أخرى. فكر ونستون كم كان من السهل على المرء ان يصدق، اذا لم ينظر حوله، أن نوع الجسد الذي عينه الحزب كنموذج - شباب طوال القامة أقوياء، وشابات ناهدات الصدور، شقراوات الشعر، مفعمات حيوية ونشاطا، لوحتهن الشمس، خاليات من الهم - موجود بالفعل بل وسائد أيضا. أما في الواقع وبقدر ما كان يرى فان غالبية السكان في المنطقة الجوية رقم ١ صغار الاجسام، بشرتهم داكنة، وشكلهم دميم. والغريب في الامر أن النوع الذي يشبه الخنفساء كان يتكاثر في الوزارات: رجال صغار سمان يصبحون أقوياء في مقتبل العمر، بسيقان قصيرة، وحركات سريعة مندفعة ووجوه مكتنزة غامضة، مع عيون صغيرة جدا. كان هذا النوع هو الذي يزدهر كثيرا تحت سيادة الحزب على ما يبدو.

وانتهى بيان وزارة الرخاء بنفخة بوق ثانية فاسحة المجال لموسيقى خفيفة. أخرج بارسونز، الذي هزه وابل الارقام واعتراه حماس غامض، غليونه من فمه، وقال وهو يهز رأسه هزة الخبير العارف: (لقد قامت وزارة الرخاء بعمل رائع هذه السنة بالتأكيد. وبالمناسبة ياسميث، أظن أنه ليس لديك شفرات حلقة تستطيع أن تعطيني اياها؟)
اجاب ونستون: (ولا واحدة. مضى علي ستة أسابيع وأنا أستعمل الشفرة نفسها).

(أه، حسناً - خطر لي أن أسألك منذ لحظات فقط، أيها الولد الكبير) .

اجاب ونستون: (أسف) .

عاد الصوت الذي يشبه صوت البط والاتي من الطاولة المجاورة الى الكلام ثانية :كأعلى ما يكون. ولسبب ما وجد ونستون نفسه فجأة يفكر بالسيدة بارسونز وشعرها الضعيف الشبيه بالقش، والغبار الذي يملأ تغضنات وجهها. سوف يبلغ عنها طفلاها لبوليس الفكر خلال سنتين، وسوف تتبخر كما سيتبخر سايم وونستون وأوبرين. أما بارسونز فلن يتبخر أبدا. وكذلك المخلوق الذي بدون عيينين صاحب الصوت الذي يشبه صوت البط، والرجال الصغار الشبيهون بالخنافس والذين يعدون برشاقة في ممرات الوزارات المعقدة، والفتاة ذات الشعر الاسود التي تعمل في دائرة الادب القصصي. تراءى له أنه يعرف بالغريزة من سيظل على قيد الحياة ومن سيفنى: مع أنه ليس من السهل القول ما هي مقومات البقاء.

وفي تلك اللحظة أخرجته هزة عنيفة من أحلام يقظته. لقد استدارت الفتاة الجالسة على الطاولة المجاورة جزئيا وهي تنظر اليه. كانت الفتاة ذات الشعر الاسود وكانت تنظر اليه بطريقة جانبية ولكن بحدة غريبة. وفي اللحظة التي استرعت انتباهه نظرت باتجاه آخر. أخذ العرق يتصبب من العمود الفقري لونستون وانتابه من الرعب ألم مفاجيء ولاذع، وعلى الرغم من أنه تلاشى في الحال، الا انه ترك نوعا من الخوف والقلق المتواصل. لماذا كانت تراقبه وتلاحقه في كل مكان؟ لم يستطع لسوء الحظ أن يتذكر ما اذا كانت تجلس على تلك الطاولة عندما وصل، أم انها قد حضرت فيما بعد. على أية حال فقد جلست خلفه مباشرة بالامس أثناء دقيقتي الكراهية عندما لم تكن هناك حاجة واضحة لذلك. كان غرضها الحقيقي على الارجح أن تنصت اليه وتتأكد إن كان صراخه عاليا الى حد كاف.

وهنا عادت اليه أفكاره السابقة: ربما أنها لم تكن عضوا في بوليس الفكر فعلا، غير أن محترف التجسس بالذات هو أكثر الناس خطرا. لم يدر كم من الوقت مضى وهي تنظر اليه، ربما لخمس دقائق، ومن الممكن أنه لم يستطع

السيطرة على تعابير وجهه تماما خلالها. كان من الخطورة بمكان أن يسمح المرء لافكاره أن تسرح وهو في مكان عام، أو وهو ضمن نطاق شامة التلفزيون. ان بوسع أصغر الاشياء أن يفضح المرء: أي تقلص عمبي لا ارادي في عضلات الوجه، نظرة قلق لا شعورية - عادة الدمدمة بين المرء ونفسه - أي شيء يوحى بالشذوذ، أو بان عند المرء ما يخفيه. مهما يكن، فان أي تعبير غير ملائم يظهر على الوجه، كأن يعبر عن الشك مثلا عند الاعلان عن انتصار، كان يحد ذاته اهانة تستحق العقاب. كان لهذا مرادف في اللغة الجديدة، يسمى الوجه المجرم.

أدارت الفتاة له ظهرها ثانية: من الممكن أنها لم تكن تلاحقه فعلا، وقد يكون جلوسها قريبة جدا منه في يومين متتاليين مجرد صدفة. انطفاآت سيجارته فرفضها على حافة الطاولة بعناية على أن ينهي تدخينها بعد العمل ان استطاع حفظ التبغ فيها. من المحتمل أن يكون الشخص الجالس على الطاولة المجاورة جاسوسا لوليس الفكر فعلا، ومن المحتمل أن ونسوتون سيكون في اقبية وزارة الحب خلال ثلاثة أيام. ولكن يجب ان لا تنهب بقية سيجارته سدى. طوى سليم قمصاة الورقة وأخفاها في جيبه. أما بارسونز فقد عاد الى الحديث ثانية.

سأل وهو يضحك بينه وبين نفسه حول ساق الغليون: (هل سبق أن قلت لك كيف أشعل طفلاي النار في تنورة نسائية في السوق القديم عندما رأيا امرأة تلتف السجق في اعلان عليه صورة الاخ الكبير؟ تسللا خلفها وأشعلت النار فيها، واعتقد أن التنورة قد احترقت الى حد بعيد. الاوتاد الصغار! ولكنهما متوقفا والذكاء، متحمسن. انهما يتلقيان تدريبا من الدرجة الاولى عند الجواسيس في هذه الايام - انه أفضل من التدريب في أيامنا. أتدري ماذا كان آخر شيء قدموه لهم؟ أبواق للأذن - من أجل التنصت من ثقب المفاتيح! أحضرت ابنتي الصغيرة واحدة منها للبيت الليلة قبل الاخيرة وجربتها على باب غرفة جلوسنا، واعتقد أنها استطاعت أن تسمع ضعف ما تسمعه عندما تكون أذنها على ثقب الباب. تذكر أنها مجرد لعبة طبعاً، ومع ذلك فانها تعطيتهم صورة صحيحة، أليس كذلك؟)

وفي تلك اللحظة أرسل التلفزيون صفيرا حاداً، اشارة العودة الى العمل، وقفز الرجال الثلاثة لينضموا الى المصراع الذي يجري، حول المصاعد، وسقط ما تبقى من التبغ في سيجارة ونستون.

٦

كان ونستون يكتب في دفتر يومياته:

حصل ذلك قبل ثلاث سنوات، وكان مساء مظلم، وفي شارع فرعي ضيق، قرب احدى محطات القطار الكبرى، حيث وقفت بالقرب من مدخل في الجدار تحت مصباح الشارع الذي نادرا ما كان يعطي ضوءا. كان وجهها وجه شابة وقد طلي تماما بمستحضرات تجميلها كثيف، من النوع الذي يعجبني، يشبه بياضه القناع، والشفاة حمراء زاهية. لم تكن عضوات الحزب يصغبن وجوهن البتة، كان الشارع خاليا من الناس ومن شاشات التلفزيون. قالت دولارين. أنا... كان من الصعب جدا مواصلة الكتابة في تلك اللحظة. أنفض عينييه وضغطهما باصابعه محاولا أن يخرج بهذا الضغط الرؤيا التي ما انفكت تعاوده. كانت عنده تقريبا رغبة عارمة في أن يطلق بأعلى صوته سلسلة من الكلمات البذيئة أو أن يضرب رأسه بالحجارة، أو يركل الطاولة وأن يلقي بالحجرة من النافذة - أن يقوم بأي عمل عنيف أو مؤلم أو أن يحدث ضجة شديدة. أي شيء يمكنه حجب الذكرى التي كانت تعذبه.

فكر مليا وخرج بنتيجة مفادها أن جهازه العصبي كان عدوه اللدود. كان التوتر الذي في داخله عرضة لان يترجم نفسه الى علامة واضحة ومرئية. وتذكر رجلا مر به في الشارع قبل بضعة أسابيع، رجل عادي تماما، عضو في الحزب يتراوح عمره بين الخامسة والثلاثين والأربعين، طويل القامة قليلا ونحيفا، ويحصل محفلة. كانا على بعد أمتار قليلة عندما التوى الجانب الايسر من وجهه فجأة بفعل تقلص عضلي لا ارادي، وتكرر ذلك ثانية عندما مرا بالقرب من بعضهما البعض، مجرد ارتعاش، سريع مثل مقلقة مصراع كاميرة تصوير، غير أنه كان ناشئا عن العادة كما هو واضح. وتذكر أنه فكر في ذلك الوقت ان ذلك الشيطان التعيس مقضي عليه بالهلاك. والمخيف في الامر ان

الحركة قد تكون لا ارادية. كان التكلم أثناء النوم أشد الامور خطرا، وحسب تصوره ليست هناك طريقة تحمي الانسان منه.

أخذ نفسا واستأنف الكتابة: ذهبت معها من المدخل وعبر ساحة حافية الى مطبخ في الدور الارضي حيث يوجد سرير بجانب الجدار ومصباح خافت النور الى حد بعيد على المنضدة، هي....

أطبق فكيه باحكام، وكان بوده لو استطاع ان يبعق. وعندما كان مع المرأة في المطبخ في الدور الارضي فكر بزوجه كاترين في وقت واحد. كان وستون متزوجا على أية حال، من المحتمل أنه ما يزال متزوجا، وبقدر ما يعلم لم تكن زوجته ميتة. وتراءى له أنه يشم ثائية رائحة المطبخ الارضي المثيرة الفاسدة، رائحة مكونة من حشرات وملابس قذرة وعطر رخيص كريه، ولكنها مع ذلك مغرية لان عفورات الحزب لا يستعمل العطور البتة، ولا يمكن التعرف انهن يفعلن ذلك. كانت طبقة العمال فقط هي التي تستعمل العطور، تلك العطور التي تختلط رائحتها في ذهنه بالفسوق بشكل معقد لا سبيل الى الخلاص منه.

كان ذهنه مع تلك المرأة بمثابة الزلزلة الاولى له خلال سنتين تقريبا لان معايشرة البغاء ممنوعه من غير ريب، ولكنه كان واحدا من تلك القوارئين التي يجرؤ المرء على كسرها أحيانا. وصحيح انه أمر خطير، ولكنه لم يكن مسألة حياة أو موت. قد يعني ضبط المرء مع بغي قضاء خمس سنوات في معسكر للعمل الانزامي ليس غير، انا لم يكن قد ارتكب اساءة أخرى. كان الامر سهلا انا ما استطاع ان يتفانى أن يضبط متلبسا بالجرم المشهود. تعج الاحياء الاكثر فقرا بالانساء اللواتي لديهن الاستعداد أن يعين أنفسهن، ان كان من الممكن شراء بعضهن بقليل من الجن الذي كان مجرما على طبقة العمال. كان الحزب يعمل بصورة ضمنية الى تشجيع البغاء كمخرج للفرايز التي لا يمكن كتبها تماما، فمجرد الانغماس في الملائات لا يهم كثيرا ما دام مختلسا وخاليا من المتعة، ومحصورا في نساء من الطبقة المقموعة المحتقرة فقط. إن ممارسة الجنس غير الشرعي بين أعضاء الحزب هي الجريمة التي لا تغتفر، ومع أنها كانت من ضمن الجرائم العائبة التي اعترف بها المتهمون أثناء حملات التطهير الكبرى، كان من الصعب تصور حصولها بالفعل.

لم يكن هدف الحزب منع الرجال والنساء من انشاء ولاءات لا يمكنه التحكم فيها فحسب، ولكن كان غرضه الخفي هو ازالة كل الشعور بالمتعة والسرور من العملية الجنسية. لم يكن العدو هو الحب بقدر ما كانت الاثارة الجنسية داخل الزواج او خارجه. وجميع الزواجات التي تتم بين أعضاء الحزب يجب أن تحظى بالواقفة عليها من قبل لجنة تعين لهذا الغرض، ومع أن المبدأ لم يكن محددًا بوضوح أبدا - فقد كان السماح بالزواج يرفض دائما إذا ما اعطى الزوجان الانطباع أنهما منجبان جسديا. ان انجاب الاطفال من أجل خدمة الحزب هو الغرض المتعارف عليه، أما الاتصال الجنسي فيجب أن ينظر اليه كعملية ثانوية مثيرة للاشمئزاز بعض الشيء مثل الحقنة الشرجية. وهذا المفهوم لم يترجم الى كلمات واضحة البتة، ولكنه كان يغرس في كل عضو في الحزب من عهد الطفولة وما بعد، حتى أنه كانت هناك منظمات مثل عمبة الاحداث المتوارثة للزواج التي تؤيد الامتناع عنه بالنسبة للجنسين. يجب أن ينجب جميع الاطفال عن طريق الاخصاب الصناعي وأن ينشأوا في مؤسسات عمومية. كان ونستون يترك أن هذا لم يقصد بجدية تامة، ولكنه كان بطريقة أو بأخرى يتفق مع ايدويولوجية الحزب العامة الذي كان يحاول قتل الغريزة الجنسية، أو تشويهاها وتلويثها في حالة عدم القدرة على قتلها. لم يدرك ونستون لماذا كان الامر كذلك، ولكن بدا له امرا طبيعيا انه يجب أن يكون كذلك. أما في ما يتعلق بالنساء، فقد نجحت محاولات الحزب الى حد كبير.

وفكر بكاترين للمرة الثانية. يجب أن يكون قد مضى على افتراقهما تسع أو عشر سنوات، أو احدى عشرة سنة تقريبا. ومن الغريب أنه نادرا ما فكر فيها. كان قادرا ولأيام في كل مرة، على سنيان أنه متزوج. لقد عاشا معا لمدة خمسة عشر شهرا تقريبا. لم يكن الحزب يسمح بالطلاق، ولكنه كان يشجع الانفصال في حالة عدم انجاب اطفال.

كانت كاترين فتاة طويلة شقراء الشعر، صريحة جدا ومستقيمة وذات حركات رائعة. لها وجه جريء شبيه بوجه النس، وجه يمكن أن يصفه المرء بالنبل قبل أن يكتشف أنه لا يوجد شيء وراءه. ففي وقت مبكر جدا من حياتهما الزوجية كان قد حكم - ربما لانه عرفها عن قرب اكثر مما عرف غالبية الناس - أن لديها بدون استثناء أغني وأحرق عقل غير مصقول من بين الذين قابلهم. لم يكن في ذهنها فكرة واحدة لم تكن شعارا، ولم تكن هناك أية

حماسة، بكل ما في الكلمة من معنى، تعجز عن تصديقها إذا كان مصدرها الحزب. وكان يلقيها بينه وبين نفسه التسجيل المورثي البشري، ومع ذلك كان من الممكن أن يتحمل الحياة معها لو لم يكن من أجل شيء واحد - الجنس.

كانت تجفل وتتململ مجرد أن يلمسها، وكان عناقها أشبه بعناق تمثال خشبي ذي مفاصل. والغريب في الأمر أنها حتى عندما كانت تحتضنه كان ينتابه شعور بأنها كانت في نفس الوقت تدفعه بعيدا عنها بكل ما أوتيت من قوة، لأن قوة عضلاتها كانت تنجح في نقل هذا الانطباع. كانت تستلقي وهي مغمضة العينين، مستسلمة لا تقاوم ولا تتعاون، وضعا مربكا فوق العادة، وبعد فترة من الزمن أصبح كريبها الى أقصى حد. ولكن حتى في ذلك الوقت كان بإمكانه أن يتحمل الحياة معها لو انهما قد اتفقا أن يظلا من غير زواج ، ولكن الغريب في الأمر أن كاترين هي التي رفضت هذا قائلا أن عليهما أن ينجبا طفلا ان كان ذلك باستماتتهما. وهكذا استمرت العملية بانتظام تام مرة كل اسبوع الا اذا كانت غير ممكنة، وكانت تفكره بها في الصباح كأمر يجب انجازه في ذلك المساء والذي يجب أن لا ينسى. وكان للعملية اسمان بالنسبة لها. الاول عمل طفل، والثاني واجبتنا تجاه الحزب. نعم، لقد استعملت ذلك التعبير بالفعل. وبسرعة أخذ ينمو لديه شعور بالفزع الحقيقي كلما اقترب اليوم المحدد. ولكن لحسن الحظ لم ينجبا طفلا، وفي النهاية وافقت أن تكف عن المحاولة بعدما بوقت قصير.

تتهدد ونستون بصوت غير مسموع، وتناول قلمه ثانية وكتب:

أقلت بنفسها على السرير، وفي الحال، وبدون أية مقدمات، وبطريقة خفية وكرهية الى أبعد ما يستطيع المرء ان يتصور، خلعت تنورتها. أنا تخيل نفسه وهو يقف هناك في ضوء المصباح الخافت تملأ خياشيمه رائحة الحشرات والعطر الرخيص، وشعور بالهزيمة والأمتعاض في داخله، اختلط حتى في تلك اللحظة بذكرى جسد كاترين البض، الجامد والى الابد بفعل قوة الحزب المنومة. لماذا يجب ان يكون الوضع هكذا دائما؟ ولماذا لم يستطيع ان تكون له امرأته الخاصة بدلا من تلك المعارك القفرة على فترات متباعدة من السنين؟ غير ان وجود قصة حب حقيقية أمر لا يمكن التفكير فيه لأنه غير قابل للتحقيق، لأن جميع نساء الحزب متشابهات، فالطهارة كانت راسخة فيهن مثل الرلاء للحزب. وقت أخذم الشعور الطبيعي فيهن عن طريق التكيف المبكر

الدقيق، والتمازين والألعاب والماء البارد، والهراء الذي كانوا يغذونهن به في المدارس وعند الجواسيس وعمية الشباب، عن طريق المحاضرات، والاستعراضات العسكرية، والانشيد والشعارات، والموسيقى الحربية. كان ادراكه يقول له انه لايد من وجود استثناءات، ولكن قلبه لم يصدق ذلك. فقد كن كلهن فوق الشك كما أراد لهن الحزب أن يكن ، والذي كان يتوق اليه حتى أكثر من توقه لأن يحب، هو تحطيم ذلك الجدار من الفضية ولو مرة واحدة في حياته كلها، فاعلمية الجنسية تعتبر جريمة مبيتة، وحتى لو نجح في إثارة كاترين، ولو استماع تحقيق ذلك فانه سيكون شبيها بالإغواء رغم أنها زوجته.

والتي بقيت القشة ليجب ان تلتزمه، والتمسح
ان تستر شجرة الشياوة وتعتكف وأنتها ربي العترة ه ه ه

ظهر ضوء مصباح الكيروسين سامعا جدا بعد الظلام واستماع أن يرى المرأة بوضوح لأول مرة، كان قد ختما نحوها ثم توقف وقد ملأه شعور بالرغبة والرعب. أدرك بأن المجازفة التي ارتكبها في مجيئه الى هنا، لأنه من المحتمل جدا ان يضبطه العسس وهو في طريقه الى الخارج؛ وفيما يتعلق بهذا الامر، ربما كانوا ينتظرون خارج الباب في هذه اللحظة. وحتى لو غادر دون أن يقوم بالشيء الذي جاء من اجله..!

يجب أن تدون، يجب أن يعترف بها. ما رأه فجأة في ضوء المصباح أن المرأة كانت متقدمة في السن، وكان الطلاء الذي على وجهها كثيرا لدرجة أنه بيا وكأنه سيتشقق مثل قناع من الكرتون. كان في شعرها خطوط بيضاء، ولكن الجزء التفصيلي المخيف حقا ظهر عندما انفرج فمها قليلا وكشف عن سواد كسواد الكهوف لا غير، كانت بدون أسنان البتة.

واصل الكتابة بسرعة وبخط مشوش:
عندما رأيته في ضوء المصباح كانت امرأة مسنة، في الخمسين من العمر على الأقل، ومع ذلك مضيت وقمت بالعملية.

ضغط على جفونه بأصابعه ثانية، لقد قام بتدوينها في النهاية، ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً، ان لم ينجح العلاج النفسي، وبقيت الرغبة في اطلاق كلمات بذيئة بأعلى صوته قوية كشأنها دائماً.

٧

ان كان هناك أمل، كتب ونسقتون، فانه يكمن في طبقة العمال (البروليتاريا).

ان كان هناك أمل، فيجب أن يكمن في طبقة العمال، تلك الكتلة المحتمشة المهانة التي تعادل ٨٥٪ من سكان أورشانيا حيث تكمن القوة الممكنة توليدها للتدمير الحزب الذي لا يمكن الاطاحة به من الداخل، لانه ليست لدى أعدائه، ان كان له أعداء، الوسيلة للتجمع ولا حتى لمعرفة بعضهم بعضاً. وحتى لو كانت الاسطورة القائلة بوجود منظمة الاخاء صحيحة، كما يحتمل أن تكون، فلا يمكن أن يصدق المرء ان باستماعة أعضائها أن يتجمعوا في اعداد تزيد عن اثنين او ثلاثة. الثورة تعني نظرة في العين، تغير في الموت، وعلى الأكثر كلمة عرضية تهمس في الازن. ولكن العمال لا يحتاجون الى التامر. لو استمعوا فقط ان يتركوا مقدار قوتهم بطريقة أو بأخرى، كل ما يحتاجونه هو أن ينهضوا ويهزوا أنفسهم كما ينفخ الحمان الذباب بعيداً عنه، بإمكانهم تمزيق الحزب أرباً، فدا صباحاً لو أراوا. وبالتاليكيد لابد وان يخطر لهم القيام بذلك ان عاجلاً أو آجلاً؛ ومع ذلك ... ١

وتذكر كيف انفجرت وهو سائر في شارع مكتظ بالناس، مرخة مروعة من مئات الاموات - أصوات نساء - من شارع جانبي الى الامام قليلاً، مرخة مروعة من الغضب واليأس، عميقة وعالية، استمرت تدوي مثل صدى جرس. قفز قلبه لأنه فكر أن شعباً قد ابتداءً وأخيراً انطلق العمل، وعندما وصل الى مكان التجمع رأى حوالي مائتين أو ثلاثمائة امرأة من الرعاغ وقد تجمعن حول اكشاك لبيع السلع في الشارع يعلو الاسى وجوههن وكانهن ركاب حكم عليهن بالموت على سفينة عارفة.

ولكن اليأس العام تحول في تلك اللحظة الى عدد كبير من النزاعات الفردية، وظهر أن احد الاكشاك كان يبيع مقالتي من التنك، رديئة النوع رقيقة، غير أن الحصول على أواني الطبخ، مهما كان نوعها امر صعب للغاية، وكان المخزون منها قد نفذ على نحو غير متوقع الامر الذي عرض النساء اللواتي نجحن في الشراء الى الاصطدام والدفع بالمناكب عندما حاولن أن يهرين خلسة ومعهن الاواني التي اشترينها، بينما كانت عشرات أخريات يصرخن حول الكشك متهمات صاحبه بالتحيز والمحاباة، وبأن لديه المزيد من الاواني محفوظة في مكان ما. وسمع انفجار جديد من الصراخ عندما امسكت امرأتان ممتلئتان غرورا، وقد انسدل شعر احدهما، بنفس المقلاة في محاولة لانتزاعها من يد الاخرى. ولفترة وجيزة أخذت كلتاهما تشد بقوة الامر الذي ادى الى خلع مقبض المقلاة. كان ونستون أثناء ذلك يراقب ما يجري باشمئزاز. ومع ذلك يا لها من قوة مخيفة تلك التي تبدت في تلك الصيحة التي أطلقتها بضع مئات من الحناجر! لماذا لم يستطيعن أبدا اطلاق مثل هذه الصرخة من أجل شيء ذي أهمية؟ كتب ونستون:

لن يثرن أبدا حتى يصبحن واعيات، وحتى بعد أن يثرن فليس بوسعهن أن يصبحن واعيات.

فكر مليا في أن هذه الجملة ربما كانت مقتبسة من أحد كتب الحزب المقررة. كان الحزب يدعى أنه قد حرر العمال من العبودية، فقد كانوا قبل الثورة مضطهدين على نحو بشع من قبل الرأسماليين حيث كانوا يجوعون ويجلدون، كما كانت النساء تجبرن على العمل في مناجم الفحم، والاطفال يباعون للمصانع وهم في السادسة من العمر. ولكن وفي نفس الوقت وتمشيا مع مبادئ الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد، كان الحزب يلقن ان العمال أدنى درجة أو منزلة بالفطرة، ويجب اخضاعهم كالحوانات بتطبيق بضعة قوانين بسيطة عليهم. لم يكن من الضروري أن يعرفوا الكثير، وما داموا يعملون ويتوالدون فان نشاطاتهم الاخرى لا أهمية لها. عندما تركوا وشأنهم كالقطيع الطليق في سهول أرجنتيننا، ارتدوا الى نمط فطري من الحياة، النمط السلفي الذي نشأوا عليه والذي بدا طبيعيا بالنسبة اليهم. لقد ولدوا وترعرعوا في الأزقة والبالوعات، وكانوا يذهبون الى العمل في الثانية عشرة من

العمر، ثم يمرون بفترة قصيرة مزدهرة من الجمال والرغبة الجنسية، ويتزوجون في العشرين ويملون منتمف العمر في الثلاثين، ويموتون عادة في الستين. كان العمل الجسدي الشاق، ومسؤولية البيت والاولاد، ومشاجرات تافهة مع الجيران، وأفلام، وكرة القدم، والبيرة، وفوق كل شيء المقامرة التي تملأ أفاق عقولهم. لم يكن من الصعب السيطرة عليهم. وكان بعض عملاء بوليس الفكر يتجولون بينهم دائما ينشرون الاشاعات الكاذبة ويسجلون ويتخلصون من الافراد القلائل الذين يرتأون أن عندهم القدرة على أن يصبحوا خطرين، ولكن لم تبذل أية محاولة لتلقيحهم مذهب الحزب ومفاهيمه لأنه لم تكن هناك رغبة في ان يكون عند طبقة العمال مشاعر سياسية قوية. كل ما كان يملب منهم هو وطنية بدائية يمكن اللجوء اليها كلما دعت الحاجة لاجبارهم على قبول ساعات عمل أطول وحمص اعاشة أقل. وحتى عندما كانوا يستغلون، كما يفعلون أحيانا، فان سخطهم هذا لم يؤذ بهم الى شيء، ذلك أن عدم وجود آراء وأفكار عامة لديهم، كان يدفعهم الى تركيز سخطهم هذا على مظالم خاصة وتافهة. أما المظالم الكبيرة فقد كان يفوتهم فهمها. وحتى أجهزة التلفزيون لم تكن في بيوت الغالبية العظمى منهم، كما أن الشرطة لم تكن تتدخل بهم الا قليلا. كان في لندن مقدار كبير من الاعمال الاجرامية، عالم كامل ضمن عالم من اللصوص، وقطاع الطرق، والمومسات، وبائعي المخدرات المتجولين، والمبتزين بالتهديد من كل صنف ونوع، غير أنه لم يكن لكل ذلك أهمية لأنه كان يجري بين العمال أنفسهم، أما في الامور الاخلاقية جميعها فقد كان يسمح لهم أن يسيروا على نهج ومبادئ اسلافهم، فالتزمت والعفة الجنسية لم تكن تفرض عليهم، والاتصال الجنسي غير المشروع كان يمر من غير عقاب، كما كان يسمح لهم بالطلاق. وبقدر ما يتعلق الامر بذلك، فحتى العبادة الدينية كان من الممكن السماح بمزاواتها لو أفتهر العمال ما يدل على حاجتهم اليها أو رغبتهم فيها. كانوا أقل من أن يرتقي اليهم الشك. وحسب تعبير شعار الحزب: العمال والحيوانات أحرار.

انحنى ونستون وأخذ يحك تقرح الدوالي الذي أخذ يحكه ثانية، بحذر. ان الشيء الذي ما انفك المرء يعود اليه هو عدم امكانية معرفة كيف كانت الحياة قبل الثورة. أخرج من الدرج نسخة من كتاب تاريخ مقرر للاطفال، استعاره من السيدة بارسونز، وبدأ ينسخ فقرة منه في دفتر اليوميات.

كان على النحو التالي: (في الايام الساقفة، قبل الثورة المجيدة، لم تكن لندن المدينة الجميلة التي نعرفها الان، كانت مكانا مظلما قذرا تعيسا، بحيث لم يكن عند أحد تقريبا طعام كاف، مئات بل ألوف من الناس الفقراء كانوا حفاة بدون أحذية وحتى بدون سقف يتأمون تحته، وكان على الأطفال الذين في مثل اعماركم أن يعملوا اثنتي عشرة ساعة يوميا عند رؤساء قساة كانوا يجلدوهم بالسياط اذا ما عملوا ببطء شديد، ولم يكن هؤلاء الرؤساء يطعموهم سوى كسرات من الخبز اليابس السيء القديم وماء. وفي وسط هذا الفقر المقيع كان هناك عدد قليل من المنازل الفخمة الجميلة يقطنها أناس أغنياء لدى الواحد منهم عدد من الخدم يصل الى الثلاثين للعناية بهم والقيام على خدمتهم، يسمون بالأسماليين. وكانوا سمان الاجسام قبيحين وذوى وجوه شريرة، مثل الشخص الذي في الصورة التي على الصفحة المقابلة. وباستطاعتكم أن تروه مرتديا معطفا ملويلا أسود يسمى الفراك، وقبعة غريبة غالية من الحرير الاسود اللامع يلبسها الرجال في الحفلات الرسمية. تسمى القبعة الرسمية. كان هذا زي الأسماليين ولم يسمح لغيرهم بارتدائه. كان الأسماليون يمتلكون كل شيء في الدنيا، وكل من عداهم كان عبدا لهم! كانوا يمتلكون كل الدنيا، وكل المنازل، وجميع المصانع وكل المال. وكان بمقدورهم ان يلقوا في السجن كل من لا يمثل لأوامرهم، او تجريده من عمله وتجويعه حتى الموت. وعندما كان أي انسان عادي يخاطب واحدا منهم، كان عليه ان يتنزل وينحني احتراما، وأن ينزع قبعته ويخاطبه بكلمة سيد، وكان رئيس الأسماليين جميعهم يدعى الملك، و...)

ولكنه كان يعرف بقية القائمة التي سوف تأتي على ذكر الاساقفة بأكمامهم الشفافة، والقضاة بارديتهم الممنوعة من فراء القاقم * الثمين، وأداة التعذيب الخشبية ذات الثقوب التي كانت تقيد فيها رجلا المنذب ويداها، وطاحون الدروس، والسياط، ومأدبة المحافظ، وعادة تقبيل اصبع قدم البابا. كما كان هناك القانون الذي يعطي الحق لكل رأسمالي أن يضاجع أية امرأة تعمل في أحد مصانعها، ذلك القانون الذي ليس من المحتمل ذكره او الاشارة اليه في كتاب مدرسي للأطفال.

* القاقوم: حيوان من فصيلة بنات عرس.

كيف يستمتع المرء ان يدرك مقدار ما فيه من أكاذيب؟.. ربما كان صحيحا أن الانسان العادي هو أحسن حالا، الان مما كان عليه قبل الثورة. ان البنية الوحيدة التي تفيد عكس ذلك هي الاعتراض الصامت في الأمور العظيمة ذاتها، الشعور الغريزي بأن الأوضاع المعيشية السائدة لا تطاق، وان هذه الأوضاع لا بد وانها كانت مختلفة في وقت آخر. وخطر له أن الصفة المميزة الحقيقية بالنسبة للحياة العمرية لا تكمن في قسوتها وعدم أمنها واستقرارها، ولكن في عريتها وحقارتها وفتور الهمة فيها، فالحياة انا ما نظر المرء حوله، لا تمت بعملة الى الأكاذيب التي تنهمر من شاشات التلفزيونات فحسب، ولكن ليس لها صلة بالمتاليات والغايات التي يحاول الحزب تحقيقها، والتي كان الكثير من مجالاتها محايدا وغير سياسية حتى بالنسبة لعضو في الحزب، فهي عبارة عن كدح من خلال أعمال كثيفة متواصلة مثل الكفاح من أجل الحصول على مكان في قطار تحت الأرض، ورتق جورب مهترى، وتطفل من أجل قرص من السكرين، وتوفير قمع سيجارة، كان الرضع المثالي الذي وضعه الحزب شيئا ضخما، رهيبا، ومتألقا - عالم من الفولان والاسمنت، والالات الضخمة والأسلحة المخيفة المروعة، أمة قوامها المحاربون والمتحمسون، يسرون قدما في انسجام تام، تدور بأنماطهم نفس الافكار وينادون بنفس الشعارات، يعملون على الدوام، يحاربون ويتصرون ويخطفون، ثلاثمائة مليون نسمة جميعهم بنفس الملامح. وكانت الحقيقة تتضمن وتتلشى تدريجيا، فالمن القذرة ينقصها التعفنية، والناس غادون ورائحون يجرون أقدامهم بأحذية مهترئة تنفخ اليها المياه، يسكنون منازل مرقعة من القرن التاسع عشر تفوح منها رائحة الملقوف والمراحيض السيئة. تراءى له أنه يرى خيال مدينة لندن، ضخمة فسيحة ومتهدمة، مدينة المليون صندوق قمامة، واختلط مع الرؤية صورة السيئة بارسونز، امرأة ذات موجه مغضن وشعر أشعث تعبت بعجز بماسورة مسدودة للمياه القفزة.

انحنى الى اسفل وحك كاحله ثانية. وكانت أجهزة التلفزيون تصم الاذان ليل نهار بالاحصائيات لتبرهن أنه يوجد عند أهل هذه الايام طعام اكثر، وملابس أكثر ومنازل افضل ووسائل استجمام أفضل وانهم يعيشون أطول، ويعملون ساعات أقل، وأنهم أكبر حجما وأفضل صحة وأكثر قوة وأسعد حالا ، وأكثر ذكاء، وأفضل علما من الناس الذين عاشوا قبل خمسين سنة. لم يكن من

الممكن أيضا أن يبرهن المرء أو يدحض كلمة واحدة من كل ذلك. فعلى سبيل المثال ادعى الحزب ان أربعين بالمئة من العمال البالغين يتعلمون في هذه الايام، وأن العدو كان فقط ١٥٪ قبل الثورة. كما ادعى الحزب ان معدل الوفيات بين الامفال في الوقت الحاضر هو ١٦٠ بالالف في حين كان ٣٠٠ بالالف قبل الثورة - وهكذا كان الامر اشبه بمعادلة واحدة ومجهولين اثنين. من الممكن ان تكون وبواقعية كل كلمة في كتب التاريخ، حتى الامور التي يتقبلها المرء ويسلم بها من غير شك او جدال، مجرد خيال لا غير. كل ما كان ونستون يعرفه أنه قد لا يكون هناك البيته قانون يعطي الحق لكل رأسمالي ان يضاجع أية امرأة تعمل في أحد مصانعه، او قد لا يكون هناك مخلوق رأسمالي، أو أي لباس كقبعة رسمية.

كل شيء تلاشى الى ضباب. انمحنى الغامضي ونسي الانمحاء، وأصبحت الكذبة حقيقة. كان قد امتك للمرة واحدة فقط بعد الحادثة، شيئا اعتمد عليه، دليلًا ماديا واضحا على عملية تزييف، وقد امسكه بين اصابعه لمدة ثلاثين ثانية. حصل ذلك سنة ١٩٧٣، لابد وأنه حصل في ذلك الوقت على أية حال، لقد حصل حوالي الوقت الذي افترق فيه وكاترين عن بعضهما. ولكن التاريخ الحقيقي الوثيق الصلة بالموضوع كان قبل سبع سنوات او ثمان.

وفي الحقيقة فقد بدأت القصة في منتصف الستينات، الفترة التي تمت فيها حملة التطهريات الكبرى والتي ابعد خلالها القادة الامليون للثورة نهائيا والى الابد، بحيث لم يبق منهم في سنة ١٩٧٠ سوى الاخ الكبير نفسه. أما الباقون فقد كانوا قد فضعوا في ذلك الوقت واكتشف انهم كانوا خونة متطرفين يعملون ضد الثورة. وقد هرب جورك ستاين واختبأ في مكان مجهول. أما عن الاخرين فقد اخفي بعضهم ، بينما أعدمت غالبيتهم بعد محاكمات عليية دراماتيكية اعترفوا أثناءها بجرائمهم. وكان من ضمن آخر من ظفوا على قيد الحياة ثلاثة رجال هم جونز،ارنسون، وروثفورد. لابد ان اعتقال هؤلاء الرجال الثلاثة قد تم في سنة ١٩٦٥. وكما يحصل في الغالب، فقد اختفوا لمدة عام او اكثر، حتى أن المرء لم يكن يعرف ما اذا كانوا احياء او امواتا، ثم ظهروا فجأة ليورطوا أنفسهم حسب الطريقة المألوفة، واعتترفوا بانهم كانوا على اتصال بالعدو، وانهم تبادلوا المعلومات معه (كان العدو أنتاك أورشاسيا)، وانهم

اختلفوا اموال الشعب، وقتلوا أعضاء مؤتمنين متعددين من الحزب ، كما اعترفوا بقيامهم بمؤامرات ضد قيادة الأخ الكبير التي بدأت قبل الثورة بوقت طويل، وبأعمال تخريبية تسببت بموت مئات الالوف من الناس، وبعد أن اعترفوا بكل هذه الاشياء صدر العفو عنهم، واعيد تعيينهم في الحزب، وأعطوا وظائف كانت في الحقيقة وظائف عاطلة لا يقوم اصحابها بأي عمل، ولكنها تبدو مهمة. وقد كتب ثلاثتهم مقالات طويلة مثلثة في الاوقات حللوا فيها اسباب ارتدادهم عن مذهب الحزب واعيد بتقديم تعويضات.

وبعد اطلاق سراحهم بوقت ما، رأهم ونسترن فعلا في مقهى شجرة الكستناء. تذكر نوع الانبهار الرهيب الذي استولى عليه وهو جالس يراقبهم بطرف عينه. كانوا اكبر منه سنا بكثير، أثار من العالم القديم، آخر من تبقى تقريبا من الشخصيات العظيمة من أيام الحزب البطولية القديمة. وما يزال سحر النضال السرى والحرب الاهلية يعلق بهم بصورة ضعيفة. كان عنده الشعور، مع ان الحقائق والتواريخ كانت تزداد غموضا في ذلك الوقت، بأنه قد عرف اسماءهم قبل أن يعرف اسم الاخ الكبير بسنرات. ولكنهم خارجين على القانون، أعداء لا يجوز الاتصال بهم، محكوم عليهم بالزوال خلال سنة أو سنتين بكل تأكيد، ان لم يسبق ان نجا احد من الذين وقعوا في أيدي بوليس الفكر في أي وقت ابداء. كانوا جثتا تنتظر اعادتها الى القبر.

لم يجلس احد على الطاولات القريبة من طاوتهم، لأنه لم يكن من المحكمة ان يرى المرء في جوار مثل هؤلاء الناس. جلسوا صامتين امام كوؤس من الجن فيها نكهة كبش قرنفل والتي كانت من اختصاص المقهى، وكان مظهر روثفورن أكثر الثلاثة تأثيرا في نفس ونسترن. كان روثفورن في ما مضى رساما كاريكاتيريا مشهورا. وقد ساعدت رسوماته القاسية الموجهة على اثاره الرأي العام قبل الثورة وأثناءها. وحتى الآن، كانت تظهر وعلى فترات متباعدة، رسوماته في الاوقات، وكانت تقليدا لاسلوبه السابق ليس غير، تعوزها الروح بشكل غريب عدا كونها غير مقنعة. كانت دائما عن مواضيع قديمة أفرغت في قالب جديد - مبانى تشتمل على عدة شقق في أحياء فقيرة، أطفال يموتون جوعا، معارك في الشوارع، رأسماليون يرتدون القبعات الرسمية - وحتى وهم على المتاريس كانوا ما يزالون يتمسكون بقبعاتهم الرسمية - محاولة يائسة بلا

نهاية للعودة الى الماضي، كان روثفورد رجلا ضخما ذا عرف من الشعر الأشيب الذهني المظهر، ووجه مغضن متجمع تحت العينين، وشفتين غليظتين كشفاه الزنوج ، لايد وأنه كان في وقت من الأوقات قويا بشكل هائل، أما الان فقد كان جسمه الكبير ضعيفا متهدلا، منحنيا، منتفخا متناعيا من كل جانب. بدا وكأنه يتداعى امام الناظر اليه، مثل الجبل الذي يتقوض. كانت الساعة الخامسة عشرة الموحشة، ولم يستطع ونستون ان يتذكر كيف حدث ان كان في المقهى في مثل ذلك الوقت. كان المكان خاليا تقريبا، والتلفزيون يبث موسيقى خفيفة، وقد جلس الرجال الثلاثة في زاويتهم بلا حراك تقريبا ودون ان ينبسوا ببنت شفة. أحضر النادل كؤوسا جديدة من الجن من غير ان يطلب منه. وعلى الطاولة التي بجانبهم انبسطت رقعة شطرنج بشكل منظم، غير ان اللعبة لم تبتدئ بعد. وحصل أنفذ شيء ما لأجهزة التلفزيونات، تغير اللحن الذي كانوا يعزفونه كما تغير نغم الموسيقى أيضا. كانت نغمة غريبة، أجمّة، ساخرة، منكره كموت الحمار: سماها ونستون في ذهنه نغمة صفراء وهي معنية بالخيار المشيرة أو الأبناء المحرفة على نحو مثير، وبعدها أخذ صوت من التلفزيون يعني:

تحت شجرة الكستناء المترامية

ظعتك وخذعتني

كانو يتربصون هناك

وكنا نحن نتربص هنا

تحت شجرة الكستناء المترامية

لم يتحرك الرجال الثلاثة ابدا. ولكن عندما ألقى ونستون نظرة عجلة على وجه روثفورد المتهدم، لاحظ ان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع، ولاحظ لأول مرة، بشيء من الارتجاف الداخلي مع انه لم يدر ما الذي جعله يرتجف، أن انف كل من أرنسون وروثفورد كان مكسورا.

وبعد ذلك بقليل ألقى القبض عليهم ثانية بعد أن ظهر انهم كانوا قد تورطوا في مؤامرات جديدة منذ اللحظة التي أمّلق سراحهم فيها. وفي محاكمتهم الثانية اعترفوا من جديد بجميع جرائمهم السابقة مع سلسلة من

الجرائم الجديدة. وأعدموا وسجل مصيرهم في تواريخ الحزب ليكونوا عبرة للاجيال القادمة. وبعد ذلك بخمس سنوات تقريباً، في سنة ١٩٧٣ ، بينما كان ونستون يتشر لفيغة من الوثائق التي اقيت من الاثوبة الهوائية على مكتبه، أتى على قطعة من الورق ، من الواضح انها وضعت خلسة بين الاوراق الاخرى ثم نسيت. وفي اللحظة التي نشرها فيها اكتشف اميتها. كانت عبارة عن نصف صفحة نزلت من الاوراق قبل حوالي عشر سنوات - كانت النصف الاعلى من الصفحة لذلك فقد تضمنت التاريخ - كما تضمنت صورة لمدونى الحزب عندما كانوا في مهمة رسمية في نيويورك. وكان جونز وأرثسون وروثفورد في وسط المجموعة بشكل بارز بحيث لا يمكن للمرء أن يخطئهم. وعلى أية حال، كانت اسماؤهم في التعليق الذي في أسفل الصورة. كانت التقملة الاساسية في الامر ان الرجال الثلاثة قد اعترفوا اثناء المحاكمتين بوجودهم على أرض أوراسيا في ذلك التاريخ، فقد استقروا الطائرة من مطار سرى في كندا الى مورد في مكان ما في سيبيريا، وتشاوروا مع اعضاء من الاركاز العامة الاوراسية وكشفوا لهم أسراراً عسكرية هامة. وقد علق التاريخ بذهن ونستون لانه صادف أن اليوم كان منتصف الصيف. ولكن لابد أن القصة جميعها قد سجلت في أماكن اخرى لا تحصى. كان هناك استنتاج واحد محتمل: الاعتراقات كاذبة.

طبعاً لم يكن ذلك بطبيعة الحال اكتشافاً في حد ذاته، لأن ونستون لم يتصور حتى في ذلك الوقت أن الناس الذين أبيضوا في عمليات التطهير قد اترفوا فعلاً الجرائم التي اتهموا بارتكابها، ولكن كان هذا دليلاً ملموساً، جزءاً من الماضي الذي انمحي، مثل عظمة متحجرة تكتشف في الطبقة غير الصالحة وتحطم بذلك نظرية جيولوجية. كان الدليل كافياً لنسف الحزب الى ذرات اذا امكن نشره واعلان أميته بطريقة ما على العالم.

استمر ونستون يعمل، وحالما أرك كنه الصورة ومعناها، غملاًها بورقة ثانية، ولحسن الحظ كانت عندما بسمها مقلوبة رأساً على عقب من موقع التلفزيون.

تناول افضامة ورق الخريشة من على ركبته ونفع كرسيه الى الخلف حتى يتبعد عن شاشة التلفزيون قدر الامكان. لم يكن بالامر الصعب أن يحتفظ

المرء بوجه ظلوا من التعبير، وحتى تنفسه يمكن السيطرة عليه بجهد، ولكن ليس بوسعها التحكم بنبضات قلبه، وكانت الشاشة من الدقة بمكان بحيث يمكنها ان تلتقطها. سمح لعشر دقائق حسب تقديره أن تمر، كان الخوف خلالها يعذبه من أن حادثة ما - تبار هوائي مفاجيء يهب على مكتبه، مثلا - سوف تكشف أمره. عندئذ وبدون أن يكشف عنها مرة ثانية، ألقى بالمرورة في فتحة الذاكرة مع بعض أوراق تالفة أخرى لتتحول الى رماد خلال دقيقة.

حصل ذلك منذ عشر - احدى عشرة سنة. ولوحصل ذلك هذه الايام لاحتفظ بالمرورة على الارجح. ومن الغريب أن حقيقة مسك المرورة بامابعه أحدث تغييرا حتى عندما أصبحت المرورة نفسها والحادثة التي سجلتها مجرد ذكرى، وتساءل هل أصبحت سيطرة الحزب على الماضي أقل قوة لمجرد أن دليلا واحدا لم يعد له وجود كان موجودا فيما مضى؟ ولكن قد لا تكون المرورة في هذه الايام دليلا حتى لو فرضنا ان بالامكان بعثها ثانية من العدم بطريقة أو بأخرى، ففي الوقت الذي قام باكتشافه لم تعد ارشائيا في حالة حرب مع أوراسيا، ولا بد ان الرجال الثلاثة الذين كانوا في عداد الاموات قد كشفوا أسرار بلادهم لعملاء من استاسيا. ومنذ ذلك الحين كانت هناك تهم أخرى اثنتان، ثلاثة، لم يستطع أن يتذكر عددها. على الارجح أنه قد أعيد كتابة الاعتراضات مرات عديدة حتى لم يعد للحقائق الاصلية والتواريخ أقل أهمية. فالماضي لم يتغير فحسب، ولكنه يتغير باستمرار. ان اكثر ما يحزنه، وكأنه تحت وطأة كابوس، أنه لم يفهم البتة السبب في انهم أخذوا على عاتقهم القيام بهذه الخدعة الكبيرة. ان المصالح العاجلة لتزوير الماضي كانت واضحة، ولكن الحافز النهائي كان غامضا.

تناول قلمه ثانية وكتب:
انتي أدرك كيف: ولكن لا أدرك لماذا.
تساءل، كما تعود أن يفعل من قبل، ما اذا كان هو نفسه طائشا. قد يكون المجنون الوحيد. كان من الجنون أن يصدق المرء أن الارض تدور حول الشمس في وقت من الاوقات. اما اليوم فان من الجنون أن يصدق أن الماضي غير قابل للتغيير. قد يكون الوحيد الذي يؤمن بهذا المعتقد، وان كان الامر كذلك فهو اذن مجنون، ولكن فكرة كونه مجنونا لم تزجه كثيرا. ان الشيء المرعب يكمن في احتمال ان يكون مخفقا ايضا.

تناول كتاب التاريخ الخاص بالاطفال ونظر الى صورة الاخ الكبير التي كانت تولف صفحة عنوانه. حدثت العينان المنومة مغناطيسيا في عينيه، فشمع كأن قوة هائلة كانت تضغط عليه - شيء نفذ الى مجتمه فانرا دماغه بقوة أربعة لدرجة انه جرده من معتقداته، وحثه تقريبا على رفض وانكار دليل حواسه. سوف يعلن الحزب في النهاية ان اثنين زائد اثنين تساوي خمسة، وعلى المرء أن يصدق ذلك. كان أمرا محتوما ان يقوم الحزب بذلك الادعاء ان عاجلا او اجلا: لأن منطق وضعهم تنكر ضمنا وجود الحقيقة الواضحة ذاتها، وكان فحسب، ولكن لان فلسفتهم تنكر ضمنا وجود الحقيقة الواضحة ذاتها، وكان الحكم على الأشياء بصورة صائبة وسليمة بوعة البع. لم يكن المرعب في الامر أنهم سيقتلون كل من يفكر بطريقة مغايرة لتفكيرهم، ولكن لانهم قد يكونون على حق، لأنه، وعلى الرغم من كل شيء، كيف يمكننا ان نعرف أن اثنين زائد اثنين تساوي أربعة؟ أو ان قوة الجاذبية تعمل؟ او ان الماضي غير قابل للتغيير؟ فانا ما كان الماضي والعالم الخارجي موجودين في العقل فقط، وان كان العقل نفسه يمكن السيطرة عليه، فماذا انن؟

ولكن كلا! وفجأة تراءى له ان جرأته تتصلب وتقوى طوعا ومن غير اكرام، فقد طاف في ذهنه وجه اوبرين الذي عاد الى الناكرة دون ما سبب واضح لذلك. ادرك بيقين اكثر من ابي وقت مضى ان اوبرين في جانبه، وانه كان يكتب اليوميات من أجله واليه: كانت بمثابة رسالة لا متناهية، ان يقرأها أحد ابناء، غير انها كانت موجهة لشخص مهم وخاص، وأنها اكتسبت صيغتها من تلك الحقيقة.

كان الحزب يطلب أن يرفض المرء دليل عينيه وأذنيه، وكانت تلك أوامره الأساسية النهائية. وغاص قلبه بين ضلوعه عندما فكر بالقوة الهائلة التي ستنتظم ضده، والسهولة التي يستطيع بها أي عضو ذكي في الحزب ان يهزمه في مناقشة الحجج الماكرة البارعة والتي لن يكون بوسعها ان يفهمها، وبدرجة أقل كثيرا، ان يجيب عليها. ومع ذلك كان هو على صواب، وكانوا هم على خطأ.

يجب ان يدافع عن الشيء الواضح البين، الساذج البسيط، الصحيح الصادق،

الحقائق البديهية صحيحة، وعلى المرء أن يستمر في إيمانه وتمسكه بها! فالعالم الصلب موجود، ونواميسه ثابتة لا تتغير. فالحجارة قاسية صلبة، والماء رطب، والاشياء غير المدعومة تسقط نحو منتصف الارض. وكتب وهو يحس انه يخاطب اوبرين وأنه يعلن حقيقة بديهية هامة:

الحرية هي الحرية ان تقول اثنين زائد اثنين تساوي اربعة. فاننا سلمنا بذلك فكل ما عداه يتبع.

٨

انتشرت من مكان ما في أسفل أحد الممرات في الشارع رائحة البن المحمص، بن حقيقي، ليس بن قهوة النمر. توقف ونستون لا اراديا. ثم انقل باب بعنف عازلا الرائحة على نحو مفاجيء وكما لو كانت صورتنا. ولمدة ثانيتين تقريرا عاد الى عالم ملفوئه المعنسي بصورة جزئية.

كان ونستون قد سار فوق أرصفة الشوارع لعدة كيلو مترات الامر الذي سبب له ارتجافا في قرحةالدوالي التي يعاني منها. كانت هذه المرة الثانية خلال ثلاثة اسابيع فاته فيها حضور الامسية في المركز الاجتماعي. تصرف طائش لأن عدد حضور المرء الى المركز كان يضببط بدقة بالتاكيد. من حيث المبدأ لم يكن لعضو الحزب وقت فراغ، ولا يمكنه أن يكون وحيدا أبدا الا وهو في فراشه. وكان من المفروض ان يشارك في اي استجمام شعبي من اي نوع ما دام لا يعمل، او يأكل، أو ينام: ان قيام المرء بعمل شيء يوجي برغبة في العزلة، كأن يذهب مشوارا بمفرده، خطر الى حد ما. وكان لذلك امصلاح في اللغة الجديدة، كانت تسمى "حياة خاصة" وتعني الفردية وغزابة الاطوار. ولكن عندما خرج ونستون من الوزارة في هذا المساء حيث كانت السماء زرقاء بصورة توجي بالدف اكثر من أي وقت مضى في تلك السنة، اغراه هواء نيسان ذو الرائحة العطرة، وشعر فجأة ان الامسية المطوية الصاخبة في المركز، والالعاب المملة المرقة، والمحاضرات، والمداقاة الحميمة المملفة بكلام متملق بفعل الجن، كلها لا تطلق. وبصورة مرتجلة انصرف من محطة الباص وانفذ

يتجول في ممرات وأزقة لندن متجها أولا نحو الجنوب ثم نحو الشرق، ثم اتجه شمالا للمرة الثانية تائها في شوارع مبهولة دون أن يزعج نفسه في أي اتجاه يذهب.

(ان كان هناك امل) كان قد كتب في دفتر يومياته (فانه يكمن في طبقة العمال). ما انفكت الكلمات تعود الي ذاكرته، تعبير لحقيقة غامضة وسخف ملموس واضح. كان في مكان ما من الاحياء الفقيرة المجهولة ذات اللون البني، شمال وشرق ما كانت تعرف بمحطة القديس بانكراس في يوم ما. سار في شارع مرصوف بالحصى موازنة بيوته الصغيرة من طابقين مداخها بالية من كثرة الاستعمال، وتعل على الرصيف مباشرة بحيث كانت توحى بطريقة ما انها جحور للجرذان. وكانت هنا وهناك بين الحصى برك صغيرة قدرة الماء. وكانت المداخل المظلمة ومطرق الازقة الضيقة المتفرعة من كلا الجانبين تعج بأعداد مذهلة من الناس الداخلين اليها والخارجين منها: فتيات في ريعان الشباب مملية شفاههن باحمر شفاه بطريقة غير متقنة، وشباب يطاردون الفتيات، ونساء يتهادين مظهرات ما ستكون عليه حالة الفتيات في غضون عشر سنرات، ومخلوقات متقدمة في السن منحنية الاجسام تمشي على اقدام مفلطحة، وأطفال حفاة شعث يلعبون في البرك الموحلة ثم يتفرون على اثر صيحات امهاتهم الغاضبة. ربما كانت ربع النوافذ التي في الشارع مهشمة ومكسرة بالواح خشبية. لم يعر معظم الناس ونستون أي اهتمام، قلائل منهم نظروا اليه من نوع من الفضول المتسم بالحدز. وكانت امرأتان ضحمتان جدا، بسواعد حمراء مملوية فوق متزريهما تتحدثان خارج احد المداخل، وعندما دنا ونستون منهما سمع قليلا من حديثهما:

قلت لها: " نعم، كل ذلك حسنا جدا، ولكن لو كنت مكاني لفعلت نفس الشيء الذي فعلته. من السهل على المرء ان ينتقد، ولكن ليس لديك ما لذي من مشاكل".

"آه"، قالت الاخرى " هذا هو الحال تماما وهنا تكمل المشكلة".

وتوقفت الاصوات العالية فجأة. وتأملت المرأتان ونستون عندما مر بهما بعمت غير ودي، غير انه لم يكن عداء على نحو دقيق، بل نوعا من الحذر

فقط، تصلب عابر شبيه بذلك الذي يصاحب مرور حيوان غير مألوف، لان السروال الذي يرتديه اعضاء الحزب لا يمكن ان يكون منظرًا مألوفًا في مثل ذلك الشارع. ليس من الحكمة في الواقع ان يرى المرء في مثل هذه الاماكن الا اذا كان لديه فيها عمل محدد، فقد يوقفه الخفر انا التقي بهم مصاففة ويسألونه: "اتسمح ان تربيها اوراقك ايها الرفيق؟" " ماذا تفعل هنا؟" متى تركت العمل؟" اهذه طريقك المعتاده الى البيت؟" وهكذا. ليس لان هناك قانونًا يمنع الذهاب الى البيت من طريق غير مألوف، ولكن عملا مثل ذلك يكفي لان يلفت الانتباه الى المرء اذا ما علم به بوليس الفكر.

وفجأة اصبح الشارع جميعه في حالة فوضى واهتياج، وجاءت صرخات التحذير من كل الجهات، واندفع الناس الى مداخل المنازل كالارانب، وقفزت امرأة شابة من مدخل احد البيوت التي امام ونستون بقليل وامسكت بطفل صغير نحيل كان يلعب في بركة ماء موحلة ثم لفته بمريرها وقلت عائدة في حركة واحدة. وفي نفس اللحظة ظهر رجل يرتدي بزة سواد تشبه الاكورديون، اسرع تجاه ونستون وهو يشير الى السماء بحماس وصاح قائلاً: "المبخره؟ انتبه ايها المدير! ستفجر فوق رؤوسنا! استلق على الارض بسرعة." كانت كلمة المبخره اللقب الذي يستعمله العمال، لسبب أو لآخر، للقنبلة الصاروخية، ومن غير ابطاء انبطح ونستون أرضاً لأنه غالباً ما يكون العمال على حق عندما يطلقون تحذيراً من هذا النوع وكانهم يمتلكون ثوعاً من الغريزة تخبرهم قبل بضع ثوان عندما تكون قنبلة صاروخية في طريقها اليهم، مع أن المفروض في القنبلة الصاروخية أن تكون أسرع من الصوت. شبك ونستون ساعديه فوق رأسه ثم سمع هديرًا جعل رصيف الشارع كأنه يرتفع، وضرب وابل من الاشياء الخفيفة ظهره بصورة سريعة متكررة. وعندما نهض واقفاً، وجد نفسه مغطى بشظايا من زجاج من اقرب نافذة.

واصل السير، وكانت القنبلة قد دمرت مجموعة من المنازل على بعد مائتي متر في أعلى الشارع. وتدل من السماء دخان أسود على شكل ريشة الطائر، ظهرت تحته غيمة من غبار الحصى. وفي ذلك الوقت تجمع جمهور حول الدمار. وعلى الرصيف الذي امام ونستون كانت كومة صغيرة من الجص رأى في وسطها شريطاً احمر فاقعاً، وعندما وصله وجد أنه يد انسان بترت من

الرسغ. وبصرف النظر عن الجدعة* المملطخة بالدم، كانت اليد مبيضة تماما لدرجة جعلتها تشبه قالبا من الجص.

ركل اليد المبتورة الى البالوعة التي في جانب الطريق وتحول الى شارع فرعي في الجهة اليمنى حتى يتجنب الجمهور. وفي غضون ثلاث أو أربع دقائق أصبح خارج المنطقة التي تأثرت وقد عادت حياة الشوارع القذرة الصاخبة الى طبيعتها وكان شيئا لم يكن. كانت الساعة حوالي العشرين حيث تغص حوانيت الشرب التي يردتادها العمال بالزبائن، وكانت تفوح من أبوابها المتحركة القذرة التي تفتح وتغلق الى ما لا نهاية، رائحة البول والنشارة والبيرة الفاسدة. وفي زاوية مؤلفة من واجهة بارزة لاحد المنازل كان يقف ثلاثة رجال متراصين يحمل اوسطها جريدة مطوية كان الآخرين يقرأنها من فوق كتفه، وحتى قبل أن يقترب منهم اقترابا كافيا لاكتشاف التعبير الذي على وجوههم، استطاع ونستون ان يرى الاستغراق في كل جزء من أجسامهم. من الواضح انهم كانوا يقرأون خبرا هاما. كان على بعد خطوات منهم عندما انفض عقد المجموعة فجأة، ودخل اثنان منهم في مشادة كلامية عنيفة، ولفترة وجيزة تراءى لونغتون أنهما على وشك التشابك بالايدي.

(ألا تستطيع أن تستمع لما أقول أيها الوحش اللعين؟ لم يربح أي رقم ينتهي بالعدد سبعة لمدة تزيد عن عشر شهرا).

(بلى لقد ربح).

(كلا لم يربح! عندي في البيت جميع الارقام الرابحة على ورقة لاكثر من سنتين، لأنني أسجلها بانتظام كالساعة، وأقول لك أنه لا رقم منها ينتهي بالعدد سبعة..).

نعم، لقد ربح رقم ينتهي بالعدد سبعة! استطيع أن أعطيك الرقم اللعين. كان ينتهي بالرقم أربعة صفر سبعة، وكان ذلك في شباط - الاسبوع الثاني من شباط.

* ما بقي من العضو بعد القطع.

شباط، هراء! جميع الارقام مسجلة عندي بوضوح، وأقول لك انه لا رقم.

وقال الرجل الثالث: (آوه، أنهيتا الموضوع).

كانوا يتحدثون عن اليانصيب. وعندما نظر ونستون خلقه بعد أن قطع ثلاثين مترا، كانوا ما يزالون يتجادلون بوجوه مفعمة بالفضب والانفعال. كان اليانصيب بجوائز الاسبوعية الهائلة الحدث الشعبي الوحيد الذي يعيره العمال يعتبرون اليانصيب السبب الرئيسي، ان لم يكن الوحيد، لبقائهم على قيد الحياة، فقد كان بهجتهم حماقتهم، وعقارهم المسكن، وحافزهم الفكري. أما فيما يتعلق باليانصيب، فحتى الذين يستمذعون القراءة والكتابة يشق النفس، كانوا قارين على القيام بحسابات معقدة واعمال مذهلة تتطلب ذاكرة. كانت هناك قبيلة كاملة من الرجال الذين يكسبون قوتهم عن طريق بيع النظم، والتكهنات، والتعاويد. لم يكن لو نستون أية علاقة بآلة يانصيب الذي يدار من قبل وزارة الرخاء، ولكنه كان يدرك (كما كان يدرك جميع اعضاء الحزب) ان الجوائز خيالية، وان مبالغ قبيلة تدفع في الواقع لان الفائزين بالجوائز الكبيرة لم يكونوا موجودين، ولم يكن ترتيب ذلك بالامر الصعب في غياب الاتصال الداخلي بين أجزاء او شائبا.

ولكن ان كان هناك أمل فانه يكمن في طبقة العمال، وعلى المرء ان يتشبث بهذه الحقيقة، وعندما يعبر عنها في كلمات فانها تبدو معقولة: عندما ينظر المرء الى الناس الذين يملون به وهو على الرصيف، تصبح هذه الحقيقة، ايضا. كان الشارع الذي انعمف اليه يسير في منحدر، وكان عنده احساس في أنه سبق وكان في تلك المنطقة من قبل، ولن هناك شارعا رئيسيا لا يبعد عنها كثيرا. ومن مكان ما أمامه جاءه ضجيج أصوات تصبح. انعمف الشارع بحده ثم انتهى في درجات سلم أدت به الى زقاق غائر فيه مجموعة من أصحاب الاكشاك الذين يبيعون خضروات غير طازجة. وفي تلك اللحظة تذكر ونستون المكان الذي كان فيه. أدى الزقاق الى الشارع الرئيسي، وعند المنعطف التالي، وعلى بعد أقل من خمس دقائق يقع حانوت السلع المستعملة الذي اشترى منه الدفتر الخالي من الكتابة والذي أصبح دفتر يومياته. ومن حانوت صغير للقرطاسية لا يبعد كثيرا كان قد اشترى حمالة قلمه وقبينة الحبر خاصته.

توقف لبرهة وجيزة في أعلى السلم، وكان في الجهة المقابلة للزقاق مكان عام قدر بدت توافقه وكأنها مكسوة بالجليد، ولكنها في الحقيقة كانت مغطاة بالغبار الكثيف. دفع رجل طامن في السن منح الجسم ولكنه نشيط ذو شارب أبيض ينتصب الى الامام بخشونة كشارب القريدس، دفع الباب المتحرك ودلف الى الداخل. وعندما وقف ونستون يراقب، خطر له أن الرجل الكبير، الذي لا يد أن يكون في الثمانين من العمر على الاقل، كان في منتصف العمر عندما حصلت الثورة، حيث ظل هو وأمثاله القلائل، الحلقات الاخيرة الباقية التي تربطها مع عالم الرأسمالية الزائل. لم يبق في الحزب نفسه الكثير من الناس الذين تكونت أراؤهم قبل الثورة، وقد أبعاد الجيل الاكبر سنا في حملات التطهير الكبرى التي جرت في الخمسينات والستينات، أما القلائل الذين بقوا على قيد الحياة فقد أزهوا حتى أجبروا على خضوع فكري كامل. ان كان هناك أي شخص على قيد الحياة بمقدوره أن يقدم تقريرا صادقا عن الازواج خلال الجزء الاول من القرن، فيجب أن يكون من طبقة العمال. فجأة عاد الى ذهن ونستون الجزء الذي نقله من كتاب التاريخ الى دفتر يومياته، واستحوذت عليه رغبة جنونية طائشة، سيذهب الى المكان العام وسيتعلم التعرف على الرجل الطامن في السن وسيستجوبه، وسيقول له:

(حدثني عن حياتك عندما كنت صبيا. كيف كانت الحياة في تلك الايام؟ هل كانت الاحوال أفضل مما هي عليه الآن أم أسوأ؟)

وحتى لا يعطني لنفسه الوقت للخوف والتردد نزل الدرج بسرعة واجتاز الشارع الضيق، كان تصرفا جنونيا من غير ريب. وكالمعتاد لم يكن هناك قانون محدد يمنع التكلم مع العمال أو ارتياد اماكنهم العامة، ولكنه كان عملا غير مأروف الى حد كبير لا يمكن معه أن يرددون أن يلاحظ واذا ما ظهر العكس فان بوسعك تبرير عمله بأنه أصيب بدوار، ولكن ليس من المحتمل أن يصدقوه. دفع الباب فصدمته في وجهه رائحة بيرة بشعة فاسدة رخيصة، وعندما دخل خفت جلبيه الاصوات الى النصف تقريبا. كان بوسعك أن يشعر بأن الجميع كانوا يحذقون بسروره الازرق من وراء ظهره. وتوقفت لعبة سهام مريشة كانت تجري في الجانب الاخر من الغرفة لحوالي ثلاثين ثانية. وكان الرجل الكبير الذي كان شابا قويا ذا أنف معقوف وسواعد ضخمة، تحيط به مجموعة من الرجال يراقبون المشهد والكؤوس في أيديهم.

(طلبت منك بمنتهى اللطف والادب، أليس كذلك؟) قال الرجل الكبير وهو يعدل منكبيه بصورة تدل على المشاكسة والولع بالقتال - (قلت لي انه لا يوجد في المكان الحقيير كله وعاء سعته ثمن الغالون؟)

سأل الساقى وهو يميل الى الامام واهعأ رؤوس أصابعه على المنضدة الطويلة التي أمامه: (وما هو ثمن الغالون، بحق جهنم).

(استمع اليه! يدعى أنه النادل ولا يعرف ما ثمن الغالون؟ ان الثمن يساوي نصف الربع والغالون الواحد يساوي أربعة أرباع. يجب علي أن أعلمك الالف والباء والسين في المرة القادمة).

فأجاب النادل باختصار (لم أسمع بها أبدا، كل ما تقدمه هو لتر ونصف اللتر. والكؤوس هناك على الرف الذي أمامك).

وأصر الرجل الكبير: (أريد ثمن غالون. كان بإمكانك أن تسحب لي ثمن غالون بسهولة متناهية. عندما كنت شابا لم تكن عندنا هذه اللترات الملعونة).

فأجاب النادل وهو يلقي نظرة جانبية على الزبائن الاخرين: (عندما كنت شابا كنا نعيش جميعنا في الأعالي).

تلا ذلك ضحكة عالية اختفى على اثرها عدم الارتياح الذي سببه دخول ونستون. واحمر وجه الرجل الكبير ذي الشعر الخشن القصير. واستدار وهو يتذمر بينه وبين نفسه واصطدم بونستون الذي امسك بذراعه بلطف.

(هل تسمح لي أن أقدم لك كأسا؟) سأله ونستون.
(انت رجل نبيل) قال الآخر وهو يعدل منكبيه ثانية، وظهر وكأنه لم يلاحظ سروال ونستون الأزرق. وأضاف مخاطبا النادل بطريقة عدوانية: (ثمن الغالون، ثمن غالون من البيرة الباردة).

صب النبال نصف لتر من البيرة البنية الغامقة في كل من الكأسين السميكين بعد أن غسلفهما في دلو ماء تحت منضدة طرية. كانت البيرة المشروب الوحيد الذي يستطيع المرء الحصول عليه في أماكن العمال العامة. ان لم يكن من المفروض أن يتعاطى العمال الجن مع أنه يمكنهم الحصول عليه بسهولة تامة. وكانت لعبة السهام المريشة في أوجها ثانية، وقد عادت حلقة الرجال الذين كانوا حول البار الى الحديث عن بطاقات اليانصيب بحيث أصبح وجود ونستون منسبا لفترة قصيرة. كانت هناك طاوله توزيع تحت النافذة يمكنه عندها أن يتحدث مع الرجل الكبير من غير خوف من أن يسمعها أحد. كان عمله خطرا بشكل رهيب، ولكن لم يكن في الشرفة تلفزيون على أي حال، وقد تأكد من ذلك بمجرد دخوله.

(كان بإمكانه أن يصب لي شمن غالون) دمدم الرجل وهو يستقر جالسا أمام كأسه (نصف اللتر لا يكفي لأنه لا يشبع، ولتر كامل كثير جدا لأنه يجعل مثانتي تمتلئ، هذا انا تجاوزنا من ذكر الشمن).

قال ونستون مترددا: (لابت أنك رأيت تغييرات كثيرة منذ أن كنت شابا).

انتقلت عينا الرجل الكبير ذات اللون الأزرق الباهت من طاوله السهام المريشة الى البار، ومن البار الى باب حمام الرجال، كأنه كان يتوقع أن التغييرات التي ذكرها ونستون قد حدثت في غرفة البار.

وأخيرا قال: (عندما كنت شابا كانت البيرة أجود وأرخض وأقل حمداً وكان سعر شمن الغالون أربعة بنسات. كان ذلك قبل الحرب طبعاً).

فسأل ونستون: (أية حرب؟)

أجاب الرجل الكبير بغموض: (كلها حروب) وتناول كأسه وامتدل منكباة ثانية وقال: (أتمنى لك الصحة الممتازة!)

واخذت البيرة بينما كانت تفاعه أم الظاهرة بشكل محدد تتحرك في حنجرتة النخيلة صعودا ونزولا بصورة سريعة ومثملة. ذهب ونستون الى البار وعاد ومعه نصف لتر من البيرة لكل منهما. وظهر أن الرجل الكبير قد نسي تحمله ضد شرب لتر كامل.

قال ونستون: (أنت أكبر مني بكثير، ولابد أنك كنت رجلا ناضجا قبل أن اولد. لذلك باستطاعتك أن ببكر كيف كانت الأوضاع في الأيام السابقة، قبل الثورة، فالتناس الذين في مثل عمري لا يعرفون شيئا عن تلك الأزمنة ونستميع أن نقرأ عنها في الكتب فقط، وما تقوله الكتب قد يكون غير صحيح، لذلك فأنني أرغب أن تعطيني رأيك في ذلك. تقول كتب التاريخ أن الحياة قبل الثورة تختلف تماما عنها الآن. كان هناك ضغط فظيع جدا، وظلم وفقر - أسوأ مما نستطيع تخيله. وهنا في لندن لم يكن هناك طعام كاف عند جماهير الناس أبدا منذ الولاة وحتى الموت، وحتى الأخذية لم تكن متوفرة لأكثر من نصفهم. وكانوا يعملون اثنتي عشرة ساعة في اليوم، ويتركون المدرسة في التاسعة من العمر، وكان كل عشرة أشخاص ينامون في غرفة واحدة. وفي الوقت ذاته، كان هناك أناس قلائل جدا، بضع ألوف فقط - يسمون الرأسمالييون - كانوا أغنياء وأقرباء، ويمتلكون كل ما يمكن امتلاكه، ويسكنون في بيوت ضخمة فائقة الجمال في كل منها ثلاثون خادما، ويتجولون في سيارات وعربات تجرها أربعة خيول، ويشربون الشمبانيا، ويرتدون القبعات الرسمية...)

ابتهج الرجل المسن فجأة ثم قال:

(قبعات رسمية! من الغريب أن تذكرها. خطرت على بالي بلائس فقط، ولست أدري لماذا كنت أفكر أنني لم أر قبعة رسمية لسنوات، لقد بمل استعمالها. آخر مرة ارتديت فيها واحدة كانت في جنازة زوجة أخي، وكان ذلك - لا أستطيع تحديد التاريخ، ولكن لابد وأنه كان قبل خمسين سنة. طبعاً كانت قد استؤجرت لتلك المناسبة فقط، انك تدرك ذلك)

فقال ونستون بصبر: (موضوع القبعات الرسمية ليس مهما جدا، النقطة الأساسية هي هؤلاء الرأسماليين - هم وبعض المحامين والكهنة وغيرهم من الذين كانوا يعتمد عليهم - كانوا أسيا العالم، فكل شيء وجد لمصلحتهم، وأنتم

الناس العاديين، العمال - كنتم عبيدا لهم. لقد كان بمقدورهم أن يفعلوا ما يشاؤون بكم: أن يشحنوكم الى كندا كما تشحن المشية، ولن يحتاجوا بناتكم اذا ما أرادوا ذلك، وأن يأمرؤا بجلدكم بشيء وأن يسمى بالسياط. وكان عليكم نزع قبعاتكم احتراماً كلما مررتم بهم. وكان كل رأسالي يتجول معه جماعة من الخدم المبرزين الذين..).

والمرة الثانية أشرق الرجل المسن وقال:

(الخدم المبرزين! هذه كلمة لم أسمعها منذ عهد بعيد. الخدم المبرزين! انها تعيدني الى الماضي بالتأكيد. أتذكر - أه، منذ سنين اعتدت ان أذهب احيانا الى منتزه هايد بعد ظهر يوم الاحد لاستمع للفتيان وهم يلقون خطبهم، فتبان من جيش الخلاص* من الكاثوليكيين واليهود، والهزود - كانوا من كل نوع، أنكر واحدا منهم بصورة خاصة، لا استطيع أن أتذكر اسمه، ولكنه كان خطيباً ريناميكياً، وقد أعمل للناس رأيه بصدق حيث قال:-

(الخدم المبرزون! التابعون والمتزلقون للبرجوازيين! خدم الطبقة الحاكمة! وقد ساهم بالمطالبيين والضباع، وقد ساهم بالضباع على نحو محدد، أنت تترك طبعاً أنه كان يشير الى حزب العمال).

أحس ونستون أنهما كانا يتكلمان على نحو متناقض فقال:

(ان ما أرغب في معرفته حقا هو هل تعتقد انكم تتمتعون بحرية اكثر من تلك الايام؟ وهل تعاملون كبشر اكثر؟ في الايام الماضية، كان الناس الاغنياء، الناس الدينهم في القمة...)

تدخل الرجل المسن وهو يستعيد الذكريات: (مجلس اللوردات).
مجلس اللوردات ان شئت. ان ما استفسر عنه هو، هل كان بوسع هؤلاء الناس ان يعاملوكم أقل منهم منزلة لمجرد انهم كانوا أغنياء وكنتم أنتم فقراء؟ وهل صحيح مثلاً، أنه كان عليكم مخاطبتهم بكلمة سيد وخلق قبعاتكم كلما مررتم بهم؟

* شبه منظمة مسكينة لنشر الدين ومساعدة الفقراء، أنشأها وليم بوث في إنجلترا عام ١٨٦٥.

بدا الرجل وكأنه يفكر بعمق، واحتس ربع البيرة خامته قبل أن يجيب،
أجاب: (نعم، كانوا يرغزون في ان تلمس قبعتك لهم، كان ذلك يدل على
الاحترام، لم يكن ذلك يلائمني شخصيا، ولكن كثيرا ما قمت به. تستطيع
القول انني كنت مجبرا على القيام بذلك).

(وهل كان من المألوف - انني فقط استشهد بما قرأته في كتب التاريخ -
هل كان من المألوف ان يدفعكم هؤلاء الناس وخدمهم بعينا عن الرصيف الى
القناة التي في جانب الطريق ؟)

فقال الرجل المسن: لقد دفعني أحدهم مرة، انني أتذكر ذلك وكأنه حصل
بالأمس. كانت ليلة سباق القوارب - كان من عادتهم أن يكونوا مشاكسين
بصورة فظيعة ليلة سباق القوارب وقد اصطدمت برجل شاب في حادة
شافتسبري، كان سينا بالفعل مرتديا قميصا وقبعة رسمية، ومعطفا أسود. كان
يسير على الرصيف في خط متعرج واصطدمت به دونما قصد. قال: (لماذا لا
تنظر الى أين أنت ذاهب؟) فأجبت: (وهل تعتقد أنك قد اشتريت الرصيف
اللعين؟) فقال: (سأروي رأسك اللعين اذا تصرفت معي بوقاحة). وان كنت
تصدقني، فقد وضع يده على صدري ودفعتني دفعة عنيفة كانت تلقيني تحت
عجلات أحد الباصات. في الواقع كنت صغيرا آنذاك وكنت على وشك أن كأوجه
له ضربة لولا أن

استولى على ونستون شعور بالعجز لأن ذاكرة الرجل لم تكن سوى
مجموعة تفاصيل من الهراء كان بوسع المرء ان يستجوبه يوما كاملا دون ان
يحصل على أية معلومات حقيقية. ربما كانت تواريخ الحزب صحيحة، وربما
كانت جميعها صحيحة. وقام بمحاولة أخيرة وقال:

(لعلي لم اكن واضحاً، ان ما أحاول أن أقوله هو أنك تعيش منذ
سنة ١٩٣٥ أفضل مما هي عليه الان أم أسوأ؟ وذا كان بوسعك أن تختار، فهل
تفضل أن تعيش آنذاك أم الان.)

نظر الرجل المسن الى لوح لعبة السهام المرشحة بتأمل وأنهى جعته ببطء

أكثر من قبل، وعندما تكلم فعل ذلك بصورة متساهلة فلسفية: إن البيرة قد أسكرته بعض الشيء فبدأ لين العريكة لطيفا وقال:

(أعرف ماذا تتوقع مني أن أقول، تتوقع أن أقول أنني أتمنى لو اعود شابا مرة أخرى، فمعظم الناس أمثالي يقولون ذلك اذا ما سألتهم، فالصحة والقوة تلازمان الشباب. وعندما يصل المرء الى مثل عمري لن يكون في حالة صحية حسنة ابدا. فأنا أعاني من شيء فظيع في قدمي، أما مراتي فهي في حالة فظيعة بحيث تضطرتني الى ترك فراشي ست أو سبع مرات في الليلة الواحدة. ومن ناحية أخرى، فإن لكبر السن فوائد ومزايا كبيرة لأنه ليس لدى المسنين نفس المشاكل والهوم، إذ ليس هناك تعامل مع النساء وهذا أمر عظيم، فأنا لم أقترب من امرأة منذ ثلاثين سنة تقريبا ان كنت تصدقني. وأكثر من ذلك، فأنني لم أرغب فيه.)

جلس ونستون مرتكزا على حافة النافذة وأدرك أن مواصلة الاستجواب عديدة الجدوى، وكان على وشك أن يشتري جعة اضافية عندما نهض الرجل المسن فجأة جارا قدميه بسرعة نحو المبنولة ذات الرائحة الكريهة التي في طرف الغرفة. لقد أخذ نصف اللتر الاضافي من البيرة يؤثر فيه . وجلس ونستون يحملق في كأسه الفارغة لدقيقة أو دقيقتين ولم يلاحظ متى حملته قدماه الى الشارع ثانية. وفكر مليا أن الاجابة عن السؤال الهائل البسيط(هل كانت الحياة قبل الثورة أفضل ما هي عليه الآن؟) سوف تتوقف نهائيا خلال عشرين سنة على الأغلب، ولكن الواقع يقول انه لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال حتى في الوقت الحاضر، لأن القلائل الباقين على قيد الحياة من العالم القديم والموزعين في البلاد، عاجزون عن مقارنة عمر بأخر. كانوا يتذكرون ملايين الأشياء عديمة الفائدة مثل ضجار مع زميل في العمل ، بحث عن منفخ دراجة هوائية ضائع، التعبير الذي بدأ على وجه شقيقة متوفاة منذ زمن طويل ، دوامات الغبار في يوم عاصف منذ سبعين عاما، أما تجميع الحقائق الوثيقة الصلة بالموضوع فقد كانت خارج نطاق رؤيتهم. كانوا كالنملة التي تستمع رؤية الأشياء الصغيرة، ولكنها تعجز عن رؤية الأشياء الكبيرة. وعندما تخون الناكرة صاحبها وتزييف السجلات المكتوبة، فإن ادعاء الحزب بأنه حسن الأحوال المعيشية لابد وأن يسلم بصحته من الجمهور لأنه لا يوجد ولن يوجد ثانية أبدا، أي معيار يمكن أن يقارن به.

وفي تلك اللحظة انقطع تسلسل أفكاره فجأة، توقف ونظر الى أعلى ليجد نفسه في شارع ضيق تبعثر بين بيوته عدد قليل من الحوائيت الصغيرة المظلمة، وقد تددت من فوق رأسه مباشرة ثلاث كرات معدنية مجرودة من اللون بدت وكأنها كانت قد طليت بالذهب في ما مضى. تراءى له أنه يعرف المكان. من غير ريب! كان يقف أمام حائوت الأشياء القديمة المستعملة الذي اشترى دفتر اليوميات منه.

انتابه وحز حاد من الخوف، لقد كان شراءه للدفتر عملا طائشا جدا، أقسم بعده أن لا يقترب من المكان مرة ثانية أبدا، ومع ذلك ففي اللحظة التي سمح فيه لأفكاره أن تهيم، حملته قدماه اليه من غير اكراه. أقل أن فكرة بدء دفتر اليوميات كان من أجل حماية نفسه من مثل هذا النوع من النزوات الانتحارية، وفي نفس الوقت لاحظ أن الحائوت ما يزال مفتوحا على الرغم من أن الساعة قاربت الحادية والعشرين. اجتاز الباب الى داخل من تسكعه على الرصيف، وان سئل فبإمكانه ان يقول انه كان يحاول شراء شفرات حلقاته وهو عذر مقبول ظاهريا .

أضاء صاحب الحائوت لتوه مصباحا زيتيا معلقا أطلق رائحة غير نظيفة ولكنها دافئة وودية. ربما كان في الستين من العمر، ضعيفا ومنحنيا، ذا أنف طويل يدل على الخير، وعينين لعينين تشوههما نظارة سمكية، وشعر أبيض تقريبا، ولكن حواجبه كانت ما تزال كثة سوداء. وقد أكسبته نظارته وحركته اللطيفة السريعة ، وحيقة أنه يرتدي سترة قديمة من المخمل الأسود مطهرا غامضا من اللزكاء والتفكير العقلاني وكأنه كان رجلا أديبا أو ربما موسيقيا. كان صوته ناعما، كأنه قد بع، ولهجته أفضل من لهجة غالبية العمال.

قال فور دخولي: (عرفتك وأنت على الرصيف فانت السيد الذي اشترى اليوم السيدة الصغيرة التذكاري. كان مقفارا ضئيلا من الورق الجميل يسمى الورق المدموغ لأن في شريحه علامات مائية. لم يصنع مثل هذا الورق أجروا أن أقول منذ خمسين عاما) ثم نظر الى ونستون من فوق نظارته وسأل: (هل هناك شيء خاص أستطيع القيام به من أجلك؟ أو أنك تريد أن تتفحص ما حوذك فحسب؟)

فأجاب ونستون بغموض: (كنت مارا من هنا، فقمتم بزيارة قصيرة، لا أريد شيئا خاصا).

فقال الآخر: (ومذا أيضا حسن، فأنا لا أعتقد أن بوسعي ارضاءك) وقام بحركة اعتذارية بيده ذات الراحة الناعمة وتابع: (أنت ترى حالة الحانوت، وبإمكانك القول أنه فارغ، بيني وبينك، لقد انتهت تجارة الانتيكات تقريبا، لم تعد مطلوبة كما لا يوجد مخزون منها. كما انتهت تجارة الأثاث والأواني الصينية والزجاجية تدريجيا، وبالطبع فقد أذبيت معظم الأشياء المعدنية فأنا لم أر شمعدانا نحاسيا منذ سنوات).

كان الحانوت الصغير في الحقيقة يغمض بالأشياء بشكل مضائق، ولكن لم يكن فيه أي شيء ذي قيمة. كانت مساحة أرضه محدودة جدا إذ كانت تحيط بجدرانها اطارات لا تحصى للممر، يعلوها الغبار، وعلى النافذة كانت أمباق مملوئة بالمرالجح والعمولات والأزامل البالية، ومطاري الجيب ذات النصول المكسورة، والساعات التي فقدت بريقها والتي لم تتظاهر أنها تعمل بانتظام، وأشياء أخرى متنوعة من سقط المتاع. وعلى منضدة صغيرة في الزاوية كان خليط من بقايا وفضلات مبعثرة بدت وكأنها من الممكن أن تحتوي على شيء يثير الاهتمام علب سعوط مطلية بورنيش اللك، ودبابيس زينة مصنوعة من العقيق، وما شابه - وعندما اتجه ونستون نحو المنضدة وقع بصره على شيء ناعم مستدير يروض بهدوء في ضوء المصباح وتناوله عن المنضدة.

كانت كتلة ثقيلة من الزجاج، منحنية من أحد جانبيها ومنبسطة في الجانب الآخر مكونة نصف كرة تقريبا. وكانت في لون ومادة الزجاج التي صنعت منه نعومة فريدة مميزة تشبه ماء المطر، وفي وسطها، الذي ساعد السطح المتقوس على تكبيره، شيء غريب وردي اللون ملفط بطريقة تذكر الناظر اليه بوردة أو بشقيقة بحرية.

سأل ونستون مسحورا: ما هو؟

فأجاب الرجل المسن: (إنه مرجان، ولا بد أنه جاء من المحيط الهندي، اعتاد

الناس أن يطمروه في الزجاج بحيث يصبح جزءا لا يتجزأ منه. لابد أنه صنع قبل مائة عام، أو أكثر، كما تدل هيئته).

قال ونستون: (انه شيء جميل).

فقال الآخر باعجاب عظيم : (انه شيء جميل، ولكن لا يوجد الكثيرون الذين يرون ذلك هذه الايام). ثم سئل وتابع قوله: (والآن ان حصل وأردت أن تشتريها فسوف تكلفك أربع دولارات. أستطيع أن أتذكر عندما كان شيء كهذا يعود على صاحبه بثمانية جهينات، وكانت الثمانية جهينات - حسنا لا أستطيع أن أحسبها، ولكنها كانت قدرا وافرا من النقود. ولكن من الذي يهتم بأنتيكات أصلية هذه الأيام - حتى القلة المتبقية؟)

دفع ونستون الدولارات الأربعة فورا ودس الشيء الذي اشتهاه في جيبه. ان ما راق له ليس جماله، بقدر ما راق له مظهره الخارجي الذي يوحي بأنه ينتمي الى عصر مختلف تماما عن العصر الحاضر، فالزجاج الناعم الذي يشبه ماء السماء لم يكن يشبه أبدا أي زجاج قد رآه يخمن أنه لابد وأن يكون قد أعد في ما مضى ليكون مثقلة للورق. كان ثقيلًا للغاية في جيبه، غير أنه ولحسن الحظ لم يكن بارزا كثيرا. كان شيئا غريبا ومثيرا للشبهة اذا ما اقتناه أحد أعضاء الحزب، وفيما يتعلق بهذا الأمر فقد كان يشبهه بكل ما هو قديم أو جميل بصورة غامضا. ازداد الرجل المسن ابتهاجا بشكل ملحوظ بعد أن تسلم الدولارات الأربعة، فأدرك ونستون أنه كان من الممكن أن يقبل بثلاثة دولارات أو حتى باثنين.

قال الرجل: (توجد غرفة ثانية في الطابق العلوي ربما يهملك أن تلقي نظرة عليها، ليس فيها الكثير، قطع قليلة فقط. ان كنا سنصعد الى هناك فسنحتاج الى ضوء).

أضاء مصباحا آخر وبظهر منحن قاد الطريق ببطء الى سلم عال وبال ، ثم على طول ممر صغير ومنه الى غرفة لا تطل على الشارع ، بل على ساحة مرصوفة بالحصى وغاية من أنابيب المداخن. لاحظ ونستون أن الأثاث ما يزال منسقا وكأن الغرفة معدة للسكن فيها. كان على الأرض سجادة طويلة ضيقة،

وكانت على الجدران صورة أو صورتان، وكسرتي قدر نو ذراعين بجانب الموقد الذي كانت على رفه ساعة تتكناك، ساعة زجاجية من المرزاز القديم ذات ميناء من اثنتي عشرة ساعة. وتحت النافذة كان سرير ضخم يحتل ربع مساحة الغرفة تقريبا ما تزال فرشته عليه.

قال الرجل المسن معتذرا لبعض الشيء : (عشنا هنا حتى توفيت زوجتي، وأنا الآن أبيع الأثاث تدريجيا. انه سرير جميل من خشب الماهوجاني*، او على الاقل يمكن ان يكون جميلا. ان استمتع المرء ان يخرج البق الذي فيه. ولكني أعتقد أنك سوف تجده ثقيلًا نوعا ما).

حمل المصباح عاليًا كي يضيء الغرفة جميعها، وبدأ المكان في الضوء الخافت مغريا بصورة غريبة، ومرت في خاطر ونستون أن امكانية استئجار الغرفة مقابل بضعة دولارات في الأسبوع أمر سهل للغاية ان جرؤ على المجازفة. كانت فكرة متهورة مستحيلة يجب التحلي عنها بمجرد التفكير فيها، ولكن الغرفة أيقظت فيه حنينًا الى الماضي، نوعا من الذكرى النابعة من الاسلاف. تراءى له أنه يعرف تماما طبيعة شعور المرء انا ما جلس في غرفة كهذه، في مقعد ذي ذراعين بجانب مدفأة مكشوفة وقد ماه في سجاج المدفأة وغلاية موضوعة على حاجزها الحديدي، وحيدا تماما، مطمئنا لانه ليس هناك من يراقبه، أو صوت يلاحقه، لا صوت سوى صغير الغلابة وتكناك الساعة الوردية المبهجة.

(لا يوجد تلفزيون)، لم يستطع منع نفسه من الهمس.

(أه) قال الرجل المسن (لم أمتلك واحدا من تلك الاشياء قط لانه باهظ الثمن، كما أنني لم أشعر بحاجة اليه ابدأ. تلك مائدة مطوية جميلة في الزاوية هناك، مع أنه يجب وضع مفصلات جديدة عليها في حالة استعمال الرفوف).

* خشب مطلي بني ضارب الى الحمرة يمنع منه الأثاث الفاخر.

كانت في الزاوية الاخرى خزانة للكتب، جذبت ونستون اليها. لم تكن تحتوي على شيء سوى سقط المتاع لان ملاحظة الكتب واتلافها انجز في كان قد احياء العمال بنفس الدقة والشمول التي تم بهما في الاماكن الاخرى بحيث أصبح وجود نسخة من كتاب طبع قبل سنة ١٩٦٠ في أورشانيا جميعها بعيد الاحتمال. وقف الرجل المستن وهو ما يزال يحمل المصباح أمام صورة اطارها من خشب الورد معلقة على الجانب الاخر من المدفأة في مواجهة السرير.

أخذ الرجل يقول بكياسة: (والآن ان اتفق وكنت تحب الصور الفوتوغرافية القديمة الملبوسة بأية حال - -) .

مشى ونستون عبر الغرفة ليفحص المصورة. كانت عبارة عن نقش من الفولان لبناء بيضاوي الشكل مستطيل النوافذ أمامه برج صغير يحيط به درابزون، وفي طرفه الحطفي شيء اتضح أنه تمثال. حقيق ونستون فيه لبضع ثوان. بنا ماؤها بصورة غامضة مع أنه لم يتذكر التمثال.

قال الرجل المستن: (ان الاطار مثبت بالحائط، ولكني أعتقد أن بوسعي أن أفضكه لك) .

وفي النهاية قال ونستون: (أعرف ذلك البناء، انه الان عبارة عن أملاط، انه في وسط الشارع خارج قصر العدل) .

(هذا صحيح. أنه خارج المحاكم الشرعية. كان قد قذف باقتنابل في - -)
أه، قبل عدة سنوات. كان كنيسة في وقت ما اسمها كنيسة القديس كليمنت دينيس وضحك بطريقة اعتنارية وكأنه أدرك أنه قال شيئا سخيفا نوعا ما، ثم أضاف: (برتقالات وليمونات، تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت) .

فسأل ونستون: ما هذا؟

(أوه - برتقالات وليمونات، تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت) .
منه قصيدة أخذناها عندما كنت صبيا صغيرا، أما بقيتها فقلت أنكرها، ولكني

أعرف بالتأكيد أنها كانت تنتهي كالتالي، (هذه شمعة لتضيء لك الطريق الى الفراش، وهذا ساطور ليقطع رأسك) كانت نوعا من الرقص، يمدّ الراقصون خلالها للراقص أنزعهم كي يمرّ من تحتها، وعندما يصلون الى (وهذا ساطور ليقطع رأسك)، ينزلون أنزعهم الى أسفل ويمسكون به. كانت فقط عبارة عن أسماء الكنائس، تضم جميع كنائس لندن، جميع الكنائس الرئيسية .

تمنى ونستون لو عرف لاي قرن تنتمي الكنيسة. كان من المعيب دائما تحديد عمر بناء في لندن. كان أي بناء كبير ومثير للاعجاب يستحق أو توماتيكيا ان يقال انه بني منذ الثورة ان دل مظهره على أنه جديد بشكل معقول، بينما كان أي بناء يبل مظهره بوضوح على تاريخ ما قبل الثورة ينسب الى عصر غير واضح يسمى العمور الوسطى. وكان يعتقد ان عمور الرأسمالية لم تنتج شيئا له قيمة. لم يعد بوسع المرء ان يتعلم التاريخ من فن العمارة او من الكتب بعد الان، وكل ما من شأنه القاء الضوء على الماضي من تماثيل وكلام منقوش، ونصب تذكارية، وأسماء شوارع - قد اعتراه التغيير بصورة منتظمة.

قال ونستون: (لم أكن أعرف أبدا أنها كانت كنيسة).

قال الرجل المستن: (في الحقيقة أنه تبقى الكثير منها ولكنها تستخدم لاغراض أخرى. والان ما هو النحو الذي كانت تدير عليه تلك القمصيدة؟ أه قد تنكرتها).

سأل ونستون: أين كانت كنيسة القديس مارتن؟

القديس مارتن؟ انها ما زالت قائمة. انها في ميدان فكتوريا بجانب صالة عرض المور. بناء ذو شرفة ثلاثية الشكل وأعمدة في الواجهة الامامية وسلم درج كبير .

عرف ونستون المكان جيدا. كان متحفا لعرض دعايات مختلفة الانواع - مجسمات مدرجة لقتال صاروخية وحصون عاتمة، لوحة جية من الشمع لتوضيح اعمال العدو الوحشية، وما شابه.

برتقالات وليمونات، تقول أجارس كنيسة القديس كليمنت، أنت مدين لي بثلاثة أرباع البنس، تقول أجارس كنيسة القديس مارتن - - - هنا ما استطيع أن اتذكرك. كان ربع البنس عبارة عن قطعة نقدية نحاسية صغيرة تشبه الست .

كانت تسمى كنيسة القديس مارتن في الحقول ، أضاف الرجل المستن، مع أنني لا أتذكر وجود أية حقول في أي مكان من تلك الاماكن .

لم يشتر ونستون الصوره، كان اقتناؤها غير مناسب أكثر من اقتناء مثقلة الورق، ومن المستحيل أخذها للبيت الا اذا أخرجت من اطارها. ولكنه بقي في المكان لبيع دقائق يتحدث مع الرجل المستن، الذي اكتشف أن اسمه لم يكن وييكس - كما يمكن أن يستنتج المرء من الكتابة الموجودة فوق واجهة الحانوت - بل شارنجتون. ظهر أن السيد شارنجتون كان أرمل في الثالثة والسنتين من العمر وأنه قد عاش في هذا الحانوت لمدة ثلاثين عاما عزم خلالها على تغيير الاسم الذي فوق النافذة، ولكنه لم يصل الى مرحلة التنفيذ أبدا. وبينما هما يتحدثان ظلت القصيدة التي تتكر الرجل المستن نصفها تدور في ذهن ونستون. برتقالات وليمونات تقول أجارس كنيسة القديس كليمنت، أنت مدين لي بثلاثة أرباع البنس تقول أجارس كنيسة القديس مارتن! كانت غريبة، ولكن عندما يقولها المرء لنفسه كان يتوهم أنه يسمع أجراسا بالفعل، أجراس لننن المفقودة والتي ما تزال موجودة في مكان ما، متنكرة ومنسية، وترأى له أنه يسمع رنين الاجراس من أبراج الكنائس الروحية الواحد تلو الاخر. مع ذلك، ويقدر ما يستطيع أن يتذكر، فانه لم يسمع أجراس كنيسة في الحياة الحقيقية أبدا.

انطلق من عند السيد شارنجتون ونزل السلالم وحده حتى لا يبع الرجل المسن يراه وهو يستكشف الشارع قبل خروجه من الباب. كان قد عقد العزم على أن يجازف ويزور الحانوت ثانية بعد مرور فترة زمنية مناسبة - شهر مثلا. قد لا يكون ذلك أكثر خطورة من التهرب من قضاء أمسية في المركز. كانت العودة الى الحانوت بعد شراء دفتر اليوميات وقبل أن يعرف ما اذا كان صاحب المحزن أملا للثقة، هي العمل الاحمق والاكثر خطورة في الدرجة الاولى. وعلى كل حال - - -!

نعم، فكر ثانية، انه سوف يعود. سوف يشتري قطعاً صغيرة أخرى من الخردلة الجميلة. سوف يشتري نقش القديس كليمنت دينس، ويخرجه من اطاره ويحمله للبيت تحت جاكيت سرواله. سوف يستخرج بقية ذلك الشعر من ذاكرة السيد شارنجتون. وحتى مشروع استنجار الغرفة التي في الملائق الثاني، وهو مشروع ملائش مجنون، جال في خاطره، فالشعور المفرط بالاهمية، والنشاط الذي استولى عليه لفترة خمس ثوان جعله متهورا فخرج الى الرصيف دون أن يلقي نظرة أولية من خلال النافذة، حتى أنه أخذ يترنم بأنغام مرتجلة - -

برتقالات وليمبات تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت.

أنت مدين لي بثلاثة أرباع البنس، تقول - - -

وفجأة تراءى له أن قلبه تحول الى جليد وأمعاه الى ماء عندما رأى شخصاً يرتدي السروال الازرق قائداً من الرصيف على بعد أقل من عشرة أمتار. كانت الفتاة التي تعمل في دائرة الادب القصصي، الفتاة ذات الشعر الاسود. ومع أن ضوء النهار كان خافتاً، إلا أنه استطاع أن يميزها من غير صعوبة. واجهته بجرأة ثم واصلت سيرها بسرعة وكأنها لم تكن قد رأته.

صعق ونستون لدرجة شلت معها حركته لبضع ثوان، ثم استدار الى اليمين وسار بتناقل بعيداً عن الحانوت دون أن يلاحظ أنه كان في تلك اللحظة يسير في الاتجاه الخاطيء. وعلى أية حال فان قضية واحدة قد ثبتت ان لم يعد هناك شك أن الفتاة تتجسس عليه، وأنها قد تبعته الى هنا ان ليس من المعقول أن الصدفة وحدها هي التي جعلتها تسير في نفس المساء، في نفس الشارع الخلفي المنعزل، وعلى بعد كيلومترات من أيّ حيّ يقطعه أعضاء الحزب، انها لصدفة استثنائية أكثر مما ينبغي. ولا يهم كثيراً ما اذا كانت عميلة لبوليس الفكر أو مجرد جاسوسة هاوية يدفعها الفضول، ان يكفي أنها كانت تراقبه، ومن المحتمل أنها قد رأته يدخل الى الحانة أيضاً.

كان المشي جهماً بالنسبة اليه لان كتلة الزجاج التي في جيبه جعلت تغرب فخذه يعنف مع كل خطوة حتى أصبح ميلاً بعض الشيء لان يخرجه

من جيبه ويلقيها بعيدا. كان الالم الذي في بطنه أسوأ ما في الامر، وقد انتابه شعور لمدة دقيقتين بأنه سوف يموت اذا لم يصل عاجلا الى مرحاض. غير أنه لم يتوفر مرحاض عمومي في حيّ كهذا. ثم انقضت نوبة التشنج مخلفة وراءها ألما بسيطا.

كان الشارع زقاقا مسدودا من جانب واحد الامر الذي اضطر معه ونستون الى التوقف لبضع ثوان وهو يرزح تحت شعور غامض من الحيرة، ماذا عساه أن يفعل؟ ثم استدار وأخذ يعود من حيث أتى. وعندها خطر في باله أن الفتاة كانت قد مرّت به منذ ثلاث دقائق فقط، وأن بإمكانه اللحاق بها حتى يصبحا في مكان منعزل، وعندها يحطم رأسها بحصاة كبيرة. ان قطعة الزجاج التي في جيبه كفيلة للقيام بهذا العمل. ولكنه سرعان ما تخلى عن الفكرة لأن مجرد التفكير بالقيام بأية محاولة جسدية أمر لا يطاق. لم يكن بمقدوره أن يركض أو أن يوجه ضربة، وفوق ذلك، كانت الفتاة شابة وقوية وسوف تدافع عن نفسها. فكر أيضا في الاسراع الى المركز الاجتماعي والبقاء فيه حتى يقفل ليتسنى له تقديم عذر جزئي لذلك المساء. ولكنه أدرك استحالة ذلك. استولى عليه اعياء شديد، واصبح جل ما يتمناه ان يصل الى البيت بسرعة، وان يصبح هادئا.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية والعشرين عندما عاد الى الشقة، وكانت الانوار تطفأ في الساعة الثالثة والعشرين والنصف على الاكثر. ذهب الى المطبخ واحتسى فنجانا من جنّ النصر. ثم ذهب الى المنضدة الموضوعة في الفجوة، جلس وأخرج دفتر اليوميات من الدرج ولكنه لم يفتحه حال جلوسه. جعل صوت نسائي وقح يصرخ بقصيدة وطنية من التلفزيون. جلس يحملق في غلاف دفتر اليوميات المعرّق كالرخام محاولا دون فائدة أن يحول بين وعيه وبين ذلك الصوت.

كانوا يحضرون لآخذ المرء في الليل، دائما في الليل. وكان الشيء المناسب هو أن ينتحر قبل أن يصلوا اليه، وقد فعل البعض ذلك من غير شك، فالكثير من الاختفاءات كانت بالفعل عملية انتحار. ولكن الانتحار يحتاج الى جرأة يائسة في عالم يصعب فيه الحصول على أسلحة أو أي سمّ سريع ومؤكّد

تماما. وفكر بنوع من الاستغراب في عدم جدوى الألم او الخوف البيولوجي، وفي خيانة الجسد الانساني الذي يخذل صاحبه فيعجز عن العمل في اللحظة التي يحتاج فيها الى جهد استثنائي خاص، فلو أنه تصرف بالسرعة الكافية ربما استطاع اسكات الفتاة ذات الشعر الاسود، ولكنه فقد القدرة على التصرف بسبب عظم الخطر الذي كان عليه. خطر بباله أن الانسان لا يحارب في الاوقات العصيبة ضد عدو خارجي أبدا، ولكنه يحارب دائما ضد نفسه. حتى الان، وعلى الرغم من الجن، فان الألم الخفيف الذي في بطنه جعل التفكير المتسلسل مستحيلا. وادرك أن الوضع كذلك في جميع الحالات البطولية المأساوية. فعندما يكون الانسان في ساحة المعركة، أو في غرفة التعذيب، أو على ظهر سفينة غارقة، فانه ينسى دائما القضايا التي يحارب من أجلها لأن الجسد يتضخم حتى يملأ الكون، وحتى عندما يشل المرء بفضل الخوف، ولا يصرخ من الألم، فالحياة عبارة عن كفاح متواصل ضد الجوع أو البرد أو الأرق، ضد معدة فاسدة متحمضة أو زرس موجع.

فتح دفتر اليوميات ان كان من المهم أن يكتب شيئا ما. كانت المرأة التي على شاشة التلفزيون قد ابتدأت أغنية جديدة. وتراءة له أن صوتها يعلق بذهنه مثل شظايا الزجاج المثلمة الخشنة. حاول أن يفكر بأوبرين والذي كتب دفتر اليوميات من أجله أو له، ولكن بدلا من ذلك أخذ يفكر بالأشياء التي سوف تحصل له بعد أن يلقي بوليس الفكر القبض عليه. الامر غير مهم لو أنهم يقتلون المرء في الحال لان القتل هو ما يتوقعه، ولكن قبل الموت (مع أنه لا احد يتحدث عن مثل هذه الاشياء، غير أن الجميع يعرفون عنها). كان هناك روتين الاعتراف الذي لا بد من مكابדתه: التذلل والانبطاح على الارض، والصراخ في طلب الرحمة، فرقعة العظام المحطمة والاضراس المهشمة، وكتل الشعر المتلبدة من الدم. وما دامت النهاية واحدة، فلماذا يتحتم على المرء أن يتحمل ذلك؟ ولماذا لا يجوز للمرء حذف بضعة أيام أو اسابيع من حياته؟ لم ينج أحد أبدا من الاكتشاف، كما أنه لم يتخلف أحد أبدا عن الاعتراف. فحالما يستسلم المرء للجريمة المبيته، فمن المؤكد أنه سيكون ميتا في موعد محدد. فلماذا انن يجب أن يكمن ذلك الرعب في المستقبل بحيث يصبح جزءا منه مع أن ذلك لا يغير شيئا؟

حاول بنجاح اكثر قليلا عن قبل أن يستدعي صورة اوبرين الذي كان قد قال له: (سوف نلتقي في المكان الذي لا يوجد فيه ظلام). وكان يعرف، أو ظن أنه يعرف ماذا كان يعني بذلك. فالمكان الذي لا يوجد فيه ظلام هو المستقبل الذي يتخيله المرء، والذي لن يراه ابدا، ولكنه يعرف مقدما ان بوسعه المشاركة فيه بصورة غامضة. لم يستطع ونستون متابعة تسلسل افكاره اكثر بسبب الصوت المزعج الذي يبثه التلفزيون. وضع سيجاره في فمه وفي الحال سقط نصف التبغ الذي فيها على لسانه: عبارة عن غبار مر، يصعب اخراجه ثانيه. طاف وجه الاخ الكبير في مخيلته حالا محل وجه اوبرين. وكما سبق ان فعل قبل بضعة ايام قلائل، اخرج من جيبه قطعة نقود معدنيه ونظر اليها. حدق الوجه فيه، وجه مرهق مثقل، هادىء، ولكن ما نوع الابتسامه المختبئه وراء الشارب الاسود ؟ وعادت اليه الكلمات مثل قرع الناقوس المصنوع من رصاص :

الحرب هي السلام
الحريه هي العبودية
الجهل هو قوة

الجزء الثاني

كان الوقت في منتصف الصباح عندما ترك ونستون مكتبه ليذهب الى المرحاض، وفي طريقه الى هناك رأى شخصاً قادمًا من الطرف الثاني في الداهليز الطويل المضاء بنور ساطع يسير في اتجاهه. كانت الفتاة ذات الشعر الاسود وكان قد مضى على المساء الذي التقيا فيه مصاففه خارج حائوت الخردوات اربعة ايام، وعندما اقتربت منه رأى نراعه الايمن في معلق غير ملحوظ عن بعد لأنه من نفس لون السروال. من المحتمل أنها قد حملت يدها أثناء دورانها حول المشكال * الذي تعد عليه بطريقة أولية حبكات الرويات حيث كانت تلك الحادثة مألوفة في دائرة الرويات.

كانا على بعد اربعة امتر تقريبا عندما تعثرت الفتاة وسقطت على وجها سقطت صدرت عنها بسببها مرخة الم حادة. لا بد وانها سقطت مباشرة على نراعه المصابه. تسمر ونستون في مكانه، وكانت الفتاة قد نهضت على ركبتيها وقد تغير وجهها حتى اصبح اصفر شاحبا مظهرًا فيها اشد حمرة من اي وقت مضى، وقد تمركزت عينها على عينيه في تعبير متوسل بدا خوفا اكثر منه ألما.

تحرك في قلب ونستون شعور غريب: أمامه عدو يحاول قتله وأمامه أيضا انسان يتألم قد تكون نراعه مكسورة. وثب نحوها لكي يساعدنها بصورة تلقائية، ففي اللحظة التي رأها تقع على نراعه المضممة، شعر وكأن الالم في جسده هو. وقال:

(هل أوزيت؟)

(ألم بسيط. انها نراعي، وسوف تتحسن في لحظة).

تكلمت وكان قلبها يخفق مهتاجا، وقد بدت شاحبة الى حد كبير جدا.

* اداة تحتوي على قطع متحركة من الزجاج الملون ما ان تتغير اوضاعها حتى تعكس مجموعة لا نهاية لها من الاشكال الهندسية المختلفة الالوان.

(هل انكسر شيء؟)

(كلا انني بخير. تألمت لفترة وجيزة، هذا كل ما في الامر).

مدت يدها السليمة اليه فساعدتها على النهوض، وكانت قد استعادت بعض تورد بشرتها وبدت على نحو أفضل بكثير.

كررت باختصار: (انه امر بسيط. ضربت رسغي ضربة خفيفة فقط. شكر ايها الرفيق!)

وبعد ذلك تابعت سيرها بخفة ورشاقة في الاتجاه الذي كانت زاهية اليه كأن شيئا لم يكن فعلا. لم تستغرق هذه الحادثة أكثر من نصف دقيقة. ان عدم سماح المرء لمشارعه ان تظهر على وجهه أصبح عادة اكتسبت منزلة الغريزة، وعلى أية حال فقد كانا يقفان أمام التلفزيون مباشرة عندما حملت الحادثة. ومع ذلك فمن الصعب جدا ان لا تظهر عليه الدهشة السريعة الخاطفة لان الفتاة كانت قد دست شيئا في يده خلال الثنتين او الثلاث ثوان التي استغرقتها مساعدته لها على الوقوف، ان ليس من شك في ان الفتاة قد قامت بذلك متعمدة. كان شيئا صغيرا ومنبسطا وعندما مر من باب المرحاض نقله الى جيبه وتحسسه في اطراف اصابعه فوجده قصاصة ورق طويت على شكل مربع.

وبينما كان يقف على المبوله نجح بقليل من الاستعانه باصابعه ان يفتحها. من الواضح ان ثمة رسالة قد كتبت عليها. ولبرهة وجيزة استولى عليه الاغراء لان يأخذها الى احدى دورات المياه ويقراها فورا، ولكن ذلك - كما يعرف جيدا - سيكون حماقه فظيحه، ان ليس ثمة مكان يستطيع المرء فيه ان يتأكد من ان شاشة التلفزيون دائمة المراقبة اكثر من المراجعين.

عاد الى مكتبه وجلس ثم القى بقصاصة الورق بطريقة عرضيه بين الاوراق الاخرى التي كانت على مكتبه. وضع نظارته ثم جنب بصوره مفاجئه آله قل ركب اليه. (خمس دقائق)، قال لنفسه (خمس دقائق على الاقل !!) واخذ

قلبه يخفق في صدره بعموره مخيفة. ولحسن الحظ كان العمل الذي يقوم فيه من النوع الروتيني المحض، عبارته عن تصحيح قائمة طويله من الارقام لا يحتاج الى عناية دقيقة.

إن ما كتب على الورقة لا بد ان يكون له معنى سياسي من نوع ما. لقد كان هناك - على حد تصوره - احتمالان: احدهما وهو الأرجح ان الفتاة كانت عميلة لبوليس الفكر، تماما كما يخشى. لم يكن يدري لماذا يختار بوليس الفكر طريقة كهذه لنقل رسائلهم، ولكن ربما كانت لديهم اسبابهم الخاصة. قد يكون المكتوب في الورقة تهديدا، أو استدعاء للمثول امام القضاء، أو امرا بالانتحار، أو فحشا من نوع ما. اما الاحتمال الثاني - وهو اكثر تطرفا - فقد ظل يطغى على السطح مع انه حاول خنقه بلا طائل، وهو ان الرسالة لم تأت من بوليس الفكر مطلقا وانما من احدى التنظيمات السرية، وقد تكون منظمة الاخوة موجودة على الرغم من كل شيء، ومن المحتمل ان تكون الفتاة جزءا منها، وهي فكرة قد تبدو سخيفة ومضحكة بيد أنها خطرت له في اللحظة التي لمس فيها قصاصة الورق بيده. لم يخضر له التفسير الاخر والاكثر احتمالا الا بعد مضي دقيقتين ، مع أن ذكائه اكد له ان الرسالة قد تعني الموت - مع ذلك، لم يكن هذا ما كان يعتقد واستمر الامل غير المعقول، وحقق قلبه بعنف وحاول بصعوبة ان يمنع صوته من الارتجاف وهو يهمس بارقامه الى قل واكتب.

لف رزمه ورق العمل الذي انتهى منها ودسها في الانبوبة الهوائية. مضت ثماني دقائق، عدل خلالها نظارته فوق انفه مرة ثانية، ثم تنهد وسحب الدفاعة الثانية من العمل نحوه واطعها قصاصة الورق في اعلاها ثم سواها امامه وبخط كبير غير منظم كتب عليها

احبك

ذهل لبضع ثوان الى حد امتنع معه من القاء القصاصة في فتحة الذاكرة الامر الذي قد يورط في جريمة، وعندما قام بذلك لم يستطع مقاومة قرائنها مره اخرى - مع انه كان يدرك تماما الحظر الكامن وراء اظهار اهتمام بالغ - ليتأكد فقط ان الكلمات كانت بالفعل عليها. اصبح من الصعب عليه مواصلة

العمل للفترة المتبقية من الصباح، كما أصبحت الحاجة لخفضه اضطرابه عن الشائنة اكثر سوءا من اضطراره الى تركيز ذهنه على سلسلة من الاعمال الصغيرة النافهة. شعر كأن نارا تشتعل في أحشائه. كان الغداء، في الكنتين الحار، المرزحم العصاخب، غنايا، وقد امل ان يبقى وحيدا لفترة قصيرة خلال ساعة الغداء، بيد ان سوء الحظ قد احضر بارسونز الأبله الذي ارتضى الى جانبه بتناقل ورائحة عرقة النفاذة تتغلب على رائحة اليخني ذي الطعم الحديدي، شرع بارسونز يتحدث بغير انقطاع عن الاستعدادات لاسبوع الكراهية، وكان متحمسا بشكل خاص بشأن مورة مجبسة من الورق المعجن لراس الاخ الكبير عرضها مترين، كانت تصنع لهذه المناسبة من قبل فرقة الجواسيس التابعة لابنته. والامر الذي أثار الغضب والسخط انه لم يكن بوسع ونستون بسبب صخب الاصوات سماع ما كان يقوله بارسونز، وبالتالي كان عليه ان يطلب منه باستمرار اعادة ملاحظة سخيصة. لمح لمرة واحدة الفتاة وبرفتها فتانان جالسة على احدى الطاوات في الطرف البعيد من الغرفة. لم يبد عليها أنها قد راته، وهو بدوره لم ينظر في ذلك الاتجاه ثانية.

كانت فترة ما بعد الظهر محتملة اكثر، وبعد الغداء مباشرة جاءته مهمة صعبة ورفيعة تستغرق عدة ساعات وتطلب وضع كل ما عداهما جانبا، تتألف من تزييف سلسلة من تقارير الانتاج لستتين خطتا بطريقة تلحق العار بعضو بارز في الحزب الداخلي أصبح الان موضع شبهة. كان ونستون ذا كفاية لمثل هذا النوع من العمل، ولذلك فقد نجح في ابعاد الفتاة عن ذهنه تماما لمدة تزيد عن الساعتين، ثم عاودته ذكرى وجهها ثانية مصحوبه برغبة جامحة في ان يكون وحيدا ان لا يمكنه التفكير بهذا التطور الجديد حتى يصبح وحيدا. كانت تلك الليلة احدى لياليه التي يقضيها في المركز الاجتماعي، التهم وجبة ثانية لا طعم لها من الكنتين ثم اسرع الى المركز حيث شارك مع جماعه في مناقشة كئيبه حمقاء، لعب بعدها دورين من تنس الطاولة، واحتسى عدة كؤوس من الجن واستمع - ولمدة نصف ساعة - الى محاضرة بعنوان الاثراكية الانجليزية وعلاقتها بالاشطريج. كانت روحه تتلوى اما بسبب المل الذي احس به، ولكن لم تكن لديه الرغبة - ولو لمرة واحدة - في أن يتهرب من قضاء السهرة في المركز لان الرغبة في ان يبقى حيا تفجرت عنده لدى رؤيته لكلمة احبك، وبما له ان القيام بمجازفات ثانوية انما هو عمل احمق. لم يعد الى بيته والى فرشه

قبل الساعة الثالثة والعشرين - وفي الغلام، حيث يكون المرء في مامن حتى من شاشة التلفزيون طالما ظل ساكنا - استطاع ان يفكر على نحو متواصل.

كانت المشكلة التي تستدعي الحل مشكلة جسدية تتمثل في كيفية الاتصال بالفتاة من اجل ترتيب لقاء. لم يعد يفكر في احتمال ان تكون الفتاة تدبر له مكيدة. ثم ادرك ان الامر ليس كذلك بسبب تهيجها الواضح عندما تناولته قصاصة الورق، فقد كان جليا انها كانت خائفة الى حد فقدان المواب. كما لم يخطر له فكرة رفض عرضها للحب. كان قد اعترف، قبل خمس ليال فقط ان يحطم مجتمها، ولكن لم يعد ذلك مهما. فكر في جسدها الغض العاري، كما رآه في احلامه، وتخليها حمقاء كغيرها من الفتيات، تحشو راسها بالاكاذيب والكراهية، ويمتلئ داخلها بالجليد. وانتابه نوع من الانفعال الشديد بمجرد تفكيره انه قد يفقدها، وان الجسد الابيض الغض يمكن ان يفلت منه. كان اشد ما يضاها ان تغير رايها ان لم يسرع في الاتصال بها. بيد ان صعوبة اللقاء الفعلي كانت هائلة، اشبه بلاعب شطرنج يحاول نقل حجر من موضع لآخر على رقعة الشطرنج بعد ان يكون قد امات النشاة.

كانت شاشة التلفزيون تقابل المرء اينما اتجه. في حقيقة الامر خطرت لورستون جميع سبل الاتصال الممكنة مع الفتاة خلال خمس دقائق من قرائته للورقة، ولكنه الآن - ولديه وقت للتفكيره اخذ يدرسها واحدة واحدة وكانه يضع صفا من الادوات على منضدة.

من الواضح ان نوع اللقاء غير المتوقع الذي حدث هذا الصباح لا يمكن تكراره، صحيح انه من الممكن ان يكون الامر سهلا بعض الشيء لو انها تعمل في دائرة السجلات، ولكن لم تكن لديه فكرة واضحة عن مكان دائرة الروايات، ولم تكن لديه الذريعة للذهاب الي هناك. لو كان يعرف اين تقطن ومتى يحين موعد انصرافها من العمل، لكان بوسعه ان يجد وسيلة للقاءها في مكان ما وهي في طريقها الى البيت، ولكن محاولة ملاحظتها الى منزلها عمل غير آمن لان ذلك سوف يعني التسكع خارج الوزارة، الأمر الذي يجعل ملاحظته أمرا مؤكدا. أما بالنسبة لارسال رسالة بالبريد فان ذلك لم يكن واردا، فالروتين الذي يعرفه الجميع أن الرسائل كلها تفتح في أثناء النقل، وقلائل هم الذين كتبوا رسائل

في ايما وقت مضى في حياتهم لأن هناك بطاقات مطبوعة عليها قوائم طويلة من العبارات الموجزة من أجل الرسائل التي لا مفر من ارسالها احيانا حيث يشطب المرء العبارات غير المناسبة. وعلى أية حال فانه لم يكن يعرف اسم الفتاة فضلا عن عنوانها. وأخيرا قرر ان الكنتين هو اكثر الاماكن امنا لو أنه استطاع ان يصلها وهي تجلس وحيدة على احدى الطاولات في مكان ما في وسط الغرفة بعيدا عن شاشات التلفزيون تحيطه ضجة كافية من الحديث - لو تتوفر هذه الشروط لمدة ثلاثين ثانية مثلا. فان تبادل بضع كلمات يصبح ممكنا.

كانت الحياة خلال الاسبوع الذي تلا تسلم ونستون لقصاصة الورق اشبه بحلم مغمم بالقلق. وفي اليوم التالي لم تظهر الفتاة في الكنتين حتى موعد مغادرة ونستون وبعد ان أطلقت الصغارة. من المحتمل ان تكون مناوبتها قد تغيرت الى وقت متأخر. مرا بجانب بعضهما البعض من غير نظرة خائفة. وفي اليوم التالي حضر الى الكنتين في الوقت المعتاد، غير انها كانت بصحبة ثلاث فتيات وكن تحت احدى شاشات التلفزيون مباشرة. وبعد ذلك لم تظهر ابدا لمدة ثلاث ايام رهيبة تراءى له خلالها ان عقله وجسمه قد امييا بحسائية لا تطاق، نوع من الشفاقية التي جعلت من كل حركة، وكل صوت، وكل اتصال، وكل كلمة ينطق بها او يستمع اليها الما مبرحا. لم يستطع الهروب من صورتها كلية حتى في منامه، كما انه لم يمس دفتر اليوميات خلال تلك الفترة. لم يجد الراحة الا في عمله الذي ينسبه نفسه أحيانا لعشر دقائق متواصلة. ولم تكن لديه اية فكرة عما حصل لها بصورة قاطعة، كما لم يكن يوسعه ان يستفسر عنها. من المحتمل ان تكون قد تلاشت، وقد تكون قد انتحرت، وقد تكون قد انتقلت الى الطرف الآخر من أوشاشيا. الاسوأ والأكثر احتمالا من الجميع هو انها قد غيرت رأيها وقررت ان تتجنبه ليس غير.

وفي اليوم التالي عادت للظهور وقد احيط معممها بلزقة وتخلص ذراعها من المعلاق. كانت راحته برؤيتها عظيمة الى حد لم يستطع معه مقاومة النظر اليها مباشرة لبطع ثوان. وفي اليوم التالي كان ينجح في التحدث اليها لانها كانت تجلس منفردة على طاولة بعيدة جدا عن الجدار عندما حضر الى الكنتين. كان الوقت مبكرا ولم يكن المكان متكيفا الى حد كبير. تقدم المالبور تدريجيا حتى اصبح ونستون عند جهاز العد تقريبا عندما اخر لمدة دقيقتين

لان شخصها امامه كان يشكو من انه لم يتسلم قورمه من السكرين. ولكن الفتاة كانت ما تزال بمفردها عندما حصل ونستون على صبيخة واتجه نحو طاولتها. سار نحوها من غير قصد وعيناه تبحثان عن مكان على طاولة وراءها، وعندما ناداه صوت من الخلف، كانت الفتاة على بعد ثلاثة امتار منه يحتاج قطعها الى ثابنتين.

تظاهر انه لم يسمع، الامر الذي جعل الصوت يكرر مناداته بصوت أعلى. لم تعد هناك جدوى من التظاهر فاستدار ورأى شابا اشقر الشعر ساذج السمات يدعى ولشر، كانت معرفته به قليلة جدا، وكان يدعوهُ وعلى وجه ابتسامة الى مكان شاغر على طاولته. لم يكن الرفض مأموثا، كما لم يكن بوسعه ان يذهب ويجلس على طاولة مع فتاة لا يرافقها احد بعد ان تعرف احدهم عليه. ان ذلك لافتا للنظر اكثر مما ينبغي، جلس وعلى وجه ابتسامة ودودة دافئة والوجه الاشقر يتسم له بابتهاج. وانتاب ونستون شعور بالهذيان تخيل معه انه يضرب ذلك الوجه بعمول فيحطمه. وامتلأت طاولة الفتاة بعد دقائق قليلة.

لا بد وانها قد رأته وهو يتجه نحوها، وقد تكون قد فهمت الاشارة الخفية. وفي اليوم التالي عني بالوصول الى المطعم مبكرا، وبالتأكيد كانت تجلس منفردة على طاولة في نفس المكان تقريبا. كان الشخص الذي امامه مباشرة في الطاولة رجلا ضئيلا، سريع الحركة، يشبه الخفساء ذا وجه منبسطة، وعينين صغيرتين نزاعيتين الى الشك، وعندما ابتعد ونستون عن جهاز العد ومعه صبيخة طعامه، لاحظت أن الرجل الضئيل كان يتجه مباشرة الى طاولة الفتاة فانهارت أمامه للمرة الثانية. كان هناك مكان شاغر على طاولة أبعد من طاولة الفتاة، ولكن شيئا ما في المظهر الخارجي للرجل اوحى بأنه يهتم براحته لدرجة تمنعه من انتقاء الطاولة الأكثر خلوا من الناس. ويقلب يارد كالجلد تبعه ونستون لانه لا فائدة ترجى ما لم يستطع ان يستحوذ على الفتاة منفردة. وفي هذه اللحظة سمع صوت تحطم هائل وانبطح الرجل الضئيل على الارض باسما ذراعيه وقدميه وقد تطايرت صبيخة طعامه فانساب منها على الارض سيلان من الحساء والقهوة. ثم نهض على قدميه وهو ينظر الى ونستون بحقد لانه شك بجلاء انه السبب في تعثره. غير أن ما حصل كان جديا بالنسبة لوستون الذي جلس على طاولة الفتاة بقلب صاخب بعد خمس ثوان.

لم ينظر إليها ومن غير ابطاء أفرغ صينيته وأخذ يأكل. كان من المهم تماماً أن يبدأ الحديث فوراً قبل أن يجيء شخص آخر، بيد أن خوفاً رهيباً استولى عليه. لقد مضى أسبوع على مفاتها إياه بحبها وربما تكون قد غيرت رأيها!

من المستحيل أن تنتهي هذه العلاقة بنجاح لأن مثل هذه الأمور لا تحدث في الحياة الحقيقية. كان من الممكن أن يحجم تماماً عن الكلام لولا أنه رأى الشاعر أمبلفورت في تلك اللحظة يحمل صينيته ويطوف حول الغرفة بصموية يبحث عن مكان ليجلس فيه. كان أمبلفورت بطريقته الغامضة مولماً بونستون وسيجلس على طاولته بالتأكد إذا ما وقع بهمه عليه. قد تكون هناك دقيقة واحدة كي يتمرف. كان ونستون والفتاة منبهكين في تناول الطعام، الذي كان عبارة عن يخني رقيق القوام، وحساء من الفاصوليا، دونما توقف. بدأ ونستون يتكلم بهمس منخفض. لم يرفع أي منهما بهمه واستمرا في غرف الطعام الرقيق وتبادلوا بين الملعقة والأخرى الكلمات القليلة الضرورية في صوت منخفض خال من كل تعبير عن المشاعر.

- (متى تتركين العمل؟)
- (في الثامنة عشرة والنصف)
- (أين يمكننا أن نلتقي؟)
- (في ساحة النصر، قرب النصب التذكاري)
- (انها تغص بشاشات التلفزيون)
- (إن ذلك لا يهم إذا كان هناك حشد من الناس)
- (هل هناك أية إشارة؟)
- (كلا. لا تقترِب مني حتى ترائني وسط أناس كثيرين. ولا تنظر إلي. ابق فقط في مكان ما قريب مني)
- (في أي وقت؟)
- (في الساعة التاسعة عشرة)
- (حسناً)

أخفق أمباغفورت في رؤية ونستون وجلس ثانية على طاولة أخرى. لم يتكلموا ثانية، ويقدر ما كان ممكنا لشخصين يجلسان متقابلين على جانبي طاولة واحدة، لم ينظر احدهما الى الآخر. وغادرت الفتاة على عجل بعد أن أنهت غداءها بسرعة، وبقي ونستون كي يدخن سيجارة.

حضر ونستون الى ساحة النصر قبل الوقت المحدد. وتجول حول قاعدة العمود المزخرف الضخم الذي يعلوه تمثال الأخ الكبير وهو يحدق جنوبا نحو السماء حيث كانت قد غابت الطائرات الاوراسية - والتي كانت طائرات استاسيا قبل بضع سنين - في معركة المنطقة الجوية رقم ١. وفي الشارع الذي أمامه يوجد تمثال رجل على صهوة جواد من المفروض أنه يمثل أولفر كرمويل. لم تكن الفتاة قد ظهرت حتى الدقيقة الخامسة بعد الساعة المحدده، فاستولى على ونستون للمرة الثانية خوف رهيب، وخطر له أنها لن تأتي وأنها قد غيرت رأيها! سار ببطء نحو الجانب الشمالي من الساحة واعتراه شيء من السرور عندما اكتشف كنيسة القديس مارتن التي كانت أجراسها، عندما كان لها أجراس، تدق في انسجام: (أنت مدين لي بثلاثة أرباع البنس). عندئذ رأى الفتاة واقفة على قاعدة النصب التذكاري تقراء أو تتفاهم بأنها تقراء، بينما معلقا على العمود بطريقة لولبية. لم يكن الاقتراب منها مأمونا قبل أن يتجمع أناس كثير. كانت هناك شاشات تلفزيونية حول المثلث القابع في أعلى واجهة المبنى. سمع في تلك اللحظة ضجيج وأزيز عربات ثقيلة آتية من مكان ما من الجهة اليسرى. وفضأة ظهر وكأن الجميع يركضون عبر الساحة، وانطلقت الفتاة برشاقة وسرعة حول الاسود الموجودة في قاعدة النصب التذكاري، واشتركت في الاندفاع المصاعب، وتبعها ونستون، وبينما كان يركض استنتج من بعض الملاحظات العالية، ان قافلة من السجناء الاوراسيين كانت تمرّ من هناك.

في ذلك الحين سدّ حشد كبير من الناس الجهة الجنوبية من الساحة. كان ونستون في الاوقات الطبيعية ينجذب الى الطرف الخارجي عند أية مناوشة يختلط فيها الحابل بالنابل، ولكنه في هذه المرة أخذ يدفع ويتاكب ويتلوى حتى يصل الى وسط الحشد، وبسرعة أصبح على بعد نزع من الفتاة، غير أن الطريق كان مسدودا بجسم عامل ضخم وامرأة لا تقل عنه ضخامة، من المحتمل انها زوجته، وقد بدا لو ينبتون أنهما يشكلان جدارا من اللحم لا يمكن اختراقه.

شق ونستون طريقه بأساليب ملتوية، وبانفعاغ شديد تمكن من دفع منكبه بينهما، ولفترة وجيزة شعر وهو بين الوركين كأن أعضاه كانت تطحن لتصبح لبايا ثم اخترق الصف وهو يعرق قليلا. أصبح بجوار الفتاة وكانا جنبا الى جنب يحرق كل منهما أمامه بتركيز.

مر من الشارع صف طويل من سيارات الشاحن الكبيرة ببطء، وقف في زواياها حراس منتصبوا القامات ثوو وجوه جافة، مسلحون برشاشات، وقد ازاحمت الشاحنات برجال ضئيلي الاجسام صف الوجوده في بزات نظامية فاربة الى الخضرة يجلسون القرفصاء بمורה مرصومة. كانت وجوههم المنغولية الملامح تحرق على جوانب الشاحنات دونما مبالاة، وكلما ارتجت إحدى الشاحنات، كان يسمع صليل المعدن. وكان جميع السجناء يرتدون جوارب جديدة، ومرت الشاحنة تلو الأخرى من الوجوده الحزينة. أترك ونستون أنهم هناك ولكنه كان يرهم بمורה مقطعة. ضغطت نراع الفتاة من المنكب حتى المرفق ضغطت على نراعه، واقتربت وجنتها الى حد استماع مع أن يحس بهفتها. ولتو تولت زمام الأمر تماما كما فعلت وما في الكنتين، فقد أخذت تتكلم بنفس الصوت الخالي من كل تعبير، وكأنها لا تكاد تحرك شفيتها. كانت كلماتها عبارة عن مهمة أفرقها ضجيج الأصوات وقعقة الشاحنات بسهولة.

- (هل تستطيع أن تسمعني؟)
(نعم)
(هل تستطيع أن تأخذ إجازة بعد ظهر يوم الأحد؟)
(نعم)
(إنني أستمع باهتمام، عليك أن تتذكر هذا. إنذهب الى محطة باننغتون) .

ويبوع من الدقة العسكرية التي أدمشته أوجزت له الطريق الذي كان عليه إتباعه: رحلة في القطار لمدة نصف ساعة، وعندما تصبح خارج المحطة إتجه الى اليسار لمسافة كيلو مترين على طول الطريق: بوابة ينقدها القضيبي الذي في أعلاها، طريق عبر حقل، ممر ضيق تكسوه الأعشاب، طريق في وسط شجيرات، شجرة ميتة تكسوها العالحالب كانت تتكلم وكأنها تحتفظ بخريطة داخل

- رأسها. وأخيراً ردمت قافلة: (هل تستطيع ان تتذكر كل ذلك؟)
(نعم)
(إتجه شمالاً، ثم يميناً، ثم شمالاً مرة ثانية. والبرابرة ينقمها القمضيب العلوي).
(نعم. في أي وقت؟)
(حوالي الخامسة عشرة. ربما افطرت للانتظار. سأمل الي هناك عن طريق ثانية. هل أنت متأكد من أنك تتذكر كل شيء؟)
(نعم)
(إذن ابتعد عني بالسرعة الممكنة).

لم تكن هناك حاجة لأن تقول له ذلك. ولكنهما لم يستطعا أن يتخالفا من الجمهور في تلك اللحظة، حيث كانت أرتال المشاحنات ما تزال تمر والناس يحدقون فيها باندهام. صدر في البداية بعض الازراء والاستهجان والهسيس من أعضاء الحزب الذين كانوا مع الجمهور، غير انه قد توقف بسرعة. كان الاحساس السائد هو الفضول ليس غير، لأن الاجانب من أوراسيا أو من استاسيا كانوا بالنسبة اليهم نوعاً من الحيوانات الغريبة لأن المرء لم يكن يراهم في الواقع إلا في زي المساجين، وحتى كمساجين - لم يكن لينال منهم أكثر من لمحة عابرة. وبغض النظر عن القلائل الذين كانوا يشقون كمجرمي حرب، فانه لم يكن يعرف ما يحل بهم. كانوا يخفون ببساطة، وكان يفترض أنهم أرسلوا الى معسكرات العمل الإيجاري. فسحت الوجوه المغولية المستديرة، المجال لوجوه أقرب الى الجنس الأوروبى، ووجه ملتحية قذرة ومرهقة. ومن فوق عظام وجنات نخيلة كانت العيون تنعم النظر في عيني ونستون في حدة غريبة أحياناً ثم تحتفي، وعندما كانت القافلة تندنو من نهايتها، رأى ونستون في المشاحنة الأخيرة رجلاً مسنناً، تغطي وجهه كتلة من الشعر الأشيب، يقف منتصباً ورسغاه معقوران أمامه وكأنه قد تعود على ربهما معا. حان الوقت لو نستون والفتاة ان يفترقا، وفي اللحظة الأخيرة، وبينما كان الجمهور ما يزال يحيط بهما، تحسست يد الفتاة يده وضغطها ضغطة عابرة، لم تدم لأكثر من عشر ثوان، ومع ذلك تراءى له وكأن يداهما قد احتضنتا لوقت طويل استطاع ونستون خلاله أن يعرف تفاصيل يدهما، فقد تفحص الأصابع الطويلة والأظافر الجميلة الشكل، وراحة اليد وخطوطها المتصلبة بفعل العمل، والبشرة الناعمة

وراء الرسخ. وعن طريق لمسها فحسب استماع التعرف عليها. خطر له في نفس اللحظة أنه لا يعرف لون عيني الفتاة، ربما كانت بنية اللون، ولكن يمكن ان يكون للناس من ذوي الشعر الأسود عيون زرقاء في بعض الاحيان. ستكون حماقة لا تصدق أن يدير رأسه وينظر إليها. ويبدن متعاقبتين محجوبتين عن الأنظار وسط الاجسام المترامة، كانا يحقدان امامهما باستمرار، وبدلا من عيني الفتاة، كانت عينا السجين المسن تحقق بحزن في ونستون من خلال أمشاش متاخلة من الشعر.

٢

اختار ونستون طريقه في الممر الضيق من خلال ضوء وظل مرقلين، خارجا الى برك من الاشعة الذهبية كلما انفرجت الأنفجان. كانت الأرض التي على يساره تحت الأشجار سديمية بفعل أزهار الجريس الزرقاء، وبدأ الهواء وكأنه يلثم بشرة الانسان. كان اليوم الثاني من شهر أيار، ومن مكان ما وسط الغابة، كانت تعله ألحان الحمام الملوقة الريبة.

وصل ونستون مبكراً قليلا. لم تكن هناك صعوبات بشأن الرحلة، وكان من الواضح ان الفتاة ضبيرة الى حد جعله أقل خوفا مما هو عليه في العادة. من المسلم به أنه يستطيع الوثوق بها من أجل إيجاد مكان آمن. وعلى العموم لم يكن يوسع المرء أن يفترض أنه وهو في الريف أكثر امانا منه في لندن، من غير ريب، لم تكن هناك شاشات تلفزيونية، ولكن هناك دائما خطر الميكروفونات المختبة التي يمكنها التقاط صوت المرء والتعرف عليه. وعلاوة على ذلك، فان من السهل ان يقوم الانسان منفردا برحلة دون أن يلفت النظر. لم يكن من الضروري التوقيع على جواز السفر بالنسبة للمسافات التي لا تتجاوز المائة كيلو متر، إلا أن الحفر يتسكعون أحيانا على مقربة من محطات القطار ويفحصون أوراق أي عضو في الحزب يجدونه هناك، ويسألون أسئلة غير مناسبة ومربكة. على كل حال لم يظهر أي خفر، وفي الطريق من المحطة تأكد أنه لم يكن ملاحقا عن طريق نظرات حذرة الى الخلف. كان القطار غامما بالعمل الذين كان مزاجهم مزاج من يقضون عملة بسبب الجو الصيفي، وكان

في نفس العربة، ذات المقاعد الخشبية، التي سافر فيها، عائلة كبيرة يتراوح أفرادها بين والدة الجد الدرداء وطفل عمره شهر واحد، وكانوا في طريقهم من أجل قضاء فترة ما بعد الظهر عند أنساب لهم في الريف، وللحصول على بعض الزينة من السوق السوداء، كما شرحوا الونستون تلقائياً.

اتسع المر الضيق وفي دقيقة واحدة وصل الى مر المشاة الذي وصفته له. كان مجرد طريق للمشاة يغوص بين الشجيرات. لم تكن معه ساعة ولكن لا يمكن أن يكون الوقت الخامسة عشرة بعد. غمط أزهار الجريس الارض الى حد يستحيل معه عدم السير عليها. ركع وأخذ يقطف بعضها كي يمر الوقت من ناحية، ولأنه - وبسبب فكرة غامضة- رغب أن تكون معه باقة من الزهور يقدمها للفتاة عندما يلتقيان من ناحية أخرى. جمع باقة كبيرة وبينما كان يشم أريجها الضعيف الباعث على الغمغان، أوقفه صوت طمطمقة قدم واضحة على أفصان صغيرة خلفه. واستمر يقطف أزهار الجريس، لأن ذلك كان أفضل ما يقوم به. قد تكون الفتاة أو قد يكون قد تبعه أحدهم على الرغم من كل شيء. كان التفاتته حوله بمثابة دليل على شعوره بالذنب. لذا فقد استمر في قطف الأزهار ثم سقطت يد على كتفه برفق.

نظر الى أعلى فرأى الفتاة تهر له رأسها محذرة أن يلزم الصمت. ثم شقت طريقها بين الشجيرات الى الغابة بسرعة على طول طريق ضيق. كان من الواضح انها تعرف تلك الطريق من قبل نظراً لأنها كانت تتفادى المناطق السبخة وكأنها تفعل ذلك بحكم العادة. تبعها ونستون وهو لا يزال حاملاً باقة الأزهار. أوحى إحساسه الأولي بالارتياح، ولكنه عندما أخذ يراقب الجسم النحيل الأهيف وهو يتحرك أمامه، بالرشاح القرمزي الضيق الكفيل بابرز استنارة وركبها، شعر أنه أقل منها منزلة وكان ذلك ثقيل الوطأة عليه. وخطر له أنها من الأرجح ان تتراجع عندما تستدير وتنظر إليه على الرغم من كل شيء. لقد ثبت جمال الهواء وخضرة الأوراق ممتة، وفي طريقه الى المحطة جعلته شمس أيار يشعر أنه انسان قذر مسلوب العافية شاحب، مخلوق بيتي يملأ غبار لندن القاتم مسامات جلده وخطر له أنها ربما لم تكن قد رآته أبداً في الهواء العلق وفي وضوح النهار حتى الآن. وصل الاثنان تلك الشجرة الواقعة على الأرض والتي أخبرته عنها. وثبت الفتاة فوقها وأخذت تشق طريقها بصعوبة بين الشجيرات

التي لم يبد أن بينها أية مساحة خالية. وعندما تبعها ونستون وجد أنهما في أرض خالية من الشجر طبيعياً. كانت عبارة عن هضبة صغيرة مدورة كثيرة العشب تحيطها شجيرات عالية تجعلها في عزلة تامة. توقفت الفتاة واستدارت ثم قالت: ها قد وصلنا .

وقف قبالتها على مسافة بضع خطوات، إذ لم يجروا على الاقتراب منها حتى الآن. واستأنفت قائلة: لم أرغب أن أقول شيئاً في الممر مخافة وجود ميكروفونا مختبئاً هناك. لا اعتقد بوجود واحد ولكن من الممكن أن يكون. وهناك دائماً احتمال ان يميز واحد من هؤلاء الخنازير صوتك. نحن في مأمن هنا .

لم يجد في نفسه حتى الآن الجرأة على الاقتراب منها، ومع ذلك فقد كرر في غيباء. (نحن في مأمن هنا).

(نعم. أنظر الى الأشجار). كانت الأشجار صغيرة سبق لها أن قطعت في وقت مضى ثم نمت ثانية وأصبحت غابة من الأعمدة لا يزيد سمك أي منها عن سمك رسغ يد المرء وتابعت: (لا يوجد أي شيء من الكبر بحيث يمكن أن يخبأ فيه ميكروفونا. وعلاوة على ذلك، فقد كنت هنا من قبل).

كانا يتحدثان فقط وقد نجح في الاقتراب منها الآن. وقفت أمامه منتصبه تماماً وعلى وجهها ابتسامة تبدو تهكمية الى حد ما وكأنها تتساءل لماذا يتصرف على هذا النحو من البطء. سقطت أزهار الجريس على الأرض كالشلال، وبدأت كأنها سقطت طوعاً ومن غير إكراه. تناول ونستون يد الفتاة وقال: (هل تصدقين أنني لا اعرف لون عينيك حتى الآن؟) لاحظ أنهما بنيتان -بني فاتح نوعاً ما ورموش سوداء. (والآن وقد رأيتني على حقيقتي، هل تستطيعين النظر إلي؟) (نعم وبسهولة).

(إنني في التاسعة والثلاثين من العمر، ولي زوجة لا أستطيع التخلص منها. ومصاب بتوسع الأوردة، وعندي خمسة أسنان زائفة).

فأجابت الفتاة: لا يهمني ذلك أبداً .

وفي اللحظة التالية وبدون معرفة الباديء منهما كانت بين ذراعيه. لم يكن لديه في بداية الأمر سوى الإحساس المطلق بالشك وعدم التصديق. كان الجسد الغض مشدوداً الى جسده بتوتر، وكتلة الشعر الأسود على وجهه، وقد رفعت وجهها إليه فعلاً وجعل يقبل الفم الأحمر الكبير وقد احاطت عنقه بذراعيها وأخذت تناديه بالحبيب الغالي، والشخص المحبوب جذبها الى الأرض دونما مقاومة وأصبح بوسعه أن يفعل بها ما يشاء. غير أنه لم تكن لديه أية رغبة جسدية باستثناء التلامس. لقد تمثل إحساسه في الشك وعدم التصديق والزهو، وكان سعيداً لحدوث ذلك، غير أنه لم تكن لديه أية رغبة جسدية. حصل الأمر بسرعة فائقة وقد اخافه شبابها وجمالها، لقد اعتاد على الحياة بدون نساء لدرجة كبيرة - لم يعرف السبب لذلك. نهضت الفتاة وأنتزعت إحدى زهرات الجريس من شعرها، وجلست قبالتها واضعه ذراعها حول وسطه وقالت:

(لا بأس عزيزي، لسنا في عجلة من أمرنا، فلدينا بعد الظهر كله. أليس هذا مخيباً رائعاً؟ اكتشفته ذات مرة عندما ضللت طريقي في أثناء قيامي بنزهة جبلية سيراً على الأقدام مع بعض أفراد الجماعة، وإنما ما حضر أحد إلى هنا فان بوسع المرء ان يسمعه وهو على بعد مئات الأمتار).

(ما اسمك؟) سألتها ونستون.

(جوليا. إنني أعرف اسمك. انه ونستون - ونستون سميث).

(وكيف عرفت ذلك؟)

(أحسب أنني أقدر منك على إكتشاف الأشياء يا عزيزي، أخبرني ماذا كان

رأيك فيّ قبل اليوم الذي أعطيتك فيه الوريقه؟)

لم يشعر بأي ميل للكذب عليها. لأن يبدأ بقول الأسوأ كان بالنسبة إليه نوعاً من قربان الحب.

قال: (كنت أكره النظر إليك. تمتيت أن أغتصبك ثم أقتلك بعد ذلك. وقبل أسبوعين فكرت جدياً في تحطيم رأسك بحصاة كبيرة من التي يرمفون بها الشوارع. وإن كنت تريدين أن تعرفني حقاً فقد ظننت أن لك علاقة مع بوليس الفكر).

ضحكت الفتاة بسرور عظيم معتبرة ذلك ثناء على تفوق مظهرها الخداع.

(ليس بوليس الفكر؟ لم تعتقد ذلك بمدق؟)
(حسناً، ربما لم يكن الأمر كذلك تماماً. ولكن من مظهرك العام - ربما لأنك شابة، ومفعمة بالنشاط وتتمتعين بالصحّة فحسب، أنت تفهمين - فكرت أنه من المحتمل - - -)

(ظننت أنني عضوة حزب جيدة، صاهقة في القول والعمل. ريات، ومسيرات، وشعارات وألعاب ونزهات جماعية طويلة على الأقدام - كل تلك الأعمال. وظننت أنه لو أتيجت لي الفرصة فسوف أبلغ عنك على أنك تزاع للأجرام وأتسبب في قتلك!)

(نعم شيء من هذا القبيل، شأنك في ذلك شأن عدد كبير من الشباب، كما تعلمين).

فقلت: (أنه بسبب هذا الشيء الملعون)، قلتها وهي تمزق الروشاح القرمزي لرابطة الاحداث المقاومة للجنس، وطرحت على أحد الأغصان. عندئذ وكأن لمس خصرها قد ذكرها بشيء ما، تحسست جيب سروالها وأخرجت منه لوحاً من الشوكولاته وقسمته الى نصفين وأعطت احدهما الى ونستون الذي عرف من رافحته أنه من النوع النادر جداً. كان داكن اللون صقيلا ومغفلا في ورق فضي. كان شوكولاته عادية ذات لون بني باهت سريعة التفتت لها طعم أشبه ببخاخ ناز النفاية، وهذا أقرب وصف يستطيع المرء أن يصفها به. كان قد تذوق في وقت ما شوكولاته شبيهة بالتي أعلمته إياها. وقد أحييت النفحة الأولى لرائحتها بعض الذكرى التي لم يستمع تحديدها ولكنها قوية وموجعة.

وسأل: (من أين أتيت بهذه الشوكولاته؟)

فأجابت بلا مبالاة: (من السوق السوداء. في الواقع أنني من هذا الصنف من الفتيات. أجد الألاعب، وكنت قائدة فريق من الجوايسين، وأقوم بعمل تطوعي لرابطة الأحداث المقاومة للجنس ثلاث مرات في الأسبوع، وقد قضيت

ساعات وساعات ألقى خلالها هراءهم اللعين في جميع أنحاء لندن، وأحمل دائماً طرف إحدى الرايات في المسيرات، وأبدأ دائماً مبتهجة فرحة، ولا أتعب من أي شيء، وأصرخ دائماً مع الجمهور. وفي رأبي أن هذه هي الطريقة الوحيدة للبقاء سالمة).

ذابت القطعة الأولى من الشوكولاته اللذيذة الملمع على لسان ونستون، ولكن كانت هناك هناك ذكرى تحول على أطراف وعيه، شيء أحس به بقوة دون أن يتحول إلى شكل محدد واضح كالشيء الذي يراه الانسان من زاوية عينه. دفعها بعيداً عنه وهو يدرك انها مجرد ذكرى حادثة تمنى أن يلغيتها ولكنه لم يستطع.

قال: (أنت صغيرة جداً، أصغر مني بعشرة أو خمسة عشرة سنة. فما الذي يجذبك إلى رجل مثل؟)

(شيء في وجهك. فكرت أن أخطرك. إنني ماهرة في اكتشاف الناس الذين لا ينتمون. حالما رأيتك عرفت أنك منهم).

على ما يبدو كانت كلمة هم تعني الحزب، وقبل كل شيء تعني الحزب المركزي الذي كانت تتكلم عنه بسخرية وكراهية صريحتين، الأمر الذي جعل ونستون يشعر بالقلق والخوف على الرغم من أنه أدرك أنهما هنا في مكان آمن إن كان هناك شعور بالأمان في أي مكان. إن أكثر ما أهمله فيها هو خشونة أفعالها وفضائفتها، إذ لم يكن يفترض في أعضاء الحزب أن يقسموا الأيمان، ومهما تكن الظروف، فقد كان ونستون نفسه يقسم بعوت عال في حالات نادرة. ولكن لم يكن بوسع جوليا على ما يبدو أن تذكر الحزب، ولا سيما الحزب الداخلي، من غير أن تستعمل نوع الكلمات التي يراها المرء مكتوبة بالطباشير على جدران ممرات الأزقة التي ترشح ماء. لم يكره ذلك لأنه دليل على ثورتها على الحزب وجميع أساليبه، وبطريقة ما بدأ طبيعياً وصحياً مثل عطسة الحصان الذي يشم تبتاً فاسداً. كان قد تركا الفسحة الخالية من الأجرار وأخذنا يتجولان ثانية في النمل المختلف الألوان ونزاع كل منهما يحيط ضمير الآخر كلما سمح لهما المكان بالسير متلاصقين. لاحظ أن ضميرها أصبح أكثر

ليونة ونعومة بعد أن نزعنا الوشاح. كان كلامهما مجرد همس، وعندما أصبحا خارج المنطقة الخالية من الأشجار قالت جوليا أنه من الأفضل لهما أن يسيرا بهدوء، وعند وصولهما الى طرف الغابة أوقفته وهي تقول:

(لا تخرج الى العراء، فقد يكون هناك من يراقب، نحن في مأمن تماماً ما دمنا خلف الأغصان).

وقفنا تحت ظل شجيرات البندق، وكان ضوء الشمس المتسرب من خلال الأوراق الكثيفة العديدة، ما يزال حاراً على وجهيهما. نظر ونستون الى الحقل البعيد واختابته هزة غريبة بطيئة من الاثراك. عرف الحقل بالنظر إليه كان مرعى قديماً خالياً من الحشائش تماماً، يتعرج عبره ممر للمشاة، وفيه تل ترابي ناجم عن حفر الخلد حوله. وعلى السياج المهمل الخشن في الجانب المقابل كانت أغصان أشجار الدردار تتمايل مع النسيم العليل على نحو واضح، تتحرك أوراقها بخفة في كتل كثة كشعر النساء. لا بد أن هناك جدول ماء ذو برك خضراء يسبح فيها سمك الداس* في مكان قريب ولكنه بمنأى عن الأنظار.

همس متسائلاً: (أليس هناك نهر في مكان قريب من هنا؟)
(هذا صحيح، هناك نهر في طرف الحقل المجاور فعلاً، وفيه أسماك كبيرة جداً، بإمكانك مراقبتها وهي مستلقية في البرك تحرك أذيالها تحت أشجار الصفصاف)).

(انها البلاد الذهبية - تقريباً) تتمم ونستون.

(البلاد الذهبية؟)

(لا شيء، في الواقع. منظر طبيعي رأيتُه أحياناً في حلم).

وهمست جوليا: (أنظر!)

حطت سمنا على أحد الاغصان على بعد أقل من خمسة مترات في مستوى

* سمك نهري صغير من الشبوطيات

وجهيهما تقريباً. قد لا تكون قد رأتهما، كانت في الشمس في حين كانا في الظل. فردت جناحيها ثم أعادتتهما بعناية الى مكانيهما ثانية، وحنّت رأسها لفترة وجيزة وكأنها فعلت ذلك إجلالاً للشمس، ثم أخذت تسكب سيلاً من الغناء. كان حجم الصوت مجفلاً في السكون الذي يسود فترة ما بعد الظهر. والتصق ونستون وجوليا بافتتان، واستمر اللحن، دقيقة بعد دقيقة بألحان مختلفة مذهشة من غير أن تتكرر ولو لمرة واحدة، وكأن الطائر كان يعرض براعته الفائقة عن عمد. وكان يتوقف أحياناً لثوان قليلة يبسط خلالها جناحيه ويسويهما ثانية، ثم ينفخ صدره المنقط، وينفجر في الغناء ثانية. راقبه ونستون بنوع من الإحترام الغامض وتساءل لمن يعني ذلك الطائر ولماذا؟ لم يكن يراقبه زوج أو منافس، فما الذي جعله يقف في طرف الغابة المنعزلة يسكب ألحانه في فراغ؟ تمنى ونستون على الرغم من كل شيء أن يكون هناك ميكروفوناً مخبئاً في مكان قريب. كان هو وجوليا يتهامسان لذلك فلن يلتقط الميكروفون حديثهما، ولكنه سوف يلتقط غناء السمنة. قد يكون في الطرف الآخر من الآلة رجل صغير يشبه الخنفساء يصغي متعمداً لذلك الغناء. ولكن سيل الألحان طغى على تأملاته تدريجياً وطردتها من ذهنه. كان سيل الألحان هذا بمثابة نوع من السائل انصب فوقه وامتزج بأشعة الشمس المتسللة من خلال الأوراق. كف عن التفكير وتلمس طريقه حول خصر الفتاة الذي استكان في انحناءة ذراعه ليئا ودافئاً. وجذبها إليه حتى أصبحت صدرها لصدر وقد ناب جسدها في جسده، وحيث ما تحركت يداها كان جسدها كله يستسلم كالماء. والتصق فمه بفمها في قبلات تختلف تماماً عن القبلات العنيفة التي كانا قد تبادلها من قبل. وعندما أبعدا وجهيهما ثانية تنهدا بعمق. أصيب الطائر برعب وطار مقعقاً بجناحيه.

وضع ونستون فمه على أذنها وهمس: (الآن).

فأجابت هامسة: (ليس هنا: لنعد الى المخبأ، انه أكثر أمناً).

وبسرعة شقا طريقهما بحذر عائدين الى البقعة الخالية حيث سمعت طقطقة الأغصان الصغيرة تحت أقدامهما. وعندما أصبحت داخل دائرة الشجيرات استدارت وواجهته بجرأة. كان كلامها يتنفس بسرعة، وقد عادت الابتسامة

التي حول جانبي فمها للظهور ثانية. وقفت تنظر اليه للحظة ثم تحسست سحاب سروالها. أجل! كان كما رأه في الحلم تقريباً، فقد خلعت ملابسها بالسرعة التي تخيلتها، وعندما ملرحتها جانباً فعلت ذلك بحركة رائعة أبطلت بواسطتها على ما يبدو حضارة بأكملها. وأثناء جسدها البعض في الشمس، ولكنها ولفترة وجيزة لم ينظر الى جسدها، فقد ثبت عينيه على وجهها الممتلئ بالشمس، والابتسامة الباهتة الجريئة التي تعلقه. وركع أمامها وأخذ يديها بين يديه.

(هل فعلت ذلك من قبل؟)
(من غير ريب. مئات المرات - حسناً مرات لا حصر لها على كل حال)
(مع أعضاء الحزب؟)
(نعم، مع أعضاء الحزب دائماً)
(مع أعضاء الحزب المركزي؟)
(ليس مع هؤلاء الخنازير، كلا. ولكن هناك الكثيرون الذين سوف يفعلون ذلك ان سئحت لهم نصف فرصة. إنهم ليسوا من التقى والقناعة بالقدر الذي يدعوناه)

قفز قلبه. لقد فعلت ذلك عشرات المرات: تمنى لو كانت مئات المرات - آلاف. أي شيء يشير الى الفساد الأخلاقي كان دائماً يملأه بأمل كبير. من يدري، قد يكون الحزب فاسداً تماماً تحت السطح، وان اعجابه بالحماس والحرمان مجرد زيف يخفي تحته الإثم والخطيئة. ليته يستطيع أن يصيب الجميع منهم بمرض الجذام او الزهري. كم يسعده لو يفعل ذلك. أي شيء يؤدي الى الفساد والضعف وتشويه سمعة الحزب وتقويضه. جذبها الى أسفل حتى أصبحت راكعين وجها لوجه.

(اصغى الي. كلما فاجعت رجلاً أكثر كلما ازداد حتى لك. هل تفهمين ذلك؟)

(نعم، تماماً)

(إنني أكره الطهارة والنقاء، أكره الصلاح! لا أرغب أن يكون هناك فضيلة في أي مكان. أريد أن يفسد الجميع الى أبعد الحدود)

(حسناً، لا بد أنني أناسيك يا عزيزي، فأنا فاسدة الى أبعد حد)
(أنت تحبين أن تمارسي هذا؟ لا أقصد معي ليس غير: أعني الشيء بحد ذاته؟)
(.إتني أعفقه)

هذا ما تمنى سماعه اكثر من أي شيء، ليس حب شخص واحد فحسب ولكن الغريزة الحيوانية، الشهوة المرفقة غير المميزة: كانت تلك هي القوة التي سوف تمزق الحزب إرباً. دفع بها أرضاً فوق الحشيش وسط أزهار الجريس التي على الارض ولم تكن هناك أية صعوبة هذه المرة. وفي الحال أخذ ارتفاع صدريهما وانخفاضهما في البلاء حتى أصبحت سرعتيهما عادية، وبشيء من الشعور بالضعف الممتع ابتعدا عن بعضهما. وبدا كأن الشمس قد ازادت حرارة واستولى عليهما النعاس. تناول السروال المطروح ووضعه فوقها الى حد ما، وفي الحال استغرقا في النوم لمدة نصف ساعة تقريبا.

استيقظ ونستون أولاً، وجلس منتصباً وأخذ يراقب الوجه النمش الذي ما يزال نائماً بهدوء متوسداً راحة يدها. لولا فمها لما استطاع المرء ان يعتبرها جميلة. وإذا ما نظر المرء اليها عن كثب فإنه يرى غمضاً او اثنين حول العينين. أما الشعر القصير الأسود فقد كان كثناً وتنعماً بمرورة رائعة. خطر له أنه لم يكن حتى الآن يعرف كينيتها او مكان سكنها.

لقد أثار جسدها الغضن القوي، الضعيف في أثناء النوم، أثار فيه الشعور بالرحمة والحمية، ولكن الرقعة اللاواعية التي أحس بها تحت شجرة البندق عندما كانت السمنة تغني لم تعد إليه تماماً. جذب السروال جانباً وجعل يتأمل جنبها الناعم الأبيض. فكر ان الرجل في الماضي كان ينظر الى جسد فتاة ويعتبره جذابا، وكان ذلك نهاية الحكاية. ولكن المرء في هذه الأيام لا يستطيع ان يحوز على حب نقي أو شهوة طاهرة. لا يوجد عاطفة نقية طاهرة لأن كل شيء ممزوج بالخوف والكرامية. كان عناقة وجوليا عبارة عن معركة. وكانت ذروة نشوتهما استثماراً، فربة موجهة للحزب وعملية سياسية.

قالت جوليا: (يمكننا المجيء الى هنا مرة ثانية، ان استخدام أي مخبأ مرتين أمر مأمون على وجه العموم، ولكن ليس قبل شهر أو شهرين طبعاً).

تغير سلوك جوليا حالما استيقظت فقد أصبحت حذرة نشطة وجذبة، ارتدت ملابسها، وعقدت الرشاح القرمزي حول خصرها، وبدأت تتخذ الترتيبات المفضلة للعودة. بدا طبيعياً ان يترك تدبير ذلك اليها، فقد كان واضحاً أنها تتمتع بذلك عملي يفقر اليه ونسوتون، وأنها تمتلك معرفة شاملة بالريف المحيط بمدينة لندن مدخرة من نزوات طوييلة سيراً على الأقدام مع الجماعة، كانت الطريق التي حددتها له للعودة تختلف تماماً عن الطريق التي جاء منها، وأوصلته الى محطة قطار مختلفة. (لا تعد الى لندن من نفس الطريق التي خرجت منها أبياً). قالتها وكأنها تنطق بقاعدة عامة مهمة. سوف تغادر قبله، وعلى ونسوتون ان ينتظر مدة نصف ساعة قبل أن يلحق بها.

حدثت مكانا يستطعمان الالتقاء فيه بعد الانتهاء من العمل بعد أربع ليال من الآن. كان شارعاً في أحد الأحياء الأكثر فقراً حيث يوجد سوق عام يكون عادة مكتظاً وصاخباً. سوف تتسكع بين أكشاك السلع متظارمة أنها تبحث عن رباط حذاء أو عن خيتمان للحياكة، فان وجدت أن الجو مناسب فسوف تتمخط عندهما يقترب منها والا فيجب عليه ان يمر بها دون التعرف عليها. ولكن ان ساعدهما الحظ، فسوف يكونان في مأمن في وسط الجمهور كي يتحدثنا لمدة ربع ساعة يرتبان خلالها لقاء آخر.

وحالما فهم تعليماته تماماً قالت: (والان يجب أن أذهب ان يتوقع حضوري الساعة التاسعة عشرة والنصف. يتعين علي أن أعمل لجمعية الشباب لمكافحة الاتصال الجنسي لمدة ساعتين أوزع خلالها كراسات او شيئاً ما. أليس هذا عملاً مخزياً؟ هل لك أن تزيل ما علق بي؟ هل هناك أية غصينات في شعري؟ هل أنت متأكد. إذن استودعك الله، يا حبيبي، استودعك الله، رافقتك السلامة).

واندفعت الى أحضانهِ وقلبتهُ بعنفٍ ما، وبعد برهةٍ وجيزةٍ شقت طريقها بين الشجيرات واختفت في الغابة محدثة صوتاً خفيفاً. لم يكتشف كنيثها أو عثرانها حتى تلك اللحظة. ولكن لم يكن ذلك مهمّاً لأنه لم يتخيل ان يوسعهما الالتقاء في الداخل أو تبادل أي نوع من الاتصال المكتوب.

لم يعرفوا الى المنطقة الخالية من الشجر في الغابة أبداً. وفي شهر أيار سنحت لهما الفرصة بالتغازل مرة واحدة إذ نجح ونستون فعلا في مضاجعة جوليا في مخبأٍ آخر تعرفه هي، في برج كنيسةٍ متهنئةٍ في بقعةٍ مهجورةٍ تقريبا من الريف حيث سقطت قنبلة ذرية قبل ثلاثين سنة. كان مخبأ جيبها عندما يصل المرء إليه، ولكن الوصول الى هناك كان شديد الخطورة.

أما في المرات التالية فقد استمعا ان يلتقيا في الشوارع فقط، في مكانٍ مختلف كل مساء ولمدة نصف ساعة في كل مرة، فقد اعتادا التحدث في الشارع بطريقةٍ ما. كانا يتبادلان حديثاً غريباً متقطعاً وهما يسيران على الارصفة المكتظة، ليس جيباً الى جنبٍ تماما ومن غير ان ينظر الواحد منهما الى الآخر أبداً. كان حديثهما يضيء ثم يخبو مثل شعاعٍ متارة، يتوقف فجأة ليصبح صموتا عند اقتراب بزة نظامية للحزب، أو عند الاقتراب من إحدى شاشات التلفزيون، ثم يستأنف ثانية بعد دقائق في منتصف جملة، ليتوقف فجأة عندما يفترقان في المكان المتفق عليه، ثم يستأنف ثانية من غير مقدمة في اليوم التالي. اتفح أن جوليا كانت معتادة على مثل هذا النوع من الحديث الذي تسميه حديث على دفعات، كما كانت ماهرة بصورةٍ مدهشة في التكلم من غير ان تحرك شفيتها، وخلال شهر تقريبا من اللقاءات الليلية نجحا مرة واحدة في تبادل قبلة. كانا يمران صامتين من شارع جانبي عندما سمعا هديرًا صامًا من شدة ضججه، ومادت الأرض تحت أقدامهما واكفهر الجو، ووجد ونستون نفسه مستلقياً على جنبه مرصوفاً ومروعا، وكان قنبلة صاروخية قد سقطت بالقرب منهما تماما. وفجأة رأى وجه جوليا على بعد ستمتيرات قليلة من وجهه، شاحبا الى أقصى حد، أبيض اللون مثل المباشير، وحتى شفاتها كانتا بيضاء اللون. كانت ميتة! وعندما احتضنها اكتشف انه يقبل وجهها حيا نافعا، غير ان شيئا من المادة الشبيهة بالبرودة كانت في طريق شفثيه. كان وجههما مغطيين بطبقة كثيفة من الجص.

ومرت أمسيات كانا يصلان خلالها الى مكان لقائهما ثم يمران بمحادثات بعضها بعضا دون ما اشارة بسبب حضور أحد الخفر او تحليق احدى الطائرات العمودية فوق رؤسهما. وحتى لو كان الأمر أقل خطورة، فان إيجاد الوقت للقاء يظل صعبا بسبب اختلاف عدد ساعات العمل لكليهما. فقد كان ونستون يعمل مدة ستين ساعة في الأسبوع وكانت جوليا تعمل وقتا أطول، كما كانت أيام العمل مختلفة بالنسبة لهما حسب ضغط العمل، وقلما كانت تتزامن، وعلى أية حال، فنادرا ما كانت جوليا تحظى بأمنية تكون فيها غير مشغولة بعمل ما. كانت تقضي وقتا مذهلا في الاستماع الى المحاضرات والاشتراك في المسيرات، وفي توزيع النشرات لرابطة الشبيبة لمكافحة الاتصال الجنسي وفي تحفيز الريات لأسبوع الكرامية، وجمع الأموال لحملة التوفير والإقذار، وما الى ذلك من نشاطات. كانت تقول: (انه يستحق الجهد ويعود بفائدة، كان عبارة عن خداع وتعميه. ان حافظ المرء على الأنظمة الصغيرة، فان يوسعها أن ينتهك الكبيرة منها) وقد وصلت الى إقناع ونستون أن يعطي أمسية ثانية من أمسياته عن طريق تسجيل نفسه لعمل إضافي في الذخيرة. وهكذا أخذ ونستون يقضي أربع ساعات من كل أسبوع في عمل مسائي ممل الى حد الشلل، يقوم في أثناءه بربط قطع صغيرة من المعدن قد تكون أجزاء من صمامات قنابل، في معمل سيء الاضاءة ذي تيارات هوائية، حيث يختلط ضرب المطارق بالموسيقى التي يبثها التلفزيون على نحو كئيب حزين.

ملا ونستون وجوليا الفجوات في احاديثهما السابقة المتقطعة عندما التقيا في برج الكنيسة المتهتمة. كان يوماً قائماً، والهواء في الغرفة الصغيرة المربعة الراقعة فوق الأجراس حارا وراكدا، تفوح منه رائحة روث الحمام بشكل قوي جداً. جلسا على الأرض المغبرة المغطاة بالأقماع الصغيرة يتحدثان لساعات وبين الحين والآخر كان ينهض أحدهما ليلقي نظرة من خلال فتحات السهام ليتأكد من عدم مجيء أحد.

كانت جوليا في السادسة والعشرين من العمر، تعيش مع ثلاثين فتاة أخرى في نزل تطلق عليه دائما عفن النساء.. وتضيف كم أكره النساء.. وكانت تعمل، كما تصور ونستون في آلات كتابة الرواية في دائرة الأدب القصصي، وتستمتع بعملها الذي يكمن في الأغلب في ادراة وصيانة محرك كهربائي قوي

دقيق يتطلب براعة وحذراً، لم تكن ذكية، ولكنها موهبة باستخدام يديها ومطلعة أتم الإطلاع على الآلات، وكان بوسعها أن تصف عملية تأليف رواية، بدءاً من التعليمات والتوجيهات العامة الصادرة عن لجنة التخطيط وانتهاء بالتنقيح الأخير الذي تقوم به فرقة التنقيح، ولكنها لم تكن تهتم بالانتاج الكامل ولا بالقراءة حسب قولها. كانت الكتب بالنسبة إليها مجرد سلعة يجب انتاجها مثل مربى الفاكهة أو أشربة الأحمية.

لم تكن لديها ذكريات عن أي شيء يعود الى ما قبل مطلع الستينات، وكان جدها، الذي اختلفى وهي في الثامنة من العمر، الانسان الوحيد من الذين عرفتهم الذي تحدثت كثيرا عن أيام ما قبل الثورة. كانت وهي في المدرسة قائدة فريق لعبة الهوكي، وقد حازت على ميدالية رياضة الجمناز لستين على التوالي، وكانت قائدة لفرقة كشافة في الجواسيس، وسكوتيرة لأحد فروع اتحاد الشبيبة قبل أن تنضم الى رابطة الشبيبة لمكافحة الاتصال الجنسي. وكانت دائما تتحلل بأخلاق ممتازة حتى أنها قد انتخبت، بسبب تمتعها بسمعة المعموم عن الخطأ، للعمل في بورنوسيك، وهو قسم ثانوي من دائرة الأب القمصي الذي ينتج الألب الأباحي الرخيص لتوزيعه على العمال. كان هذا القسم يلقب بالبيت القذر من قبل الناس الذين يعملون فيه، حسب تعليقاتها. واستمرت تعمل هناك لمدة سنة تساعد في انتاج كتيبات في رزم صغيرة مختومة عليها عناوين مثل «قصص رائعة» أو «ليلة واحدة في مدرسة بنات»، كانت تشتري بطريقة سرية من قبل الشباب من العمال وهم تحت الانطباع بأنهم يشترون شيئاً غير مشروع.

سأل ونستون بفضول (ماذا تشبه هذه الكتب ؟)

(أوه، هراء بشكل فاضح، مملة من غير ريب، فيها ست حبكات فقط، ولكنهم يجرون عليها بعض التعديلات، طبعاً كنت أعمل على المشاكل فقط، ولم أكن في لجنة التنقيح قط، أنا لست أدبية يا عزيزي - لست أدبية الى الحد الكافي للقيام بذلك) .

علم باستغراب ان كل العاملين في بورنوسيك باستثناء رؤساء الدوائر

كانوا من الفتيات. وكانت النظرية تقول أن الرجال الذين هم أقل تحكماً في غرائزهم الجنسية من النساء، هم أكثر تعرضاً للافساد عن طريق القذارة التي يعالجون موضوعاتها.

قالت جوليا: (أنهم حتى لا يرغبون في وجود نساء متزوجات هناك). ثم أضافت: (يفترض في الفتيات غير المتزوجات أن يكن دائماً عفيفات جداً، وهنا واحدة ليست كذلك، على أي حال).

مرت جوليا في أول علاقة غرامية لها مع عضو في الحزب في الستين من عمره وهي في السادسة عشرة من عمرها، وقد أقدم على الانتحار فيما بعد تجنّباً لالقاء القبض عليه. قالت جوليا: (وحسنا فعل والا أجبروه على البوح بأسمي عندما يعترف). ومنذ ذلك الحين كان هناك آخرون من فئات متنوعة. كانت الحياة بالنسبة لها بسيطة إلى حد بعيد. يريد المرء أن يستمتع بوقته ويريد الحزب أن يمنعه من ذلك، وبالتالي فإنه ينتهك القانون بقدر ما يستطيع. وكان يتراءى لها أنه من الطبيعي أن يرغب أعضاء الحزب في سلب مسرات المرء، كما يرغب هو بدوره أن يتجنب الوقوع في الشرك. كانت تكرة الحزب وتتعترف بذلك بأقل الكلمات تهنئياً، ولكنها لم تنتقده بشكل عام. لم تكن تهتم بتعاليمه ومعتقداته الا فيما يتعلق منها بحياتها شخصياً.

لاحظ ونستون أن جوليا لم تستعمل كلمات اللغة الجديدة أبداً باستثناء ما انتقل منها إلى الاستعمال اليومي. كما أنه لم يسبق لها أن سمعت عن منظمة الاحياء، وترفض أن تصدق بوجودها، وأن أي نوع من التمرد المنظم هو محض غباء، وأن ماله الفشل، وأن الذكاء يتمثل في أن ينتهك المرء القوانين ومع ذلك يظل على قيد الحياة. تساءل ونستون بغموض عن عدد الموجودين من أمثالها في الجيل الأصغر - أشخاص نشأوا في ظل الثورة، لا يعرفون شيئاً آخر، يقبلون الحزب كما يقبلون السماء كأمر مسلم به ولا يمكن تغييره، لا يثيرون ضد سلطته، ولكنهم يتفادونها كما يتفادى الأرنب الكلب.

لم يبحثا أمر احتمال زواجهما لأنه كان أبعد من أن يستحق التفكير فيه، ليس هناك لجنة يمكن تخيلها لاقرار مثل هذا الزواج أبداً حتى لو كانت هناك

امكانية للتخلص بطريقة ما من كاترين، زوجة ونستون. لقد كان الأمر ميؤوساً منه حتى في الأعلام اليومية.

سألت جوليا: (كيف كانت زوجتك؟)

(كانت - هل تعرفين كلمة حميف التفكير في لغة أوشانيا الرسمية، والتي تعني قوية الرأي بافطرة، غير قادرة على التفكير السهي؟)

(كلا، لم أكن أعرف الكلمة، ولكنني أعرف هذا النوع معرفة تامة).

شرح يقصن عليها قصة حياته الزوجية، ولكن الغريب في الأمر انه اتضح أن جوليا كانت تعرف الجوانب الهامة من قبل، فقد وصفت له تعلب جسم كاترين عندما كان ونستون يلمسها، وصفت ذلك وكأنها قد رأته أو لمستته، كما وصفت له الطريقة التي كانت تدفعه بعيدا عنها بكل ما أوتيت من قوة، حتى عندما كانت تعانقه بشدة. لم يكن ونستون يجد أية صعوبة في التحدث عن مثل هذه الأمور مع جوليا، ومهما يكن الأمر، فإن كاترين لم تعد تذكرى مؤالمة منذ وقت طويل بل أصبحت تذكرى بغضبة ليس غير.

قال ونستون: (كان من الممكن ان اتحمل ذلك لو لم يكن من أجل شيء واحد)، وحدثها عن المراسم القميرة الفاترة التي كانت كاترين تجبره على القيام بها في نفس الليلة من كل أسبوع: (كانت تكره ممارسة ذلك، ولكن لا شيء جعلها تتوقف عن القيام به. اعتادت أن تسميه - ولكن لا يمكن أن تخمئي أبدا).

فقات جوليا على الفور: (واجبنا نحو الحزب).
(وكيف عرفت ذلك؟)

(كنت أيضاً في المدرسة يا عزيزي، دروس عن الجنس مرة في الشهر للراتي تتجاوز أعمارهن السادسة عشرة. وفي حركة الشبيبة كانوا يواصلون الحديث عنه لسنوات، وأستطيع القول أنهم يجحون في حالات كثيرة. ولكن لا يستطيع المرء أن يحكم أبدا فالكناس منافقون بشكل رهيب).

وأخذت تتوسع في الحديث عن الموضوع، كان كل شيء بالنسبة لها يعود إلى شئونها الجنسية، وكانت مجرد أن يمس الموضوع متا رقيقاً بأية طريقة، قادرة على إظهار حدة ذهن عظيمية، وبخلاف ونستون، فقد أدركت المعنى الباطني للمظهر الجنسي للحزب لم يكن الأمر أن الغريزة الجنسية خلقت عالما خاصا بها خارجا عن سيطرة الحزب وبالتالي يجب تحطيمه ان امكن فحسب، كان الأهم من ذلك أن الحرمان الجنسي كان يسبب هستيريا وهو أمر مرغوب فيه ان يمكن تحويله الى حمى الحزب وعبادة القائد، وقد عبرت عن ذلك بقولها:

(عندما يمارس المرء الجنس فانه يستنفذ طاقة، وبعد ذلك يشعر بالسعادة ولا يأبه لأي شيء، وأعضاء الحزب لا يطبقون أن يشعر المرء كذلك لأنهم يريدونه أن يفيض قوة مليئة الوقت. وما هذا السير نهابا وإيابا، والتهليل والهتاف ورفرفة الأعلام الا طريقة كريمة لتصريف الجنس. فانا ما كان الانسان سعيدا في قرارة نفسه فلماذا يتحمس للأخ الكبير، وخطمة العلات سنوات، ودقيقتي الكراهية وبقية مراتهم اللعين القذرة؟)

فكر ونستون أن كل ما قالته صحيح، وفي أن هناك علاقة وطيدة ومباشرة بين العفة والمعتقدات السياسية التقليدية . إن كيف يمكن للخوف والكرهامية وسرعة التصديق الطائشة المجنونة التي يريدتها الحزب أن تظل عند الأعضاء بدرجة مناسبة، الا عن طريق حصر غريزة قوية واستخدامها كقوة نافعة؟ كانت غريزة الجنس خطرا على الحزب، ولكنه حول ذلك لصالحه. وقد سبق له أن لعب نفس اللعبة الحقيقية بالنسبة لغريزة الأبوة. في الحقيقة لم يكن بالامكان القضاء على العائلة، وكان الناس بالفعل يشجعون على أن يحبوا أو لا لانهم حسب الطريقة التقليدية تقريبا. ولكن من الناحية الأخرى كان الأولاد يحرضون على أبائهم بصورة منتظمة، ويعلمون التجسس عليهم وتقديم التقارير عن انحرافاتهم. لقد أصبحت العائلة بالفعل امتدادا لبرليس الفكر. كانت تلك وسيلة يمكن بواسطتها احاطة كل فرد بمخبرين يعرفونه معرفة حميمة بالليل والنهار.

وفجأة عاد بذاكرته الى كاترين التي لم تكن بلا ريب لتتورع عن التبليغ

عنه لبوليس الفكر لو لا غياؤها الذي حال بينها وبين اكتشاف عدم استقامة أرائه ومعتقداته. ان ما ذكره بها في هذه اللحظة كان تلك الحرارة الحائقة التي أدت الى تفصت العرق من جبينه. وشرع يقص على جوليا حادثة حصلت، أو بالأحرى فشلت في الحصول، في أميل يوم قانط من أيام الصيف الحار قبل أحد عشر عاماً.

حدث ذلك بعد زواجهما بثلاثة أو أربعة أشهر عندما ضلا طريقهما وما يقومان بنزهة جماعية طويلة سيراً على الأقدام في مكان ما في منطقة كنت. وكنا قد تحلفنا عن الآخرين لمدة دقيقتين فقط، وفي الحال وجدا أنهما ترفقا فجأة بسبب حافة محجر قديم للكلس يبلغ عمق انحداره العمودي عشرة أو عشرين متراً في أسفله حجارة جلمودية*. ولم يكن هناك من يسألانه عن الطريق. وحالما أدركت كاترين أنهما ضلا الطريق، انتابها الخوف والقلق لأنها كانت من النوع الذي يستولي عليه الشعور بالذنب عندما تبتعد عن جمهور المتساقطين الصاخب ولو لفترة وجيزة. أرادت أن يعودا من حيث أتيا بسرعة وأن يبدأ البحث في الجهة الأخرى. ولكن ونستون لاحظ في تلك اللحظة بعض عناقيد الأزهار التي تنمو بين شقوق الصخور الشائقة تحتها، وكان أحد هذه العناقيد من لورين، أحمر ضارب الى الأرجواني وأحمر قرميدي، وكان جلياً أنهما ينموان من نفس الجذر. ولم يكن ونستون قد رأى مثله من قبل قط، ونادى على كاترين طالباً منها أن تأتي كي تراه.

(أنظري، كاترين! أنظري الى تلك الزهور تلك المجموعة القرية من القاع، هل ترين أن لها لونين مختلفين؟)

كانت كاترين قد استدارت لتذهب غير أنها عادت للحظة وهي مغتافلة نوعاً ما، ثم انحنت فوق سطح الصخرة لترى المكان الذي أشار إليه. وقف ونستون خلفها بقليل، وقد وضع يده على وسطها كي يثبتها. وفي تلك اللحظة خطر له فجأة أنهما وحيثان تماماً إن لم يكن في المكان أي انسان، لا ورقة تتحرك، ولا حتى عمفور مستيقظ. وكان خطر وجود ميكروفون مخبأ في

* الجلمود: صخر فضخ أكتسبته المياه أو الأحوال الجوية شكلاً مدوراً.

مكان كهنا أمرا ضعيف الاحتمال كثيرا، وحتى لو أن هناك واحد فسوف يلتقط الأصوات لا غير. كان الوقت أشد حرا وأكثر نعاسا من وقت الأصيل، وقد أرسلت الشمس المتوهجة لهبها عليهما، وقد ندغ العرق وجهه. وخطرت له الفكرة...

وقالت جوليا: (لماذا لم تدفعها دفعة عنيفة؟ لو كنت مكانك لفعلت ذلك).

(نعم يا عزيزتي، لو كنت لفعلت. ولو كنت نفس الإنسان الذي هو أنا الآن لكنت قد فعلت. أو ربما كنت قد فعلت - إنني لست متأكدًا).

(وهل أنت أسف لأنك لم تفعل؟)

(نعم.. على العموم فانا أسف لأنني لم أفعل).

كانا يجلسان جنباً الى جنب على الأرض المغيرة. وشدها إليه أكثر بحيث أستقر رأسها على كتفه وقد تغلبت رائحة شعرها اللطيفة على رائحة روث الحمام، وخطرت له أنها صغيرة جداً، وأنها ما تزال تتوقع شيئاً من الحياة، وأنها لم تكن تدرك أن دفع إنسان مزعج من فوق صخرة شاهقة لا يحل شيئاً.

وقال ونستون: (ما كان ذلك ليغير شيئاً).

(إن لماذا تأسف لأنك لم تفعله؟)

(لأنني أفضل الإيجابية على السلبية فقط. إننا لا نستطيع الفوز في هذه اللعبة التي نلعبها. إن بعض أنواع الفشل أفضل من غيرها، وهذا هو كل شيء).

شعر بكتفيتها تهتز بسبب مخالفتها لرأيه، كانت دائماً تعارضه كلما قال شيئاً من هذا القبيل، وترفض قبول المبدأ القائل ان الانسان مغلوب دائماً كقانون طبيعي. كانت تدرك بطريقة ما أنه محكوم عليها، وأن بوليس الفكر سوف يقبض عليها ويقتلها ان عاجلاً أو آجلاً، ولكنها كانت تؤمن بجزء آخر من عقلها - ان بإمكان المرء بطريقة أو بأخرى أن يقيم عالماً سرياً يستطيع العيش فيه كما يحب، وأن كل ما يحتاجه هو الحظ والدماء والجرأة. لم تكن تدرك أنه

لا يوجد شيء يقال له السعادة، وأن النصر الوحيد يكمن في المستقبل البعيد، بعد موت المرء بوقت طويل، وأنه منذ اللحظة التي يعلن المرء فيها الحرب على الحزب فان من الأفضل له أن يعتبر نفسه جثة هامدة.

قال ونستون: (نحن الأموات).

فأجابت جوليا بواقعية: (ولكننا لسنا أمواتاً بعد).
(ليس جسدياً. ستة أشهر، سنة، خمس سنوات، كما أعتقد. أنني أخاف من الموت. انك صغيرة من المسلم به أنك تخافينه أكثر مني. من الواضح أننا سنؤجله بقدر ما نستطيع، ولكن ذلك لن يغيّر كثيراً. ما دام الناس أناساً، فالموت والحياة سيان).

(أه، هراء! من تفضل أن تضاجع أنا أم هيكلًا عظيمياً؟ ألا يسرك أنك على قيد الحياة؟ ألا تحب الإحساس: هذا أنا، هذي يدي، هذي ساقي، أنا حقيقة، أنا مجسد، أنا حي! ألا تحب ذلك؟)

واستدارت وضغطت صدرها عليه بطريقة جعلته يحس بثدييها من خلال سروالها، ناضجين مكتنزين. تراءى له كأن جسدها يصب بعضاً من شبابه وقوته في جسده.

وقال: نعم، إنني احب ذلك .

(اذن لا تتحدث عن الموت. واستمع الآن أيها الحبيب، علينا ان نتخذ الترتيبات اللازمة للقائنا المقبل. بإمكاننا العودة الى المكان الذي في الغابة بعد أن اعطيناه راحة طويلة للغاية. ولكن عليك أن تذهب إلى هناك من طريق آخر هذه المرة، وقد خططت له تماماً. تأخذ القطار - ولكن أنظر فسأرسمها لك).

وبطريقتها العملية جمعت بجهد دائرة صغيرة من التراب وأخذت ترسم خريطة على الأرض مستخدمة غصينا من عش حمامة.

تفحص ونستون الغرفة الصغيرة الرثة التي كانت فوق حانوت السيد شارنغتون. بالقرب من النافذة كان سرير ضخم مرتب، عليه حرامات رثة ووسادة بدون غطاء، وعلى رف المستوقد كانت الساعة القديمة ذات الوجه المؤلف من اثنتي عشرة ساعة تتكثك، وعلى الطاولة الطويلة المطوية التي في الزاوية وضعت مثقلة الورق الزجاجية التي اشتراها ونستون عند زيارته الأخيرة للجانوت والتي ترسل ضوءا مليفا في الغرفة المظلمة قليلا.

وفي داخل سباح المدفأة كان جهاز قديم للمبخج ممنوع من القصدير، ومقلاة وفنجانان مزودة من السيد شارنغتون. أشعل ونستون الجهاز ووضع عليه وجاء معدنيا مملوءا بالماء لغليه، فقد أحضر معه ظرفا من بن النمر وبعض أقراص السكرين. أشارت عقارب الساعة الى السابعة والثلاث ولكنها كانت في الواقع التاسعة عشرة والثلاث، وستحضر جوليا في الساعة التاسعة عشرة والنصف.

رند ضميره: (حماقة، حماقة، حماقة انتحارية)، من جميع الجرائم التي يستطيع عضو الحزب ارتكابها كانت تلك أقلها امكانية للاخفاء. خطرت له فكرة استئجار الغرفة لأول مرة على شكل رؤيا عكستها مثقلة الورق الزجاجية على سطح المائدة المطوية. وكما توقع لم يعارض السيد شارنغتون في تأجير الغرفة، على العكس، كان سعيدا بالولالات القليلة التي ستدرها عليه. كما أنه لم يصدم ولم يشعر بالاهانة والغضب عندما شرح له ونستون انه يريد الغرفة من أجل علاقة غرامية. بدلا من ذلك أخذ ينظر الى رقعة الأرض التي في الوسط وأخذ يتحدث بالعموميات بكياسة شديدة ليعطي الانطباع أنه أصبح غير منظور الى حد ما، قائلا ان السرية شيء ثمين جدا، وأن كل انسان يتمنى أن يجد مكانا يستطيع أن يكون فيه وحيدا بين الفينة والأخرى، وأنه عندما يجد الانسان مثل هذا المكان فإن من اللطف والكياسة ان يحافظ جميع الذي يعرفون عنه على السر. حتى أنه أضاف ان المنزل مدحطين أحدهما عبر الساحة المشرفة على زقاق ضيق طويل، وقد تراءى لو نستون أنه تلاشى من الوجود تقريبا عندما قال ذلك.

كان شخص ما يغني تحت النافذة، ومن وراء الستارة الممنوعة من الموماليين*، اختلس ونستون النفر فرأى امرأة ضخمة في الفناء الذي تحت النافذة، تغمره شمس حزيران التي ما تزال في كبد السماء. كانت المرأة متجئة صلبة مثل عمود نورماندي، ذات سواعد حمراء مفتولة، تمشي نهارياً وإياباً بتناقل بين حوض وجبل الغسيل تشبك مجموعة من المربعات البيضاء، أراك وبتسون أنها فوما أطفال. وكانت كلما خلا فيها من ملاقط الغسيل تغني بصوت قوي رنان الأغنية التالية:

جان حيا ياك رتغشي هي الهياية
تغور من أيلو ليوان
فيم أن نشرة وقلمة والأطلام التي أوان لوان
ك طبعلا تليهي بهيملا

لازم اللحن لندن لأسابيع مضت، وكانت الأغنية واحدة من أغاني مماثلة لا تعد ولا تحصى تنشر للعمال من قسم ثانوي تابع لدائرة الموسيقى، توأف كلماتها بواسطة آلة تعرف بالنافذة من دون أي تدخل انساني البتة. غير أن المرأة كانت تغني بصوت موسيقي رخيخ حول الهراء الكريه الى صوت سار الى حد ما. كان بوسعه أن يسمع المرأة وهي تغني، وأن يسمع صرير حذائها على الحجارة، وصراخ الأولاد في الشارع، ومن مكان ما بعيد جاءه ضجيج خافت للسيارات. ومع ذلك فقد بدت الغرفة ساكنة بشكل غريب، ويعود الفضل في ذلك الى غياب التلفزيون.

حميقة، حميقة، حميقة... فكر ثانية. كان ارتياحه مع جوليا لهذا المكان لأكثر من أسابيع قليلة دون أن يكتشف أمرها امرا لا يصدق، وكان اغراء أن يكون لديهما مخبئاً خامساً بهما، في الداخل وعلى مقربة منهما، أقوى من أن يستطيعا التغلب عليه. كان من المستحيل عليهما بعد زيارتهما لبرج الكنيسة ترتيب لقاءات لبعض الوقت لأن ساعات العمل قد ازادت بشكل عنيف استعداءاً لأسبوع الكرامية، الذي بقي على موعده أكثر من شهر، ولكن

* نسيج قطني رقيق.

الاستعدادات الضخمة المعقدة التي يستلزمها كانت تلقى عبئا امانيا على كل فرد. وأخيرا نجح كلاهما في الحصول على عطلة بعد فلتهم نفس اليوم، بعد أن اتفقا على العودة الى الفسحة الخالية من الأشجار في الغابة. وفي مساء اليوم السابق التقيا لفترة قصيرة في الشارع، وكالعادة لم ينظر ونستون الى جوليا عندما جرفها الجمهور تجاه بعضهما البعض، ولكن من النظرة الخاطفة التي ألقاها عليها تراءى له أنها أكثر شحوبا من المألوف.

وحالما قدرت أن الكلام مأمون لمست قائلة: (كل شيء لاخ. أعني غدا).

(ماذا؟)

(لا أستطيع الحضور بعد ظهر الغد).

(ولم لا؟)

(أه، السبب المعتاد. جاءت في وقت مبكر هذه المرة).

وللحظة قصيرة غضب غضبا شديدا، لأن طبيعة رغبته تجاهها قد تغيرت خلال الشهر الذي عرفها فيه. في البداية لم يكن لديه الا القليل من الشهوة الجسدية الحقيقية، ولم تكن مصاحبتها الأولى سوى عمل ارادي ليس غير، ولكن الحال قد تغيرت بعد المرة الثانية، فقد تراءى له أن راحة شعرها، وطعم فمها، وملمس بشرتها قد استولى عليه أو على الهواء الذي يتنفسه، وانها قد أصبحت ضرورية جسدية، شيئا لا يشتهييه فحسب ولكن له الحق فيه كما يعتقد. أحس بأنها تخدعه عندما قالت أنها لا تستطيع الحضور، غير ان الجمهور ضغظهما معا في تلك اللحظة فالتقت يداهما مصانفة، فضغظت أطراف أصابعه ضغطة سريعة أحس بأنها لم تعتبر عن الرغبة ولكن عن عاطفة حب، وخطر له أن خيبة الامل الاستثنائية منه لا بد أن تكون حادثة طبيعية عندما يعيش رجل وامرأة معا. وفجأة استولى عليه شعور قوي من الحنان لم يسبق له أن شعر تجاهها بمثله من قبل. وتمنى لو أنهما كانا زوجين منذ عشر سنوات. كما تمنى لو أنه يسير معها في الشوارع. كما يفعل الآن تماما ولكن على نحو علني، دونما خوف أو وجل يتحدثان عن أشياء تافهة ويشتريان ويتبعان النثریات للأسرة. وفوق كل شيء تمنى لو كان لهما مكان يستملحان العيش فيه منفردين دون شعور منهما بالالتزام بالمصاحبة كلما التقيا.

ان فكرة استئجار غرفة السيد شارنغتون لم تخطل له في تلك اللحظة، بل في اليوم التالي. وعندما اقترحها على جوليا وافقت بسرعة ومن غير تردد. أدرك كلاهما أنها فكرة جنونية، بل أنها بمثابة اقتراب لهما من قبريهما عن عمد. وبينما كان يجلس على حافة السرير في انتظار جوليا فكر ثانية بأقبية وزارة الحب. كان من الغريب أن يتحرك ذلك الرعب الشديد المقدر داخل وعي الانسان وخارجه، ويبقى ثابتا في المستقبل، يسبق الموت بالتأكيد كما يسبق العدد ٩٩ المائة، ولا يستطيع المرء تجنبه ولكن ربما استماع تأجيله، وبدلا من أن يفعل ذلك يختار بين حين وآخر من خلال عمل متعدد مقصود أن يقصر الفترة التي تسبق حدوثه. وفي تلك اللحظة سمعت خطوة سريعة على السلم واندفعت جوليا الى الغرفة تحمل كيسا بنيا من القنب الخشن لوضع الادوية كالذي يراها أحيانا تحمله في طريقها الى الوزارة وعودتها منها. وتقدم الى الامام ليحتضنها، ولكنها تخلصت منه بسرعة لانها كانت لا تزال تحمل كيس الادوية.

وقالت: (نصف ثانية، دعني فقط أريك ما الذي أحضرته معي. هل أحضرت بعضا من قهوة النمر الكريهة؟ قدرت انك ستفعل. بإمكانك أن تلقىها بعيدا لاننا لن نحتاجها. أنظر هنا).

وركعت على ركبتيها وفتحت الكيس وطرحت جانبا بعض المفكات والصامولات التي ملأت بها الجزء الاعلى منه. رأى تحتها عددا من الرزمات الورقية الصغيرة المرتبة. كان للرزمة الاولى التي أعطتها له ملمس غريب ولكنه مأروف بصورة غامضة. كان مملوا بشيء ثقيل يشبه الرمل غير أنه لين الملمس، قال ونستون: (أوه سكر؟)

(سكر أصلي، ليس سكرتين، وهذا رفيف خبز - خبز أبيض أصلي، وليس خبزنا الكريه - وعلبة مربى صغيرة. وهذه علبة حليب ولكن انظر؟ هذا هو الشيء الذي أنا فخور به، كان علي أن الفه بقطعة خيش لأن . . .)

ولكنها لم تكن مضطرة لتقول له لماذا وضعته بقلعه الخيش لأن راحته ملأت الغرفة. راحة قوية طازجة بدت وكأنها تنبثق من عهد طفولته، والتي

كان المرء يشمها أحيانا حتى في الوقت الحاضر تهب من ممر ما قبل أن يغلق أحد الابواب بعنف، أو عندما تنشر نفسها بطريقة خفية في شارع مزدهم حيث يشمها المرء للحظة قصيرة قبل ان تصبح ثانية.

ومس: (انها قهوة ، قهوة أصلية).

أجابت جوليا: (انها قهوة الحزب المركزي، وعندنا منها كيلو بحاله).

(وكيف نجحت في الحصول على جميع هذه الاشياء؟)

(جميعها من موار الحزب المركزي. ليس هناك شيء لا يملكه هؤلاء المختازير، لا شيء..ولكن بالطبع فان الخدم والنذل والناس يسرقون الاشياء، و...أنظر، أحضرت صندوق شاي أيضا).

كان ونستون قد جلس القرفصاء بجانبها، ومزق طرفا من الصندوق. (انه شاي أصلي، ليس أوراق العليق).

(يوجد الكثير من الشاي في الفترة الأخيرة. لقد استولوا على الهند أو

شيء ما) قالت بغموض. (ولكن اسمع يا عزيزي: أريدك أن تدير ظهرك لمدة ثلاث دقائق. اذهب واجلس على الطرف الآخر من السير. لا تقترب كثيرا من النافذة، ولا تستمر حتى أطلب منك).

أخذ ونستون يحملق من خلال ستارة الموملين وهو يشارد النمن، وفي الساحة السفلى كانت المرأة ذات السواعد الحمراء، ما تزال تنتقل من حوض الغسيل الى الحبل. وأخرجت من فمها ملقمى غسيل وأخذت تغني بأحاسيس عميق:

يشولون أن الزوم تشيل بشاه كل شيء
يشولون أن يوسع المرء أن يحسى والشم
ولكن البسباتك السمين ولانوشا ط اول
تسعى اولان تشين عسى الان . . .

بنا له أنها تحفظ الأغنية الصيبانية عن ظهر قلب، حمل نسيم الصيف الليل موتها الى أعلى رخيما مشبعا بنوع من الكآبة السعيدة. كان يخيل للسامع أنها ستكون قانعة تماما لو امتد مساء هذا اليوم من حزيران الى ما لا نهاية ولو ظل مدد الملابس مستمرا حتى تبقى هناك آلاف عام تثبت الفوط على الحبل بالملقط وتغني ذلك الهراء. وخطر له كحقيقة غريبة أنه لم يسبق له أن سمع أحد أعضاء الحزب يغني بمفرده وبصورة تلقائية، وأنه لو حصل ذلك فانه سيبدو غير تقليدي الى حد ما، وطاح عن المألوف وخطير، مثله في ذلك مثل المرء الذي يكلم نفسه. قد يكون عند الناس ما يتغنون به عندما يكونون على وشك الموت جوعا.

قالت جوليا: (بإمكانك أن تستدير الآن).
ولما استدار نحوها تعذر عليه معرفتها لفترة قصيرة. توقع أن يراها عارية، ولكنها لم تكن كذلك. لقد كان التغيير الذي طرأ عليها أكثر غرابة. لقد صبغت وجهها.

لا بد أنها قد انسلت الى حانوت ما في حي العمال وابتاعت لنفسها طبقا كاملا من أدوات الزينة. بدت شفتاها ووجنتاها حمراء غامقة وكان على أنفها طبقة من البوردرة، كما وضعت لمة من شيء ما تحت العينين جعلتهما أكثر بريقا. لم تقم بالعملية بمهارة، ولكن مستوى ونستون يمثل هذه الأمور لم يكن رفيعا، ولم يكن قد رأى أو تخيل من قبل امرأة في الحزب على وجهها مستحضرات تجميل أبدا. لقد كان التغيير الذي طرأ على مظهرها مذهلا. فعن طريق لمسات رقيقة ومقادير قليلة من المساحيق في الامكنة المناسبة لم تصبح أكثر جمالا فحسب، ولكنها، وفوق كل شيء أصبحت أكثر انوثة. هذا تصبغ أكثر شعرا القصير وسرواها الصبائي الى هذه النتيجة. وعندما احتواها وقد أضاف شعرات أنفه رائحة بفسج اصطناعية. وتذكر عندما الغلظة الجزئية بين ذراعيه غمرت أنفه رائحة بفسج اصطناعية. وتذكر عندما الغلظة الجزئية للمطبخ الواقع في السور الاسفل، وفم امرأة غائر ذا تخاريب. كانت قد استعملت العطر نفسه، ولكن لم يعد الامر يهمه في تلك اللحظة.

قال: وعطر أيضا .

(نعم، يا حبيبي، وعطر أيضا. وهل تدري ما سوف أفعله في المرة القادمة؟ سوف أحصل على ثوب نسائي حقيقي من مكان ما وأرتديه بدلا من بنطالي الملطون هذا، وسأرتدي جوارب حريرية وحذاء نا كعب عال. وسأصبح في هذه الغرفة امرأة لا رفيقة في الحزب).

طرحا ملايسهما جانبا وصعدا الى السرير الكبير الممنوع من خشب الماهوغاني. كانت المرة الاولى التي يتعري فيها أمامها، لأنه كان ما يزال خجلا للغاية من جسمه الضئيل الشاحب، بأورده المتقرحة الناتجة على بطني ساقيه، والبقعة الصغيرة الفاسدة اللون فوق كامله. خلا السرير من أية ملاءات، ولكن الحرام الذي استلقيا فوقه كان رثا باليا وناعما، وقد اذلهما حجم السرير وليوته. قالت جوليا: (من المؤكد أن الحشرات تملأه، ولكن من الذي يهتم بذلك؟) لم يعد المرء يرى سريرا مزدوجا هذه الايام الا في بيوت العمال. كان ونستون ينام أحيانا في سرير عندما كان ولدا، ولكن جوليا لم تنم في واحد من قبل بقدر ما استماعت أن تتذكر.

وفي الحال ناما لفترة قصيرة، وعندما استيقظ ونستون كانت عقارب الساعة تشير الى التاسعة تقريبا. لم يتحرك لأن جوليا كانت نائمة ورأسها منحني على ساعده، وقد انتقلت معظم مساحيقها الى وجهه او الى الوسادة، وظلت بقعة خفيفة من أحمر الخدود تبرز جمال عظمه وجنتها. سقطت شعاعة ذهبية من الشمس الغاربة فوق أسفل السرير وأضاءت الموقد حيث كان الماء يغلي في الاناء بسرعة. وقد توقفت المرأة التي في الساحة عن الغناء، ولكن صيحات الاولاد الضعيفة كانت تأتيهما من الشارع، وتساءل بغموض ما اذا كان الاستلقاء في السرير تجربة عادية في الماضي الذي انقضى، في مساء يوم صيفي بارد، رجل وامرأة من غير ملايس، يتغازلان عندما يرغبان، يتحدثان حول ما يريهان، ولا يشعران بأي الزام لأن ينهض، مستاقيان هناك ينصتان للاصوات الهادئة في الخارج. من المؤكد أنه لا يمكن ان يكون قد مر وقت كان ذلك فيه مألوفاً؟ استيقظت جوليا، فركت عينيهما وانكأت على مرفقها لتتنظر الى الموقد.

وقالت: (تبخر نصف ذلك الماء بفعل الغليان. سأنهض بعد لحظة لأعمل شيئاً من القهوة. لدينا ساعة واحدة. متى يطفئون الانوار في شققكم؟)

(الساعة الثالثة والعشرون والنصف)

يقطعونها في النزل الساعة الثالثة والعشرين، ولكن على المرء أن يعود قبل ذلك لأنه - هاهي! أخرج أياها الوحش القذر!)

وفجأة استدارت وهي في السرير، وتناولت فردة حذاء عن الارض، وبحركة صبيانية سريعة من ذراعها قذفتها الى الزاوية بعنف، تماما كما رأها وهي تلقي بالقاموس على جولد ستاين في ذلك الصباح خلال برنامج دقيقتي الكرامية.

قال مستغربا: ما هو؟

(جرد. رأيته يفرج أنفه الكريه من الجدار. يوجد حجر هناك. لقد

أفرعته كثيرا على كل حال)

تمتم ونستون (جردان! في هذه الغرفة!)

فأجابت جوليا بدون مبالاة وهي تستلقي ثانية: (انها في كل مكان، وهي موجودة حتى في مطبخ النزل الذي نسكنه. وبعض أجزاء لندن تعج بها. هل تعرف أنها تهاجم الاطفال؟ نعم، انها تفعل ذلك. وفي بعض هذه الشوارع لا تجرؤ امرأة على ترك طفلها وحيدا لمدة دقيقتين. ان الجردان الضخمة البنية اللون هي التي تفعل ذلك. والشيء الكريه ان هذه الحيوانات دائما - -)

(لا تكلمي!) قال ونستون وهو يغمض عينيه بشدة.

(يا أحب الناس! لقد شحب وجهك تماما. ما بك؟ هل تسبب لك

الغثيان؟)

(من دون الأشياء المثيرة للاشمئزاز الشديد - جردان!)

ضغطت جوليا جسمها على جسمه وفت اطرافها حوله وكأنها أرادت ان تعين الألمانية اليه عن طريق دفء جسدها. لم يفتح ونستون عينيه ثانية على نحو مباشر وشعر لعدة لحظات انه عاد الى الكابوس الذي كان يتكرر من وقت لآخر طيلة حياته كلها.

كان الحلم متشابها للدرجة كبيرة. كان يقف أمام جدار من الظلمة، وفي الجانب الثاني من الجدار شيء لا يحتمل، شيء مرعب للدرجة لا يمكنه معها ان يواجهه. كان شعوره في الحلم خداعا نفسيا لانه كان في الحقيقة يعرف ما وراء الجدار المظلم، حتى أنه في محاولة يائسه، تشبه انتزاع قطعة من دماغه بالقوة، كان بمقدوره ان يخرج هذا الشيء الى النور. ولكنه كان دائما يستيقظ من غير ان يكتشف ماهيته، ولكنه مرتبما بطريقة او بأخرى، بما كانت جوليا تقولها عندما طلب اليها الكف عن الكلام.

قال: آسف، لا شيء انني أكره الجوزان، وهذا كل ما في الامر .
لا تقلق يا حبيبي، لن توجد هذه الوحوش اللعينة هنا بعد الآن وسوف أسد الجحر بقطعة من الخيش قبل أن نذهب، وعندما تأتي هنا في المرة القادمة سوف أحضر بعض الجص وأسده بأحكام.

كانت لحظة الخوف القاتمة قد نسيت الى حد بعيد في ذلك الحين، وجلس ونستون خجلا من نفسه قليلا وقد اسند ظهره على رأس السرير. نهضت جوليا وارتدت سروالها ثم صنعت القهوة . كانت رائحتها من القوة والاثارة للدرجة جعلتهما يغلقان النافذة خوفا من أن يشتمها أحد في الخارج الامر الذي يثير فضوله. أما الصفة المميزة الناعمة التي أضافها السكر على القهوة فقد كانت أفضل من القهوة نفسها، وهو الشيء الذي كان ونستون قد نسيه تقريبا بعد سنوات من استعمال السكرين. طافت جوليا حول الغرفة واطمعة احدى يديها في جيبها وحاملة قطعة خبز ومرتب بالآخري، وأخذت تنظر بلا مبالاة الى خزانة الكتب وتشير الى أفضل الطرق لاصلاح الطاولة المملوطة، ثم أقلت بنفسها على الكرسي الرث الممزق ذي الذراعين لترى ان كان مريحاً، وتفحصت الساعة العثيرة للضحك ذات الأرقام الاثني عشر بنوع من التسلية المرحة، وأحضرت مقالة الورق الزجاجية الى السرير كي يتسنى لها رؤيتها في ضوء أفضل، فأخذها ونستون من يدها وهو مفتون كعادته دائما بمظهر الزجاج الناعم الذي يشبه ماء المطر.

سألت جوليا: ما هي حسب اعتقادك؟
(لا أعتقد أنها أي شيء أعني، لا اعتقد أنها استعملت لأي شيء أبدا. وهذا

ما يعجبني فيها، انها قطعة صغيرة من التاريخ قد أغفلنا تغييرها. انها رسالة من قبل مائة سنة انا عرف المرء كيف يقرأها).

(وتلك المصورة التي هناك) وأومات الى النقش الذي على الجدار المقابل (هل يمكن أن يكون عمرها مائة سنة؟)
(اكثر: أستطيع القول أن عمرها مئتا سنة. لا يستطيع المرء أن يحدد، من المستحيل أن يكتشف المرء عمر أي شيء هذه الأيام).

ونظمت لتتظفر اليها. (من هنا أخرج ذلك الوحش أنفه) قالت ذلك وهي تركل المادة التي على الجدار الداخلي تحت المصورة مباشرة: (ما هذا المكان؟ لقد رأيته في مكان ما من قبل).

(انها كنيسة، أو على الاقل كانت كذلك، وكانت تدعى كنيسة القديس كليمنت دينز). وتذكر الجزء من القصيدة التي كان السيد شارنغتون قد علمه اياه، وأضاف بشيء من الحنين الى الماضي: (برتقالات ولبيونات، تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت!)

ولدهشته أكملت جوليا البيت:

(انت مدين لي بثلاثة أرباع البنس، تقول أجراس كنيسة مارتن).
(متى ستدفع لي؟ تقول أجراس كنيسة بيلي القديمة . . .)
متى ستدفع لي؟

لا أستطيع أن أتذكر ما بعد هذين البيتين. ولكنني على كل حال أتذكر انها تنتهي، كالتالي: (هذه شمعة لتضيء لك الطريق الى الفراش، وهذا ساطور ليقطع رأسك!)

كان ذلك بمثابة توقيع آخر يشهد على صحة الابيات. ولكن لايد أن هناك بيتا آخر بعد أجراس كنيسة بيلي القديمة من الممكن استخراجه من السيد شارنغتون انا ما اتير بطريقة مناسبة لشحن ذاكرته.

سأل: (من علمك ذلك؟)
(جدي، وقد اعتاد ان يقوها لي عندما كنت فتاة صغيرة. لقد تبخر وأنا

في الثامنة - اختفى. وازافت بغير اهتمام (انني اتساءل ما هي الليمونة. لقد رأيت البرتقال. انه نوع من الفاكهة الصفراء له قشرة سميكة).

قال ونستون:(استطيع أن اتذكر الليمون، كان شائعا في الخمسينات، وكان حامض المذاق لدرجة أن مجرد شمّه كان يشحذ النواجز).

قالت جوليا:(أراهن على وجود حشرات وراء تلك الصورة. سأنزلها في أحد الايام وأنظفها جيدا. أعتقد أن الوقت قد حان كي نغادر. ويجب علي أن ازيل هذه المساحيق. يا له من عمل ممل! وسأزيل احمر الشفاه عن وجهك بعد ذلك).

لم ينهض ونستون لبضع دقائق، وأخذت الغرفة تظلم. استدار نحو الضوء وأخذ يحملق في مثقلة الورق الزجاجية. لم تكن قطعة المرجان الشيء الذي لا تنضب متعته، بل داخل الزجاج نفسه. صحيح أن فيه عمق ولكنه شفاف كالهواء تقريبا. بدا وكأن سطح الزجاج هو قوس السماء، وأنه يضم عالما صغيرا بجميع غلافه الجوي، وأن بوسعه ان يلج الى داخله، وأنه كان حقيقة في داخله، ومعه السرير المصنوع من خشب الماهوجوني، والطاولة المطوية، وساعة الحائط، والنقش المعدني والمثقلة ذاتها. كانت المثقلة الغرفة التي هو فيها، وأن المرجان حياة جوليا وحياته ثابتتان في قلب الكريستال بصورة أبدية.

٥

كان سام قد تلاشى، جاء صباح اختفى فيه من العمل، وعلق بعض الطائشين من الناس على غيابه. وفي اليوم التالي لم يذكره أحد. وفي اليوم الثالث ذهب ونستون الى دهليز دائرة السجلات ليرى لائحة الاعلانات. نشر أحد الاعلانات قائمة مطبوعة بأسماء أعضاء لجنة الشطرنج والتي كان سام أحد اعضائها. بدت تماما كما كانت في السابق، لم يشطب منها أي شيء ولكنها أقل من قبل باسم واحد. كان هذا كافيا. لم يعد سام موجودا؛ لم يكن قد وجد أبدا.

كان الطقس حارا جدا. أما في الوزارة المعقدة كالمتاهة فقد احتفظت

الغرف المكيفة الخالية من النوافذ بحرارتها الطبيعية المألوفة. أما الارصفة في الخارج فقد كانت تلذع الاقدام بحرارتها. وكانت رائحة انفاق السكك الحديدية النتنة في ساعات الازدحام الشديد امرا مرعبا. كانت الاستعدادات لاسبوع الكراهية على قدم وساق، وهيئات الوزارات كلها تعمل ساعات اضافية كي تنظم المسيرات، والاجتماعات، والاستعراضات العسكرية، والمحاضرات، ومعارض التماثيل الشمعية، وعرض الافلام، وبرامج التلفزيون، ولكي تقيم الاكشاك والتماثيل وتبتكر الشعارات، وتؤلف الاغاني، وتروج الاشاعات، وتزييف الصور. وقد اوقفت الوحدة التي تعمل فيها جوليا في دائرة الادب القصصي انتاج الروايات لترسل بسرعة باللغة سلسلة من الكتيبات باللغة الفظاعة. وكان ونستون، بالاضافة الى عمله المألوف، يقضي فترات طويلة من كل يوم يدرس بدقة ملفات قديمة من الاوقات مغيرا ومزخرفا أنباء قصيرة لاقتباسها والاستشهاد بها في الخطابات. وفي وقت متأخر من الليل كانت تلطف حشود من العمال المشاكسين شوارع المدينة يسودها جو من الحمى غريب. وكانت القنابل الصاروخية تسمع أكثر من أي وقت مضى، كما كانت تسمع أحيانا عن بعد انفجارات هائلة لم يستطع أحد تفسيره أسبابها، كانت تروج حولها اشاعات عاصفة.

أما اللحن الرئيسي الجديد لاسبوع الكراهية فقد تم تأليفه وأطلق عليه أغنية الكراهية، له نغم بدائي فظ يشبه النباح، اقرب الى قرع الطبول، لا يمكن ان يطلق عليه اسم موسيقى، وكان يبث بلا انقطاع من شاشات التلفزيون بصورة مرعبة لانه كان يغني من مئات الاصوات وعلى انغام لحن عسكري. وقد احبه العمال وأصبح ينافس الاغنية الشعبية "كانت نزوة يائسة فحسب"، وأخذوا يغنونه في الشوارع في منتصف الليل. أما أولاد عائلة البارسونز فقد جعلوا يعزفونه طيلة ساعات الليل والنهار على مشط وقطعة من ورق الحمام بصورة لا تطاق. كانت أمسيات ونستون مملوءة بالعمل أكثر من أي وقت مضى. وكانت فرق المتطوعين التي نظمها بارسونز تجهز الشوارع لاسبوع الكراهية، وتقذف الاسلاك عبر الشوارع من أجل الاعلام المثلثة الشكل معرضة نفسها للخطر وهي تقوم بذلك. وكان بارسونز يتفاخر أن عمارة النصر لوحدها سوف تعرض ما مقداره أربعمائة متر من الرايات. كان في مجال عمله المناسب سعيدا كالقبرة، وقد أعطته حرارة الجو والعمل اليدوي الذريعة للعودة الى

البنطال القمير والقميص المفتوح في السماء. كان في كل مكان في أن واحد، يدفع، يسحب، يذق، يواف، يمزج ويلطف الجميع طيلة الوقت بنصائح أخوية، مخرجا من كل ثنية من ثنانيا جسمه فيضا لا يتغيب من العرق ذي الرائحة النفاذة.

ظهر فجأة في جميع أنحاء لندن ملمق جديد بدون شرح أو تعليق يمثل شكلا رهيبا لجندي أوراسي يبلغ ارتفاعه ثلاثة أو أربعة أمتار يسير الى الامام بخملى واسعة، ورشيثة مصوبة من وركه، بحيث يرى المرء فومتها، المكبرة عن طريق التقمير بقصد ابرازها، مصوبة اليه مباشرة مهما كانت الزاوية التي ينظر منها الى المورة. وضع الملمق على كل مكان فارغ من كل حائط حتى أنه فاق عدد مور الاخ الكبير. واندفع العمال، الذين لم يكونوا يبالون بالحرب عادة ، اندفعوا بعنف في ثوبة جنونية من الوطنية تتكرر عادة في فترات منتظمة. وانسجاما مع الحالة العامة أخذت القنابل الماروخية تقتل اعداءا من الناس اكثر من المألوف. وسقطت واحدة منها على مسرح لعرض الافلام في ستيني كان يغمس بالناس، وطمرت بضع مئات من الضحايا تحت الركام. خرج جميع سكان المنطقة المجاورة من منازلهم للمشاركة في الجنازة الراحفة التي استغرقت ساعات، والتي كانت في الواقع بمثابة اجتماع للتعبير عن سخطهم ونقمتهم. ثم سقطت قنبلة ثانية على أرض مجيبة تستعمل كساحة للعب ومزقت بضع دزينات من الاولاد اربا اربا. تلا ذلك مظاهرات غاضبة صاخبة حرقت خلالها مور وتمثيل جولستانين كما مزقت مئات النسخ من مورة الجندي الاوراسي وأصبحت اشعة تقول ان جواسيس كانوا يوجهون القنابل الافطرابات، ثم انتشرت اشاعة تقول ان جواسيس كانوا يوجهون القنابل الماروخية بواسطة موجات لاسلكية، ونتيجة لذلك مات اختناقا زوجان طامعان في السن قلن أنهما من أصل غريب عندما حرق منزلهما.

وفي الغرفة الواقعة فوق حانوت السيد شارنغتون حيث كانت جوليا وريستون يذهبان كلما استطاعا الى ذلك سبيلا، كانا مستلقيين جنبا الى جنب فوق السرير الخالي من الملاءات، تحت النافذة المفتوحة، عازيين من أجل البرودة. لم يعد الجز الى الغرفة ابدا، غير أن الحشرات قد تكاثرت بصورة شنيعة بسبب الحرارة. غير أنه لم يكن لذلك أي تأثير لان الغرفة كانت

بالنسبة اليهما فردوسا سواء كانت نظيفة أو قذرة. وحال وصولهما اليها كانا يرشان كل شيء بالفلفل الذي تم شراؤه من السوق السوداء، ويتزعمان ملاسبهما، ويتغازلان وجسدهما يتفصمان عرفا، ثم ينامان ويستيقظان ليجدا أن الحشرات قد تجمعت وتكثرت لهجوم مضاد.

التفيا خلال شهر حزيران أربع، خمس، ست، سبع مرات. وكان ونستون قد أقلع عن عادة شرب الجن في كل الساعات، وقد تراءى له أنه فقد الحاجة اليه. وكان قد ازاد سمته وقد خمد تفرح الدوالي تاركا خلفه بقعة بنية اللون على الجلب الذي فوق الكاحل، كما توقفت ثوبات السعال التي تنتابه في الصباح الباكر، وأصبح أسلوب الحياة محتملا، ولم يعد لديه الدافع لان يكشر بسبب التلغزبون، ولا أن يلقي الشتائم بأعلى صوته. والآن وقد أصبح لديهما مخيا آمن، بيت تقريبا، لم يعد لقارهما بالأمر الصعب ولمدة ساعتين فقط في كل مرة. كان المهم بقاء الغرفة التي فوق مغزن الخردة، ومعرفة أنها موجودة، وان حرمتها لا تنتهك، شأنها في ذلك شأن وجودهما فيها. كانت عالما، منخلة معزولة من الماضي تستطيع الحيوانات المنقرضة السير فيها، واعتبر ونستون السيد شارنغتون حيوانا منقرضا آخر. كان من عادته وهو في طريقه الى الغرفة أن يقف ليتحدث الى السيد شارنغتون ليضع دقائق، وكان الرجل المسن نادرا ما يخرج من متجره، كما أنه لم يكن لديه زبائن تقريبا، كان يحيا حياة الاشباح بين الحانوت الصغير المظلم وبين مطبخ أكثر صفرا يقع في الخلف يجهز فيه وجبات طعامه ويحتوي ضمن أشياء أخرى، على فونوغراف قديم لدرجة لا تصدق له بوق ضخم. كان يبدو سعيدا لاعماله الفرصة للكلام، وعندما يتجول بين بضائعه المخزونة التافهة بأفنه الطويل ونظارته السمكية، ومنكببه المقوستين في الجاكيت المخملي، كانت له سيماء الانسان الذي يجمع الاشياء، واكثر من سيماء التاجر. كان يتناول بحماس فاطر واحدة من القمع الصغيرة من سقط المتاع الذي عنده - سداة زجاجة من الخزف، او غطاء مطلي لعلبة سعوط مكسورة، أو علبة معدنية مزيفة تحتوي على جديلة شعر لطفل مات منذ وقت طويل - ولم يكن يطلب من ونستون شراؤها أبدا، بل ليعجب بها فقط. كان الحديث معه مثل الاستماع الى رنين صنتوق موسيقي، بال. كان قد استخرج من زوايا ناكرته بعض أجزاء أخرى من الشعر الممتشي، أحدهما عن أربع وعشرين طائر أسود، وآخر عن بقرة ذات قرن مجعد، وثالث عن موت

الديك المسكين روبن. وكلما تذكر قطعة جديدة كان يقول وهو يضحك فمضحكة قصيرة تنتفض من قيمة ما تذكره: (خطر لي أنك قد تكون موتما). ولكنه لم يستمع البتة ان يتذكر اكثر من أسطر قليلة من أي شعر.

أدرك ونستون وجوليا بطريقة ما، ولم يغيب ذلك عن ذهنهما أبدا - ان ما يجري الآن لا يمكن أن يدوم طويلا . كانت مرت بهما أوقات كانت فيها حقيقة الموت الرشيك الحدوث ملموسة كالسرير الذي يستلقيان عليه، وكانا عندهما يلتصقان بطريقة حسية فاسقة تدل على اليأس، شأنهما في ذلك شأن المحكوم عليه بالهلاك الذي يتعلق بأخر ذرة من المتعة خلال الدقائق الخمس الاخيرة التي تسبق دقائق الساعة. ولكن كانت هناك أوقات أخرى يتسلط الهم عليهما خلالها ويشعرهما بالأمان وبدوام هذا الحال، وأنه لا يمكن ان يمسيهما أذى ما دامها فعلا في هذه الغرفة. صحيح ان الوصول اليها كان صعبا وخطيرا، ولكن الغرفة ذاتها كانت ملاذا مقدسا، مثل الوقت الذي حذق ونستون خلاله في داخل مثقلة الورق وصاحبه شعور بإمكان الولوج الى هذا العالم الزجاجي، وأنه في لحظة دخوله يتوقف الزمن، وغالبا ما كانا يستغرقان في احلام اليقظة ويفكران بالهروب، وبأن حظهما سيستمر الى ما لا نهاية، وانهما سيواصلان علاقتهما الغرامية السرية كما هي الآن تماما حتى نهاية حياتهما الطبيعية، أو أن كاترين زوجة ونستون سوف تموت، وأن ونستون وجوليا سينجحان في الزواج بواسطة مناورات وخطم بارعة، أو أنهما سينتحران معا، أو يختفيان ويغيران شكليهما بحيث يصعب التعرف عليهما، ويتعلمان التكلم بلهجة العمال ونبرتهم، ويحصلان على عمل في مصنع ويعيشان حياتهما في شارع خلفي دون أن يكتشف أمرهما. كانا يدركان أن جميع ذلك سحف وهراء وأنه في الحقيقة ليس هناك مفر، وحتى الانتحار المشروع ليس لديهما نية للقيام به. أن يستمرا بقوة من يوم لآخر ومن اسبوع لآخر يطيلان حاضرا لا مستقبل له بدا وكأنه غريزة لا تقهر تماما كرثي الانسان اللتين لا تكفلان عن التنفس ما دام هناك هواء متوفر.

كانا أحيانا يتجاذبان أطراف الحديث عن الانخراط في ثورة فعالة ضد الحزب ولكن دون أن تكون لديهما فكرة حول كيفية اتخاذ الخطوة الاولى. وحتى لو كانت منظمة الاخاء الخرافية حقيقة، هناك صعوبة ايجاد الوسيلة

اللاخراط فيها. حدثها عن المودة الغريبة القائمة، أو تراءى له أنها قائمه، بينه وبين أوبرين، وعن الدافع الذي يشعر به احبائنا، وهو أن يدخل على أوبرين ببساطة. ويعلم له أنه عدو للحزب وأن يعلب مساعده، والغريب في الأمر لم يختر ببال جوليا ان هذا عمل طائش ومتهور، لأنها اعتادت ان تحكم على الناس بواسطة وجوههم، فإذا ما اعتقد ونستون ان أوبرين جدير بالثقة على أساس ومفة واحدة للعينين، بدأ بالنسبة اليها أمرا طبيعيا. علاوة على ذلك، كانت تفترض ان كل انسان يكره الحزب سرا، وأنه لن يتردد في انتهاك القوانين لو اعتقد ان ذلك مأمونا. ولكنها رفضت أن تصدق أن هناك مقاومة منظمة ومنتشرة، ورفضت حتى امكانية وجودها، وكانت تعتقد أن الحكايات عن جول ستاين وجيشه السري ما هي الا محض هراء اخترعها الحزب لخدمة اغراضه الخاصة، وأن على المرء أن يتظاهر بتصديقها، وأنها كانت، ولمرات لا تحصى خلال الاجتماعات الحاشدة والمظاهرات التلقائية، تصرخ بأعلى صوتها مطالبة باعدام أشخاص لم يسبق لها أن سمعت بأسمائهم أبدا، وأنه ليس لديها أقل ثقة في جرائمهم المزعومة، وأنها كانت في أثناء المحاكمات العلنية تأخذ مكانها مع كتائب رابطة الشبيبة الذين كانوا يحاصرون المحاكم من المباح حتى الليل وهم يرتلون على فترات الموت للخرقة؛ وأنها كانت في أثناء برامج دقيقيتي الكراهية تتفوق على الجميع في توجيه الالهات والشتائم لجولد ستاين، ومع أنه ليس لديها أية فكرة عن شخصيته ولا عن المبادئ والمناهج التي يفترض أنه يمثلها. لقد كبرت منذ الثورة وازادات حكمة وكانت أصغر من أن تتذكر المعارك الفكرية للخمسينات والستينات، وأي شيء مثل حركة سياسية حرة كان خارج نطاق تصورها، ومهما يكن من أمر فان الحزب في رأياها لا يقهر، وسوف يبقى دائما على ما هو عليه. ان بوسع المرء أن يثور ضده عن طريق العصيان السري، أو على الاكثر، عن طريق أعمال منفردة من العنف كقتل شخص ذي شأن أو نسف مكان ما.

كانت جوليا في بعض النواحي اكثر ذكاء من ونستون وأقل تأثرا بدعاية الحزب. حدثت ذات مرة أنه ذكر صدفة في سياق حديث له علاقة في موضوع الحرب ضد اوراسيا، فأجفاته عندما قالت بصوت عريضة أنه ليست هناك حرب حسب اعتقادها، وأنه من المحتمل ان القنابل الصاروخية التي تسقط يوميا على لندن كانت تعلق من حكومة اورشانيا ذاتها ليقبى الناس في حالة من الرعب. لم

تمكن المتخاطر له تلك الفكرة ألبا. وقد أثارت في نفسه نوبتا من الحسد عندما قالت له أنها تجد صعوبة كبرى في عدم الضحك أثناء دقيقتي الكراهية. كانت ترتاب فقط في تعاليم الحزب عندما تمس حياتها الخاصة بشكل ما، وكثيرا ما كانت على استعداد لقبول الخرافات الرسمية لان الفرق بين الحقيقة والكذب ليس مهما بالنسبة اليها. كانت تعتقد على سبيل المثال ان الحزب قد اخترع الطائرات لأنها تعلمت ذلك في المدرسة.(عندما كان ونستون في المدرسة في نهاية الخمسينات، تذكر ان الحزب ادعى وقتئذ أنه قد اخترع الطائرة العمودية فقط، وبعد اثنتي عشرة سنة، عندما كانت جوليا في المدرسة ادعى أنه اخترع الطائرة، وبعد جيل آخر سوف يدعي أنه اخترع الآلة البخارية). وعندما قال لها ان الطائرات كانت موجودة قبل ان يولد، وقبل الثورة بوقت طويل، لم تثر هذه الحقيقة اهتمامها البتة . ومع ذلك ماذا يهم من اخترع الطائرات؟ كانت في الواقع صدمة اكبر بالنسبة اليه عندما اكتشف من ملاحظة عابرة انها لم تتذكر ان أوراشيا كانت قبل أربع سنوات، في حالة حرب مع أوستاسيا، وفي حالة سلام مع أوراسيا. صحيح أنها كانت تعتبر الحروب كلها صورية زائفة، ولكن من الواضح أنها لم تلاحظ ان اسم العدو قد تغير عندما قالت بغير وضوح:(ظننت أننا كنا دائما في حرب مع أوراسيا). اخافه ذلك قليلا، ان اختراع الطائرات يعود الى ما قبل ولادتها بوقت طويل، ولكن التحول في الحرب قد حصل قبل اربع سنوات فقط، بعد ان كبرت بكثير. تجادل معها حول الموضوع لمدة ربع ساعة تقريبا، وفي النهاية نجح في اعادة ذاكرتها الى الراء حتى تذكرت فعلا بغير وضوح أن أستاسيا وليست أوراسيا كانت في فترة ما هي العدو. ولكن القضية ظلت غير مهمة بالنسبة لها وقالت بصيق وبنفاذ صبر:(ومن يهتم؟ انها دائما حروب ملعونة متتالية، وعلى كل حال فالمرء يعرف ان الاخبار جميعها كاذبة).

كان أحيانا يحدثها عن دائرة السجلات وعن التزويرات الوقعة التي قام بها هناك. لم يبد ان مثل هذه الاشياء كانت تزورها. لم تشعر بالهاوية التي تفتح تحت قدميها عندما تفكر بالكذب الذي يصبح حقيقة. حدثها عن قصة جون وأرونسون وروثفورود وعن قصاصة الورق الخطيرة التي وقعت مرة بين يديه، فلم تترك تأثيرا كبيرا عليها لانها عجزت في بادئ الامر عن ادراك الغرض الاساسي من القصة.

سألته: هل كانوا أصدقاءك؟

(كلا، لم أكن اعرفهم ابدا. كانوا اعضاء في الحزب المركزي. وبالإضافة الى ذلك فقد كانوا اكبر مني بكثير. وكانوا ينتمون الى أيام ما قبل الثورة، ولم تتعد معرفتي بهم النظر.)
(وماذا يقلقك ان؟ يقتل الناس طيلة الوقت، أليس كذلك؟)

حاول أن يجعلها تدرك بقوله: (كانت تلك حالة استثنائية. لم تكن قضية قتل انسان. هل تدركين أن الماضي، ابتداء من الامس، قد قضى عليه فعلا؟ وان كان يحيا في أي مكان، فانه يعيش عن طريق أشياء محسوسة من غير كلمات تصاحبها، مثل قطعة الزجاج التي هناك، ونحن الان لا نعرف شيئا تقريبا عن الثورة ولا عن السنوات التي سبقتها، فقد تعرض كل سجل الى الاتلاف اوالتزييف، كما تعرض كل كتاب الى اعادة الكتابة، كما أعيد تلوين كل صورة، وأعيدت تسمية كل تمثال وشارع وبناء، وتعرض كل تاريخ الى التغيير. وهذه العملية مستمرة يوما بعد يوم، ودقيقة بعد أخرى، وقد توقف التاريخ، ولا يوجد شيء سوى حاضر لا نهاية له يكون الحزب فيه على حق دائما. أعرف طبعا ان الماضي قد زيف، ولكني لا استطيع أبدا ان اثبت ذلك حتى عندما أقوم أنا نفسي بالتزوير، لأنه لا يبقى دليل البتة بعد ان يتم التزوير، والدليل الوحيد يكمن في ذهني، ولا أدري على وجه التحديد ما اذا كان هناك من يشاركني ذكرياتي. ولم يكن لدى طيلة حياتي كلها دليل مادي الا بعد تلك الحادثة - بعدها بسنوات).

(وما فائدة ذلك؟)

(لم يكن لها أية فائدة لأنني ألقيتها بعيدا بعد دقائق قليلة، ولكن لو حصل الشيء نفسه اليوم، فيجب ان احتفظ بالدليل).

أجابت جوليا: (حسنا، لو كنت مكانك لما فعلت ذلك. انني على استعداد للمخاطرة، ولكن من أجل شيء يستحق المخاطرة فقط، وليس من أجل قصاصات جرائد قديمة، وحتى لو احتفظت بها، ماذا كان بإمكانك ان تفعل بها؟)
(قد لا استطيع عمل الكثير، ولكنها دليل أستطيع بوساطته بذر بعض الشكوك هنا وهناك لو افترضت انني اجروا على ان أريه لاي انسان. لا اتصور ان

بإمكاننا تغيير أي شيء في حياتنا، ولكن بوسع المرء أن يتخيل أنه ستبرز للوجود في أماكن مختلفة مجموعات صغيرة للمقاومة، مجموعات من الناس صغيرة تتحد وتتجمع، تنمو وتكبر تدريجيا، وتترك خلفها بضع سجلات ليتمكن الجيل القادم ان يراهم من حيث نترك نحن).

(انني لا اهتم بالجيل القادم يا عزيزتي، انني اهتم بنا).
أجابها(أنت ثائرة من الوسط فما دون فقط).

اعتبرت قوله هذا طريفا مثيرا للاعجاب وبسرور ألفت ذراعيها حوله وضمته اليها في سعادة.

لم يكن لدى جوليا أقل اهتمام في عقائد الحزب المشعبية، وكما شرع ونستون بالحديث عن مبادئ الاشتراكية الانجليزية، والايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد، وعدم استقرار الماضي، ورفض الحقيقة الموضوعية وانكارها، واستعمال مفردات اللغة الرسمية الجديدة، اعترافا السأم والارتباك، وقالت انها لا تعير هذا النوع من الامور اي اهتمام البتة، لان جميعه هراء وسخف فلماذا يسمح المرء لنفسه أن يثق بسببه؟ كانت تعرف متى تهتف وتحيي، ومتى تستهجن وتزديري، وكان هذا كل ما يحتاجه المرء. وكانت، اذا ما استمر ونستون في الحديث عن هذا النوع من المواقيع، تقع نائمة وهي في حالة احباط. كانت من الناس الذين يستطيعون الاستسلام للنوم في أي وقت وأي وضع. أذك وهو يتحدث معها كم يسهل على المرء ان يبدي مظهرها تقليديا في حين لا يفهم البتة ما هوالمعتقد التقليدي. بطريقة ما كان الرأي العالمي بالنسبة للحزب قد فرض نفسه بنجاح على أولئك الناس الذين يعجزون عن فهمه، ان كان بالامكان اجبارهم على قبول أفتع الانتهاكات للحقيقة لانهم لم يدركوا تماما فداحة المطلوب منهم، كما لم يكونوا يهتمون بالاحداث العامة اهتماما كافيا يمكنهم من ملاحظة ما يجري حولهم، وقد استمروا الاحتفاظ بسلامة عقولهم بسبب نقص هذا الادراك. كانوا يقبلون كل شيء من غير اعتراض، ولم يؤذهم ما كانوا يمدقونه لانه لم يترك خلفه أثرا، مثل حبة القمح التي تمر من جسم طائر ما دون ان تهضم.

وأخيرا حصل ما توقعه والرسالة المنتظرة قد وصلت. تراءى له انه كان ينتظر حدوث هذا طيلة حياته.

كان يسير في العمر الطويل في الوزارة، وعندما وصل المكان الذي دست فيه جوليا قضاة الورق في يده، أدرك أن شخصا أضخم منه يسير خلفه مباشرة، وأيا كان ذلك الشخص ، فقد سعل سعل خفيفة كان من الواضح أنها مقدمة للحديث. توقف ونستون فجأة واستدار ليرى اوبرين.

وأخيرا التقيا وجها لوجه، وتراءى له ان نافعه الوحيد كان ان يولي الاديار. دق قلبه بعنف، واصبح عاجزا عن الكلام. كان اوبرين على أية حال ، قد واصل السير الى الامام في نفس الاتجاه واضعا يدا ودودة على ذراع ونستون لفترة قصيرة بطريقة جعلتهما يسيران جنبا الى جنب، وبكياسته الوقورة التي تميزه عن غالبية اعضاء الحزب المركزي، بدأ الحديث قائلا: (كنت أمل أن أجد الفرصة للتحدث اليك. كنت أقرأ احدي مقالاتك في اللغة الحديثة في الأوقات منذ بضعة أيام، أعتقد أنك تهتم في هذه اللغة اتمام المثقف العالم؟)

كان ونستون قد استعاد شيئا من رباطة الجأش حين قال: (تمنعني بالعالم المثقف. انني مجرد هاو لا محترف. انه ليس موضوع تخصصي، ولم يسبق أن كانت لي أية علاقة في التركيب الفعلي للغة).

فقال اوبرين: (ولكنك تكتبها بصورة رائعة جئا. وهذا ليس رأيي فحسب، فقد كنت أتحدث مؤخرا مع أحد أصدقائك وهو من غير ريب خبير. لقد غاب اسمه عن ذاكرتي في هذه اللحظة.)

وللمرة الثانية اضرب قلب ونستون بآلم. لم يتصور أن اوبرين قصد أحدا آخر بإشارته تلك غير سام، ولكن سام لم يكن قد مات فحسب، لقد محي وقضي عليه، ولم يعد موجودا، وأية إشارة تتعلق به ستكون خطيرة على نحو قاتل.

من الواضح ان ملاحظة اوبرين مقصودة كإشارة الشيفرة. لقد حوّلها الى شريكين في الجريمة عن طريق اشتراكهما في عمل صغير من الجريمة المبيتة. استمرا في السير في المر ببطء ولكن اوبرين توقف، وبحركته المألوفة التي تنم عن ود غريب أسر، أعاد وضع نظارته فوق أنفه ثم استأنف قائلا:

(ما قمصت في الحقيقة، أن أقوله هو أنني لاحظت أنك قد استعملت في مقالاتك كلمتين بطل استعمالهما منذ عهد قريب جدا. هل رأيت النسخة العاشرة من قاموس اللغة الرسمية الجديدة؟)

فأجاب ونستون: (كلا، لم أكن أحسب أنها قد صدرت بعد، اننا لا نزال نستعمل الطبعة التاسعة في دائرة السجلات) .

(لا أعتقد أن من المتوقع وصول الطبعة العاشرة قبل بضعة أشهر، غير أن نسخا قليلة أرسلت سلفا وهي الآن متداولة وعندي واحدة منها. ربما يهيك أن تطلع عليها؟)

فأجاب ونستون في الحال وهو يدرك ما يهدف اليه اوبرين: (يهمني جدا الاطلاع عليها) .

(ان بعض التطورات الجديدة بارعة للغاية، التقليل من عدد الأفعال - أعتقد أن هذه الميزة ستروق لك. دعني أتدبر الامر ، هل أرسل لك القاموس مع رسول؟ انني اعتبر نفسي دائم النسيان لمثل هذا النوع من الأمور. قد تستطيع أن تأخذ من شقتي في أي وقت يناسبك؟ انتظر، دعني أعطيك عنواني) .

كانا يقفان أمام أحد التلفزيونات، وبشيء من شرود الذهن تحسسن اوبرين اثنتين من جيوبه، ثم أخرج دفتر ملاحظات ذا غطاء جلدي وقلم جبر من الذهب وكتب بسرعة ومن غير اهتمام عنوانا، وانتزع الصفحة وناولها لو نستون وهو يقف أمام التلفزيون مباشرة في وضع يمكن لأي انسان يراقب من الجهة الأخرى من الجهاز قراءة ما كان يكتبه.

قال أوبرين: (أكون عادة في المنزل في المساء، وفي حالة عدم وجودي فسوف يعطيك خادمي القاموس).

واختفى تاركا ونستون ممسكا بقصاصة ورق لم تكن هناك حاجة لاختفائها، وعلى الرغم من ذلك، فقد حفظ ما كتب عليها عن ظهر قلب بعناية، وبعد ساعات قليلة ألقاها في فتحة النافذة مع مجموعة أخرى من الأوراق .

كانا قد تحدثنا لمدة دقيقتين على الأغلب. وكان لهذا الحدث العرضي معنى واحدا فقط، فقد وجد كوسيلة لتعريف ونستون بعنوان أوبرين، وكان ذلك ضروريا لأنه من غير الممكن معرفة مكان سكن أي انسان الا عن طريق السؤال المباشر لعدم وجود أي دليل يشتمل على اسماء الناس وعناوينهم من أي نوع. (ان أردت أن ترائني في اي وقت فهذا هو المكان الذي تستطيع أن تجدني فيه) . هذا هو ما قاله أوبرين. وقد تكون هناك رسالة مخبأة في مكان ما من القاموس. على أية حال، شيء واحد كان مؤكدا، وهو أن المزمرة التي قد حلم بها موجودة فعلا، وأنه قد وصل الى أمرافها الحارجية.

كان يعرف أنه سيستجيب الى نداءات أوبرين ان عاجلا أو آجلا، ربما غدا وربما بعد تأخير طويل - لم يكن متأكدا. ان جميع ما يجري ماهو الا عبارة عن رسم خطة لعملية قد ابتدأت قبل سنوات ، كانت الخطوة الاولى فيها فكرة سرية، لا ارادية، أما الخطوة الثانية فكانت بدء دفتر اليوميات. لقد انتقل من الأفكار الى الكلمات، وانتقل الان من الكلام الى التطبيق. أما الخطوة الاخرية فهي شيء سوف يحدث في وزارة المحبة، وقد قبله. كانت النهاية متضمنة في البداية، ولكنها مخفية، أو بصورة أدق تذوق اولى للموت، كأنه لم يعد على قيد الحياة بنسبة قليلة. وفي اللحظة التي كان يتحدث فيها مع أوبرين، وعندما فهم معزى الكلمات فهما جيدا، استولى عليه شعور رهيب من الارتجاف، أحس خلاله كأنه يتجه نحو رطوبة قبر، ولم يكن ذلك أفضل بكثير لأنه كان يعرف دائما ان القبر قابض هناك وأنه في انتظاره.

استيقظ ونستون وعيناه مغرورقتان بالدموع، تكورت جوليا قلباته
بغاس وهي تهمس شيئًا ربما كان: ما الامر؟

(حلمت...) استهل كلامه، ثم توقف فجأة، لان حلمه اعقد من أن يعبر
عنه بكلمات. كان الحلم نفسه، وكانت هناك ذكرى متعلقة به طافت في ذهنه
خلال الثواني القليلة التي مرت بعد ان استيقظ.

استلقى على ظهره وعيناه مغلقتان، وكان ما يزال مشبعًا في جو الحلم
الذي رآه. كان حلما طويلا واضحا سهل الفهم تراءى له فيه أن حياته جميعها
تعتمد أمامه كمنظر طبيعي في مساء يوم من أيام الصيف بعد نزول المطر. لقد
حدث كل ذلك في داخل مثقلة الورق الزجاجية، غير أن سطح الزجاج كان قبة
السماء، في داخلها ضياء خفيف صاف يستطيع المرء أن يرى فيه مسافات لا
متناهية يغمر كل شيء، وفي الحقيقة فهم الحلم من خلال حركة ذراع قامت
بها والدته، وقامت بها ثانية بعد ثلاثين سنة المرأة اليهودية التي رآها في
شريط الأبناء تحاول أن تحمي الولد الصغير من الرصاص قبل أن تمرقها
المطاردة العمودية اربا اربا.

قال ونستون لجوليا: (أندرين انني حتى هذه اللحظة كنت أعتقد أنني قد
قتلت والدتي عمدا؟)
فسأته جوليا وهي نائمة تقريبا: (ولماذا قتلتها؟)
(لم أقتلها جسديا).

تذكر في الحلم نظراته الخائفة لأمه، وخلال دقائق قليلة من اليقظة عادت
اليه مجموعة الملايسات الصغيرة المحيطة بذلك. كانت تذكرى تعمد دفعها
بعيدا عن منطقة وعيه طوال سنين كثيرة. لم يكن متأكدا من تاريخ وقوع
الحادثة، غير أن عمره وقتئذ لم يكن أقل من عشر سنوات، أو اثنتي عشرة سنة.

كان والده قد اختفى قبل ذلك الوقت بقليل، الا أنه لم يستمع أن يتذكر الوقت. تذكر اكثر الظروف المععبة التي أحاطت باختفائه ، كالهلع المتكرر في اوقات ثابتة والمصحوب بهروب جماعي بسبب الغارات الجوية، واللجوء الى انفاق المحطات وركام الحجارة في كل مكان، والبلاعات التي لا يمكن فهمها بسبب غموضها والتي كانت تلمق في زوايا الشوارع، وعصابات الشباب ذوي القمصان ذات اللون الواحد. والطوابير الهائلة أمام المحازن، واموات الرشاشات المتقطعة على البعد، وقبل كل شيء، عدم وجود طعام كاف البيعة. تذكر الامسيات الطويلة التي قضاهم مع اولاد آخرين وهم يبحثون في صناديق القمامة وأكوام التفاليات عن عروق أوراق الملفوف وقشور البطاطا، حتى أنهم كانوا أحيانا يبحثون عن قطع صغيرة من الخبز اليابس القديم والذي كانوا يكشملون عنه رماه الفرن بعناية، والأمسيات التي كانوا يقضونها أيضا في انتظار مرور الشاحنات المحملة بطعام المشية، والتي كانت تمر من طريق معين وهي تهتز في أثناء مرورها من فوق رقع الشوارع السيئة وتسقط أحيانا قطعها قليلة من تفل بزور القطن.

لم تظهر والدته أية همسة كما أنه لم يبد عليها الحزن الشديد عندما اختفى والده، غير أنه قد اعترافا تغيير مفاجيء حيث بدت وكأنها كئيبة وخالية من الحيوية أوالنشاط تماما. كان من الواضح لونستون أنها تنتظر شيئا تعرف انه حاصل لا محالة، كانت تقوم بكل المطلوب تطبخ وتغسل وترفو وتسوى السرير وتكس الأرض وتنفض الغبار عن رف المستوقد - دائما بيماء شديد، وعدم رغبة في القيام بأية حركة زائدة وغير ضرورية، شأنها في ذلك شأن دمية الفنان التي تتحرك طوعا. بما أن جسمها الكبير الجميل يفضحل بصورة طبيعية الى سكون. وكانت في كل مرة تجلس على السرير جامدة لا تتحرك تقريبا لعدة ساعات ترضع أخته الصغيرة البلغة من العمر سنتين أو ثلاث، والتي كانت طفاة مريضة بالغة المغفر، صامدة جدا، لها وجه جعله الهزال كوجه القرد. وأحيانا كثيرة كانت تحتضن ونستون وتشده اليها لوقت طويل دون أن تنبس ببنت شفه، وبالرغم من صغر سنه وأنايته ادرك ان ما تقوم به والدته يرتبط بطريقة ما بالشيء الذي يوشك ان يحدث والذي لم يذكر أبدا.

تذكر الغرفة التي كانوا يعيشون فيها ، غرفة مظلمة ضيقة لها رائحة

كريبهة تظهر متائلة حتى نصفها بسرير يعلوه لحاف أبيض. وكان فيها حلاقة غاز موضوعة داخل سباح المدفأة، ورف لحفظ الطعام، وعلى منبسط الدرج خارج الغرفة مفصلة من الخرف البني تشترك فيها عدة غرف. تذكر جسم أمه الشبيه بالتمثال منحنيًا على الغاز وهي تعزج بالتحريك شيئا في مقلاة. وقبل كل شيء تذكر جوعه الدائم والمعارك العنيفة الدينية في مواعيد الطعام. كان يسأل والدته بازعاج متواصل، المرة تلو المرة، عن سبب عدم توفر طعام أكثر، ويصرخ عليها ويثور غامضا(حتى أنه تذكر نبرات صوته الذي أصبح أجسا قبل الاوان، وكان أحيانا يهدد بطريقة غريبة)، أو أنه كان يحاول العويل والتباكي بأسلوب مثير للشفقة للحصول على أكثر من حصته، وكانت أمه على استعداد تام لأن تعطيه أكثر من نصيبه من الطعام لأنها كانت تسلم جدلا انه يجب ان يأخذ أكبر نصيب بمفته الولد. ولكن مهما كان الطعام الذي تعطيه له كثيرا، فقد كان دائما يطلب المزيد. وعند كل وجبة كانت ترجوه ألا يكون انانيا، وان يتذكر ان شقيقته الصغرى مريضة، وأنها هي الأخرى تحتاج الى طعام ولكن دون جدوى، فعندما كانت تتوقف عن الغرف كان يصرخ غامضا ويحاول انتزاع الاناء والمعلقة من يديها ويختطف مقادير قليلة من طبق أخته، اترك انه بعمله هذا كان يميث الاثنين جوعا ولكنه لم يستطع منع نفسه، حتى أنه اعتقد بأن له الحق في عمل ذلك، وأن الجوع المصاحب في معدته يبرر عمله هذا. وبين الوجبة والأخرى، عندما كانت والدته تغفل عن مخزون الطعام الضئيل الذي على الرف، كان دائما يسرق مقادير قليلة منه.

وذاث يوم وزعت حصة شوكرولاته بعد مضي أسابيع أو اشهر لم توزع خلالها. تذكر بوضوح تام تلك الكسرة الصغيرة من الشوكرولاته، لوجا صغيرا زنته ارنستين (كان الناس ما يزالون يتحدثون عن الاونسات في تلك الايام) لثلاثتهم، كان من الواضح أنه يجب أن يقسم الى ثلاثة اجزاء متساوية، وفضأة وكأنه كان يصغى لشخص آخر، سمع ونستون نفسه يطالب بصوت عال رنان، أنه يجب أن يعطي القطعة جميعها. وطلبت منه أمه أن لا يكون جشعا. تلا ذلك نقاش طويل مزيج مصحوب بصراخ وانتحاب، وبكاء واعتراضات و مساومات. واثناء ذلك تشبثت أخته الضئيلة بأها بكنا يديها، كما يفعل قرد مسامير، وجعلت تنظر اليه من فوق كتفها بعينين كبيرتين حزيتين. وفي النهاية كسرت أمه ثلاثة أرباع الشوكرولاته وأعطتها لوستون وأعطت الربع

الأخير لأخته. أمسكت البنت الصغيرة به ونظرت اليه مليلا، وعلها لم تكن تعرف ما هو. وقف ونستون يراقبها لوهلة قصيرة، ثم وبقفزة سريعة مفاجئة، انتزع قطعة الشوكولاته من يده وأخته وفر هاربا نحو الباب.

صرخت أمه في اثره: (ونستون، ونستون! ارجع، عد! أعد الشوكولاته لاختك).

توقف ولكنه لم يعد. تركزت عينا أمه المتلهفتين القلقتين على وجهه، وحتى تلك اللحظة كان يفكر بالشيء، لم يدرك ما الذي كان على وشك أن يقع. أطلقت أخته، التي أدركت أنها قد سلبت شيئا، أطلقت عويلا واهنا. طوتت أمه الطفلة بذراعها وضغطت وجهها على صدرها، وأخبره شيء ما في تلك الحركة أن أخته كانت تموت. استدأر وهرب من على السلم وقطعة الشوكولاته تزداد لراحة في يده.

لم ير والدته ثانية أبدا. بعد أن التهم الشوكولاته، خجل من نفسه الى حد ما، وتسكع في الشوارع لعدة ساعات حتى اضطره الجوع الى العودة الى البيت. كانت والدته قد اختلفت، وقد اصبح ذلك امرا مألوفا في ذلك الحين. وجد الغرفة كما عهدما لم يقصمها شيء سوى والدته وشقيقته. لم تأخذ أية ملابس ولا حتى معطف والدته. لم يكن يدري حتى ذلك الوقت أن كانت والدته ميتة حقيقية. من الممكن تماما أن تكون قد أرسلت الى معسكر العمل الانزاسي فحسب. أما بالنسبة لشقيقته، فمن الممكن أن تكون قد نقلت، كما نقل ونستون نفسه، الى واحدة من مستعمرات الأطفال المشردين (المسماة مراكز الإصلاح) والتي نشأت كنتيجة للحرب الأهلية، أو من المحتمل أن تكون قد أرسلت الى معسكر العمل الانزاسي مع والدته، أو أنها ببساطة تركت في مكان ما لتتوت.

كان الحلم ما يزال حيا في ذاكرته وبصورة خاصة حركة الذراع المطوقة الراقية التي اشتملت على المعنى الكامل للحلم. عاد بتذكرته الى حلم آخر رأى قبل شهرين، رأى فيه والدته وقد جلست على السرير القذر المغص بلحاف أبيض والطفلة تلتصق بها، تماما كما رآها تجلس في السفينة الفارقة، التي كانت تحته بكثير، وتغوص الى الأعماق كل دقيقة، الا أنها كانت ما تزال تنظر اليه من خلال المياه القاتمة.

قمتُ على جوليا حكاية اختفاء والدته، فاستدارت بدون أن تفتح عينها واستقرت في وضع أكثر راحة وقالت بغير وضوح:
أفمن أنك كنت خنزيرا صغيرا بغضضا في تلك الأيام.
ولكن الغاية الحقيقية من القصة - - نعم.

كان من الواضح من نفسها أنها عادت للنوم ثانية. تمنى لو أنه استمر يتحدث عن والدته. لم يكن يتصور، من القدر الذي استطاع أن يتذكره عنها، انها كانت امرأة فظة أو ذكية، ومع ذلك كانت تمتلك نوعا من النبل والتهارة لأن المقاييس التي رضخت لها كانت مقاييس شخصية. كانت أحاسيسها ملكا لها، ولم يكن بالإمكان تغييرها من الخارج. لم يكن ليخطر لها أن تصرفا غير مجد يصبح خلوا من المعنى لعدم جدواه. اذا ما أحب المرء انسانا ما فقد أحبه، وعندما لا يملك شيئا آخر يعمله له، فانه مع ذلك يعمله حبا. عندما ذهبت القاطعة الأخيرة من الشوكولاته، احتضنت أمه الطفلة بذراعيها. كان ذلك عديم الفائدة لأنه لم يغير شيئا ولم يقدم شوكولاته أخرى، ولم يحل دون موت الطفلة أو موتها هي، ولكنه بالنسبة لها عملا طبيعيا. والمرأة اللاجئة في القارب كانت هي الأخرى قد غطت الرول الصغير بذراعيها، ولم يكن ذلك أكثر نفعا ضد الرصاص من صحيفة الورق. إن الشيء الوحيد الذي قام به الحزب هو اقتناع المرء أن الدوافع والأحاسيس المجردة لا قيمة لها، بينما كان في الوقت ذاته يجرده من كل قوة له فوق العالم المادي، ومتى أصبح المرء في قبضة الحزب، فان ما يشعر به أو ما لا يشعر به، وما يقوم به أو ما يحجم عن عمله لا تأثير له في الواقع. ومهما يحدث فإن المرء زائل ولا يسمع عنه ولا عن أعماله ثانية أبدا، إنه يلغى تماما من مجرى التاريخ. ونم ذلك فان هذا ليس مهما بالنسبة للذين ينتمون للجيلين الأخيرين لأنهم لم يحاولوا تغيير التاريخ. كانوا محكومين لولاءات شخصية خاصة لم يشكوا فيها. كانت العلاقات الشخصية هي المهمة، وكان لحركة يائسة ضعيفة مثل عناق، أو دمععة، أو كلمة تقال لانسان يحتضر، قيمة بحد ذاتها. وخطر له فجأة أن هذا الوضع ينطبق على العمال، وأن وفاءهم ليس لحزب أو بلد أو فكرة، بل لبعضهم البعض. ولأول مرة في حياته لم يحتقر العمال، ولم يعتبرهم قوة عاجزة غير فعالة سوف تنفجر في يوم ما وتجده العالم وتصلحه. لقد حافظ العمال على انسانيتهم ولم تتحجر قلوبهم، وقد تمسكوا بالمشاعر والأحاسيس الفطرية التي يجب عليه أن يتعلمها ثانية

بجهد واع. تذكر وهو يفكر بذلك، من غير أن تكون هناك صلة وثيقة وواضحة بالموضوع، تذكر كيف رأى يدا مبتورة ملقاة على الرصيف قبل أسابيع قليلة، وكيف ورفسها الى البالوعة التي في جانب الطريق وكأنها ساق ملفوف.

قال بصوت عال: (العمل كائنات بشرية. نحن لسنا بشرا).
سألت جوليا التي كانت قد استيقظت ثانية: (ولم لا؟)

فكر مليا لفترة وجيزة ثم قال: (هل دار في خلدك في أيما وقت أن أفضل شيء تفعله هو أن نخرج من هنا قبل فوات الوقت وأن لا يرى أحدنا الآخر ثانية أبدأ؟)

(نعم، يا عزيزي، خطر لي ذلك عدة مرات، ومع ذلك لن أقوم به).
أجاب: (لقد كنا محظوظين، ولكن ذلك لن يدوم طويلا. أنت شابة، وتبينين سوية وبريئة، فان ابتعدت عن أمثالي من الناس فمن الممكن أن تغلبي على قيد الحياة لمدة خمسين سنة أخرى).

(كلا. لقد فكرت في كل ذلك. سوف أفعل ما تفعله أنت، لا تكن شديد الاكتئاب محزونا. انني بارعة الى حد ما في البقاء على قيد الحياة).

(قد نظل معا لستة اشهر أخرى - سنة - لا توجد طريقة للمعرفة. ولكننا واثقون أننا سنفترق في النهاية. هل تدركين أننا سنكون وحيدتين تماما وأنه لن يكون بوسع أحدنا أن يعمل شيئا الآخر عندما يقبضون علينا، لا شيء أبدأ؟ وسواء اعترفت أو رفضت أن اعترف فانهم سيطلقون النار عليك. لا شيء يمكنكني عمله أو قوله، أو أستطيع منع نفسي من قوله، سيؤجل موتك لمدة خمس دقائق. ولن يعرف أحد منا ما إن كان الآخر على قيد الحياة أو في عداد الموتى. سنكون عاجزين تماما. المهم في الامر أن لا يخون أحدنا الآخر - مع أنه لن يكون لهذا أيضا أي تأثير).

قالت جوليا: (إن كنت تقصد الاعتراف، فسوف تفعل ذلك على الفور. الجميع يعترف دائما. لا يمكنك أن تحول دون ذلك لانهم يعذبونك).

(لا أعني الاعتراف. الاعتراف ليس خيانة. ليس المهم ما يقوله المرء أو ما يفعله، المشاعر فقط هي التي تهم. اذا ما استطاع أن يجعلني اتوقف عن حبك، فتلك هي الخيانة الحقيقية).

فكرت في الامر مليا واخيرا قالت: (إن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيعون عمله. يوسعهم أن يجبروك على قول أي شيء ولكنهم لا يستطيعون أن يجبروك على تصديقك. لا يستطيعون الوصول الى داخلك).
فأجاب بلهجة مفعمة بالامل أكثر قليلا: (كلا، كلا، ان هذا صحيح تماما. انهم لا يستطيعون الوصول الى اعماقك. ان كان يوسع المرء أن يشعر بأن بقاءه هو جيد بالاهتمام، حتى لو لم يكن لذلك نتيجة البتة، فانه يتغلب عليهم).

فكر في التلفزيون الذي لا تنام لأنه ابناء. يوسعهم التجسس عليك ليل نهار، ومع ذلك اذا احتفظت بقواك العقلية ورباطة جأشك، بإمكانك ان تخدعهم، ان تتفوق عليهم، وعلى الرغم من براعتهم فنيهم لم يفهموا السر في اكتشاف ما يفكر فيه انسان آخر فهما كاملا. قد يكون ذلك أقل واقعية، عندما يكون المرء تحت رحمتهم فعلا. لا يعرف الانسان ما يجري داخل وزارة الحب، ولكنه يستطيع أن يخمن: تعذيب، ومخدرات، وآلات حساسة تسجل ردود فعل الانسان العصبية، والإرهاق التدريجي الناشيء عن الارق والروحه والتحقيق المتواصل. وعلى أية حال لا يمكن للحقائق ان تبقى مختبئة. يمكن تعقبها عن طريق الاستجواب، ويمكن استخراجها بالقوة عن طريق التعذيب. ولكن اذا كان غرض الانسان ان يظل انسانا لا أن يظل حيا، فما هو الفرق في النهاية؟ لا يمكنهم تغيير مشاعر المرء؛ وفيما يتعلق بهذا الامر، ليس يوسع المرء ان يضرمهم حتى لو تمنى ذلك. بإمكانهم الكشف وبأدق التفاميل عن كل شيء عمله المرء أو قاله أو فكر فيه، ولكن قلبه الداخلي، والتي تظل تصرفاته غامضة حتى بالنسبة للمرء نفسه، فانه يبقى منيعا حصينا.

٨

لقد نفذا ذلك، لقد وفقا الى انجازه في النهاية!
كانت الغرفة التي وقفا فيها مستطيلة الشكل ومضاءة بصورة مرحة، وصوت التلفزيون قد اصغف حتى اصبح همسا منخفضا، أما السجادة الفخمة ذات اللون

الازرق الداكن فانها تعطي المرء الانطباع انه يمشي على مخل. وفي أقصى الغرفة جلس أوبرين وراء منضدة يعلوها مصباح أخضر النل وعلى جانبيها مجموعة كبيرة من الاوراق. لم يزعج نفسه برفع بصره عندما ادخل الخادم جوليا وونستون الى الغرفة.

أخذ قلب وونستون يبق بعنف شديد لدرجة جعلته يشك ما اذا كان بمقدوره أن يتكلم. كل ما استطاع التفكير فيه أنهما وفقا في النهاية الى انجاز ما تمنيا انجازه. كان مجيئهما الى هنا، ووصولهما معا عملا طائفا وحماقة محفة، مع أنهما في الحقيقة اخذا طريقين مختلفين ولم يلتقيا الا على عتبة منزل أوبرين، غير أن مجرد الحضور الى مثل هذا المكان يتطلب جرأة. كان المرء يرى داخل بيوت أعضاء الحزب المركزي، أو حتى في الحي الذي يسكنونه من المدينة في المناسبات النادرة جدا فقط. ان الجو المحيط في المباني الضخمة، ثراء وسعة كل شيء، والرائحة غير المألوفة للطعام الفاخر، والتبع الجيد، سرعة المصاعد الساكنة التي تتسل صاعدة نازلة بصورة لا تصدق، الخدم ذوو المعاطف البيضاء الذين يسرعون نهابا وايابا - كل ذلك كان مخيفا مرعبا. ورغم أن لديه ذريعة جيدة للمجيء الى هنا، الا أن الخوف تملكه مع كل خطوة خطاها تحسبا من ظهور حارس في برزة سوداء من احدى الزوايا يطلب منه أوراقه ويأمره بالانصراف. غير أن خادم أوبرين قام بانحائها من دون اعتراض أو تردد. كان رجلا ضئيلا ذا شعر أسود يرتدي معطفا أبيض، له وجه ملتوي الشكل خال من التعبير تماما، من الممكن أن يكون وجه صبيّ. كان العمر الذي قادهما اليه مغطى بسجاء ناعم أملس، يكسو جدرانه ورق أصفر باهت، اما الجدران الداخلية فكانت من خشب السنديان الفاخر، وكان كل شيء نظيفا بصورة رائعة، وهو أمر مخيف أيضا إذ لم يسبق لونستون أن رأى ممرالم تكن جدرانه كالحة ومثيرة للاشفاق. بفعل احتكاك الأجسام البشرية فيها.

كانت بين أصابع أوبرين قمامة من الورق بدأ أنه كان يدرسها بتركيز. ظهر وجهه الرصين، المنحني بطريقة تسمح للناظر اليه أن يرى شكل الأنف، هائل، وذكي في أن واحد. جلس من غير حراك لعشرين ثانية تقريبا، ثم سحب آلة قل وراكتب اليه وأمل بقوة رسالة باللغة الاصملاجية المخلوطة التي تستعملها الوزارات:

”البنور رقم واحد فاصلة خمسة فاصلة، سبع علامات وقف موافق عليها اقتراح ضمّ البند السادس سخيف جدا لدرجة تجعله قريبا من الجريمة المبيتة أبلغ الوقف لا تستمر. بالبناء لا تحضر التقديرات بالنسبة لأجهزة الآلات الفوقية لتسليط العمور على الشاشة لأنها زائدة جدا وقف انتهت الرسالة.“

نهض متعمدا ومضى نحوهما على السجادة التي لا تحدث صوتا. بدا وكأن الجوّ الرسمي قد تلاشي قليلا مع انتهاء مفردات اللغة الحديثة، ولكن كان تعبير وجهه أكثر تجهما من المألوف كأنه لم يكن سعيدا لأنه قد قوطع. وفجأة اختلط الخوف الذي شعر به ونستون سابقا بشيء قليل من الاحراج المألوف. خطر له أنه من الممكن جدا أن يكون قد ارتكب غلظة حمقاء - إذ ما هو الدليل المادي الذي لديه من أن أوبرين متأمر سياسي من أي صنف؟ لا شيء غير بريق عينية وملاحظة غير محددة. وفوق ذلك ليس لديه سوى تخيلاتة السرية المبتنية على رؤيا. لا يستطيع أن يلجأ الى الادعاء أنه قد جاء ليستعير قاموس لأنه في هذه الحال لا يمكنه تعليل وجود جوليا معه. عندما مر أوبرين بالتلفزيون بدا كأن فكرة خطرت له، توقف واستدار جانبا ثم ضغط مفتاحا كهربائيا في الحائط، تلا ذلك قرقعة حادة وتوقف الموت.

أطلقت جوليا صوتا صغيرا جدا، صوتا حادا يهيم عن الدمشة، أما ونستون فقد فوجيء لدرجة لم يستطيع معها التزام الصمت حتى وهو في غمرة رعبه، فقال:
(بوسعك أن توقفه؟)

فأجاب أوبرين: (نعم، بإمكاننا أن نوقفه، اننا نملك هذا الامتياز).

وقف مواجهها لهما الآن وقد ارتفع شكله المتين الراسخ فوقهما، بينما ظل التعبير الذي على وجهه متعذر الفهم. كان ينتظر ونستون أن يتكلم بشيء من التجهم، ولكن بشأن ماذا؟ من الواضح أن أوبرين كان رجلا مشغولا في تلك اللحظة يتسامل بغضب عن السبب الذي من أجله قوطع. لم ييئس أحد ببنت شفة، وبدت الغرفة ساكنة الى حد بعيد بعد اغلاق التلفزيون. ومرت الثواني ثقبية، وواصل ونستون النظر الى أوبرين بصعوبة، ثم انفرج الوجه المتجهم فحأة الى ما يمكن أن يكون بداية ابتسامة، وبحركته المميزة أعاد أوبرين وضع نظارته على أنفه.

قال: هل أقولها أنا، أو تقولها أنت؟
فأجاب ونستون على الفور: سأقولها أنا. هل أقفل ذلك الشيء حقيقة؟
نعم، كل شيء مقفل. نحن وحدنا .
لقد أتينا الى هنا الآن - -

تردّ مدركا لأول مرة غموض دوافعه، وبما أنه لم يعرف في الحقيقة نوع المساعدة التي كان يتوقعها من أوبرين، لم يكن من السهل عليه أن يقول لماذا حضر الى هنا. استأنف وهو يدرك أن ما سيقوله سيبدو ضعيفا ومدعيا من غير شك:

(اننا نعتقد أن هناك موازرة ما، منظمة سريعة من نوع ما تعمل ضد الحزب، وأنا مرتبط بها، ونرغب في الانضمام اليها والعمل من أجلها. اننا أعداء للحزب ونحن لا نؤمن بمبادئ الاشتراكية الانجليزية. اننا نزاغان للاجرام وزانيان أيضا. انني أقول لك هذا لأننا نرغب في وضع أنفسنا تحت رحمتك ونحن على استعداد لأن نجرم أنفسنا بأي طريقة أخرى، أن أردتنا أن نفعل ذلك).

توقف عن الكلام والى نظرة خاطفة من فوق منكبه لأنه أحس أن الباب قد فتح. دخل الخادم الضئيل ذو الوجه الأصفر ودنما استنغان، ورأى ونستون أنه كان يحصل صينية عليها اناء يصب منه الخمر وأقداح.

قال أوبرين بهدوء: (ان مارتن واحد منا. أحضر الشراب الى هنا يا مارتن وضعه على المنضدة المستديرة. هل لدينا كراسي كافية؟ انن يمكننا أيضا أن نجلس ونتحدث ونحن مرتاحون؟ أحضر كرسيا لك يا مارتن. هذه جلسة عمل وبامكانك أن تتوقف عن كونك خادما للعشر دقائق التالية).

جلس الرجل الضئيل وهو في غاية الاطمئنان، غير أن سيماء الخادم ظلت تلازمه، سيماء خادم خصومي يتمتع بامتياز. أخذ ونستون يراقبه بطرف عينه، خطر له أن حياة الرجل كلها كانت عبارة عن تمثيل دور، وأنه يعتقد أن من الخطر عليه أن يتخلص عن شخصيته المنتحلة ولو للحظة واحدة. تناول

أوبرين الأثناء وملأ الكؤوس بسائل أحمر قاني، أثار في ونستون ذكريات باهتة
لشيء قد رآه منذ وقت طويل على جدار أو لوحة إعلانات - قارورة كبيرة جدا
مؤلفة من أعضاء كهربائية بدت وكأنها تتحرك الى أعلى والى أسفل بالتعاقب
وهي تصب محتوياتها في كأس. بدأ الشراب أسود تقريبا عندما كان يرى
من الأعلى، ولكنه بدأ كالباقوتة وهو في الأثناء. كانت له راحة حلوة
متخمرة. رأى جوليا ترفع كأسها وتشمه في لمضول ظاهري.

قال أوبرين وعلى فمه ابتسامة باهتة: (انه يسمى نبيذا. لا شك أنك قد
قرأت عنه في الكتب. أخشى أنه لا يصل الكثير منه الى الحزب الخارجي).
استعان وجهه وقارة ثانية، ورفع كأسه وقال: (اعتقد أنه من المناسب أن نبأ
في شرب نخب. الى قائدنا: الى امانويل جولد ستاين).

رفع ونستون كأسه بلهفة اكيدة. كان النبيذ شيئا قد قرأ عنه وحلم به،
ينتمي الى الماضي الرومانتيكي الزائل، شأنه في ذلك شأن مثقلة الورق الزجاجية،
أو اشعار السيد شارنغتون والتي تذكرها جزئيا بمقدار النصف، الزمن الغابر
كما يحلو له ان يسميه في أفكاره الخاصة. كان دائما يعتقد لسبب ما أن للنبيذ
طعما حلوا للغاية مثل طعم المربى الممنوع من ثمر العليق، وتأثيرا مسكرا
مباشرا، ولكن ما ان ابتلعه حتى وجده مخيبا الأمل فعلا وفي الحقيقة فقد
ابتلعه بشق النفس بعد ان اعتان على تعاطي الجن لعدة سنوت. وضع الكأس
الفارغة على الطاولة.

(انن هناك شخص يدعى جولد ستاين؟) قال ونستون.

(نعم هناك مثل هذا الشخص وهو على قيد الحياة، ولكنني لا اعرف أين
هو).

(والمؤامرة - والمنظمة؟ انها حقيقة؟ انها ليست مجرد اختراع بوليس
الفكر؟)

(كلا انها حقيقة، ونسبها منظمة الإخفاء، ولن تعرف عنها اكثر من انها
موجودة وانك تنتهي اليها. سأعود لهذا الموضوع في الحال). نظر في ساعة
يده وقال: (ليس من الحكمة حتى لامضاء الحزب الداخلي اغلاق جهاز

التلفزيون لاكثر من نصف ساعة. لم يكن من المستحسن ان تحضرا الى هنا
معا. ويحب ان تنصرفا كل على حده. أنت يا رفيقة) - وأحنى رأسه لجوليا -
(سوف تنصرفين أولا. أمامنا حوالي عشرين دقيقة. تدركان أن علي أن أبدأ
بالبقاء بعض الاسئلة عليكم. ما هي الاشياء التي أنتما على استعداد للقيام بها
بشكل عام؟)
أجاب ونستون (أي شيء بمقدورنا القيام به).

استدار أوبرين في كرسيه قليلا حتى أصبح في مواجهة ونستون متجاهلا
جوليا تقريبا لانه افترض ان بإمكان ونستون أن يتكلم نيابة عنها. رفت
جفونه فوق عينيه للحظة قصيرة، وأخذ يلقي الاسئلة بصوت خافت خال من كل
تعبير كأنه عمل روتيني، نوع من الاسئلة الكبيرة، كان يعرف معظم اجاباتها
مسبقا.

(هل أنتما على استعداد للتضحية بحياتكما؟)
(نعم).

(هل أنتما مستعدان أن تقوما بأعمال تخريبية من الممكن أن تؤدي الى
موت مئات الابرياء من الناس؟)
(نعم).
(أن تخونا بلدكما لدول أجنبية غريبة؟)
(نعم).

(هل أنتما على استعداد للغش، للتزييف، للابتزاز بالتهديد، لافساد عقول
الاطفال، لتوزيع مخدرات يصبح تعاطيها امانا، لتشجيع البغاء، لنشر الامراض
التناسلية - للقيام بعمل كل ما من شأنه أن يفسد الاخلاق وأن يضعف نفوذ
الحزب؟)
(نعم).

(ان كان القاء حامض الكبريتيك على وجه طفل مثلا يخدم مصالحنا بطريقة
أو بأخرى - فهل أنتما على استعداد للقيام به؟)
(نعم).

(هل أنت على استعداد أن تفقد شخصيتك وأن تعيش ما تبقى من عمرك تعمل تانلا او عاملا في أحواض السفن؟)
(نعم) .

(هل أنت على استعداد للانتحار عندما يطلب منك ذلك؟)
(نعم) .

(هل أنتما على استعداد للانفصال وعدم رؤية بعضكما بعضا لى الابد؟)
(كلا) (قاطعت جوليا .

بدا لو نستون أن وقتا ملويلا قد انقضى قبل ان يجيب على السؤال الاخير، وترأى، له أنه جرد من القدرة على الكلام لبرمة قصيرة. كان لسانه يعمل بصمت، مؤلفا المقاطع الاولى للكلمة ثم لاخرى المرة تلو الاخرى، ولم يعرف الكلمة التي سيقولها حتى نطق بها. وأخيرا قال: (كلا) .

(أهدمت صنعا لانك اخبرتنى) ، قال أوبرين: (من الضروري بالنسبة لنا أن نعرف كل شيء) .

واستدار تجاه جوليا وأضاف بصوت فيه مقدار اكبر من التعبير:
(أتدركين أنه حتى لو بقي على قيد الحياة، فقد يكون كاشان مختلف؟ قد نضطر لاعمائه هوية جديدة. وجهه، حر كاته، شكل يديه، لون شعره - حتى صوته سيكون مختلفا - وأنت نفسك من الممكن أن تصبجي انسانة مختلفة - ان لجر احينا القدرة على تغيير الناس بصورة يصعب معها التعرف عليهم ثانية. في بعض الاحيان امصبح ذلك ضروريا. وأحيانا أخرى نضطر حتى الى بتر أحد الاطراف) .

لم يستطع ونستون منع نفسه من القاء نظرة على وجه مارتن المغولي، لم تكن هناك ندوب او آثار جراح ملتئمة يستطیع أن يراها. تغير لون جوليا قليلا حتى ظهر الشمس في وجهها، ولكنها واجهت أوبرين بجراءة وتمتعت شيئا بيا وكأنه موافقة.

(حسنا. انن فالامر مبتوت فيه).

كانت عليه سجاثر فضيحة على المنضدة، وبسببها انسان شارد الذهن دفع أوبرين السجاثر تجاه الاخرين، تناول واحدة لنفسه، ثم انتصب واقفا وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ببطء وكأنه يستمتع أن يفكر بصورة أفضل وهو واقف. كانت السجاثر من النوع الجيد جدا، ثخينة جدا ومعلبة جيدا، ورقها ناعم بصورة غير مألوفة. نظر أوبرين الى ساعة يده للمرة الثانية وقال:

(من الافضل أن تذهب الى حجرة اعداد الاطعمة الباردة يا مارتن. سوف أدير جهاز التلفزيون خلال ربع ساعة. وقبل أن تذهب انظر الى وجهي مدين الرقيقين جيدا. سوف تراهما ثانية، أما أنا فقد لا أراهما).

أومضت عينتا الرجل الضئيل السوداوان على وجهيهما كما فعلتا عند الباب الامامي تماما. ولم يكن في أسلوبه أو معاملته أثر لاي وء أو محبة. كان يحفظ شكليها عن ظهر قلب ولكنه لم يشعر بأي اهتمام نحوهما كما أرحي مظهره. خطر لورنستون ان وجها اصطناعيا قد يعجز عن تغيير تعبيره. وبدون ان ينبس ببنت شفة، وبدون القاء أي تحية، ترك مارتن الغرفة مغلقا بابها خلفه بهدوء. كان أوبرين يمشي متمهلا جيئة وذهابا واضعا احدى يديه في جيب سرواله وممسكا سيجارته باليد الاخرى.

قال: تدركان انكما ستنافلان في الخفاء ، وانكما ستكوتان في الغلام دائما. تتأقيان الاوامر وتقومان بتنفيذها دون أن تعرفا السبب. سأرسل لكما كتابا فيما بعد تعرفان منه حقيقة المجتمع الذي نعيش فيه، والاستراتيجية التي سنقضي عليه بواسطتها. وعندما تنتهيان من قراءة الكتاب ستصبحان عضوين كاملين في منظمة الاحياء. ولكن بين الاهداف العامة التي تناضل من أجلها، والمهام العاجلة الاتية لن تعرفا شيئا البتة. أؤكد لكما أن منظمة الاحياء موجودة ولكنني لا استطيع القول ان كان عدد أعضائها مائة او عشرة ملايين. ولن يكون بوسعكمأ أبدا، بناء على معرفتكمأ الشخصية، أن تقولوا ان عددها يصل الى اثني عشر عضوا. سيكون لكما من ثلاثة الى أربعة مصادر للمعلومات يتجددون من وقت لآخر لانهم يختلفون. وبما أن هذا هو أول اتصال لكما، فانه

سيحفظ، وعندما تصلكما أوامر، فإنها ستأتي مني مباشرة. وإذا ما رأينا أن من الضروري الاتصال بكم، فإن ذلك سيتم بواسطة مارتن. وعندما تضغطان في النهاية فانكما ستعترفان. ذلك أمر لا يمكن تجنبه أو تفاديه. وغير ما تقومان به من أعمال فسيكون لديكما القليل جدا للاعتراف. ولن يكون بوسعكما خيانة أكثر من حفنة من الناس غير المهمين. ومن المحتمل انكما لن تخوناني لانني قد أكون ميتا في ذلك الحين، أو انني قد أصبح شخصا مختلفا ذا وجه مختلف .

واستمر أوبرين يتحرك جيئة وذهابا فوق سجادة ناعمة، وعلى الرغم من ضخامة جسمه، كان في حركاته رشاقة وتناسق رائعان، يظهر ذلك حتى عندما يدخل يده في جيبه او عندما يعالج سيجارة. وكان يوحى - اكثر من أي شيء آخر - بالقوة وبالثقة وبفهم وادراك مشوبين بالتهكم والسخرية. ومهما بلغت درجة جديته، فإنه لا يملك شيئا مما يملكه المتعمعون ذرو الاهداف الواحدة التي تستقطب كل قواهم. وعندما يتحدث عن القتل، والانتحار، والمرضى الجنسي، والاطراف المبتورة، والوجوه المتغيرة، يفعل ذلك بشيء قليل من المزاح والسخرية. كان يبدو صوته وكأنه يقول: (لا يمكن تفادي ذلك. هذا ما يجب علينا أن نفعله من غير احجام أو وجل. ولكن ليس هذا ما سوف نقوم به عندما تصبح الحياة جديدة أن نحياها).

غمزت ونستون موجة من الاعجاب بأوبرين تقرب من العبادة تقريبا، وقد نسي في تلك اللحظة شخصية جولد ستاين الالهية المبهمة. كان المرء وهو ينظر الى منكبى أوبرين القويين والى قسما وجهه القبيحة جدا والمهذبة جدا، يحس على الرغم من ذلك أنه من المستحيل أن يهزم، لا توجد خدعة حربية لا يقدر عليها ولا خطر لا يستطيع التنبؤ به وادراكه قبل حدوثه. وحتى جوليا بما عليها أنها تأثرت فيه، كانت قد تركت سيجارتها تنطفئء وأخذت تستمع لما يقوله بتركيز. استأنف أوبرين كلامه قائلا:

لا بد انكما سمعتما اشاعات عن وجود منظمة الاخاء، ولا بد انكما كونتما صورة ذهنية لها. ومن المحتمل انكما تمورتما عالما ضخما من المتأمرين الذين يعتقدون الاجتماعات السرية في الاقبية، يكتبون بعجالة ومن

غير عناية على الجدران، ويتصرفون على بعضهم البعض بوساطة كلمات سرية أو عن طريق حركات خاصة لليد. لا يوجد شيء من هذا القبيل، ان ليس لاعضاء المنظمة طريقة يتعرف أحد على الآخر بوساطتها، ومن المستحيل أن يعرف أي عضو هوية أكثر من اعضاء قلائل آخرين، وحتى لو وقع جولدن ستاين نفسه في أيدي بوليس الفكر، فإنه لا يستطيع اعطاءهم قائمة كاملة بالاعضاء أو أية معلومات تؤدي الى مثل هذه القائمة. ان مثل هذه القائمة لا وجود لها. لا يمكن اعادة المنظمة لانها ليست منظمة بالمفهوم المألوف. لا شيء يجعلها متماسكة مترابطة سوى فكرة، وهذه الفكرة غير قابلة للاتلاف. ولن يكون لبيكما ابنا ما يساعدكما على البقاء والاستمرار غير هذه الفكرة. غير هذه الفكرة، ولن تحصلا على رفقة ولن تنالا أي تشجيع، وعندما يقبض عليكما في النهاية فانكما لن تحصلا على أية مساعدة لأننا لا نساعد أعضائنا أبنا. ان اكثر ما نستطيع عمله هو أن نهرب بين الفينة والاخرى شفرة حلاقة الى زناينة سجين عندما يصبح اسكات أحدهم أمرا ضروريا جدا. عليكما ان تعتادا على أن تعيشا من غير نتائج ومن غير أمل. ستعملان لفترة زمنية ما، وسيلقى القبض عليكما وستعترفان، وبعد ذلك سوف تموتان. وتلك هي النتائج الوحيدة التي ستريانها في حياتكما. نحن الاموات. وحياتنا الحقيقية تكمن في المستقبل الذي سنشارك فيه كحفريات من التراب وكشظايا من العظام، ولكن كم يبعد هذا المستقبل، ليس هناك وسيلة للمعرفة. قد يكون ألف سنة، أما الان فلا يمكن عمل شيء سوى توسيع منطقة سلامة العقل وصحته شيئا فشيئا. لا يمكننا ان نعمل بشكل جماعي، نستطيع نشر معرفتنا من فرد لآخر، جيل بعد جيل فحسب. لا توجد وسيلة اخرى تجاه بوليس الفكر .

توقف أوبرين ونظر الى ساعة يده للمرة الثالثة، ثم خاطب جوليا قائلا:

(لقد حان الوقت تقريبا لانصرافك أيتها الرفيقة. انتظري. ما يزال الاناء ممتلئا حتى النصف). ملاً الكؤوس ورفع كأسه من الساق وسأل بشيء من التهكم والسخرية: (نخب أي شيء نشره هذه المرة هل نشر نخب ارباك بوليس الفكر؟ هل نشر نخب موت الاخ الكبير؟ هل نشر نخب الانسانية؟ أم نشر نخب المستقبل؟)

فأجاب ونستون: لشرب نخب الماضي .
واقفه أوربرين قائلا بوقار: ان الماضي أكثر أهمية .

أفرغوا كؤوسهم وبعد برهة وجيزة وقفت جوليا لتتصرف ففتاول أوربرين عليه صغيرة من أعلى خزانه خصومية واعلمها قرصا مسطحا أبيض وطلب منها ان تضعه على لسانها قائلا ان من الأهمية بمكان ان لا يخرج المرء ورائحة النبيذ تفوح منه لان عمال المصعد شديدو الملاحظة. وما كان الباب يقلل خلفها حتى بدا وكأنه نسي وجودها. سر خطرة أو خطوتين جيدة وذهابا ثم توقف قائلا:

(هناك بعض التفاصيل التي يجب تسويتها. انني افترض أن عندك مخبأ من نوع ما؟)

شرح له ونستون عن الغرفة الراقعة فوق حانوت السيد شارنغتون فقال أوربرين: (انها تفي بالغرض مؤقتا، ولكننا سنرتب لك شيئا آخر فيما بعد لأن تغيير مخبأ المرء في فترات قصيرة أمر مهم. وفي غضون ذلك سوف أرسل لك نسخة عن الكتاب - ولاحظ ونستون أنه حتى أوربرين بدا وكأنه يلفظ الكلمات وكأنها مطبوعة بالخط المائل - كتاب جولد ستاين، أنت تدرك ما اعني، في أسرع وقت ممكن ربما تمر بمضعة أيام قبل أن استطيع الحصول على نسخة لانه لا توجد نسخ كثيرة منه كما يمكنك ان تتصور فيوليس الفكر يفتش عنها ويطلبها بنفس السرعة التي تنتجها فيها تقريبا. غير أن ذلك لا يهم كثيرا لان الكتاب غير قابل للاتلاف، وحتى لو احتفظت آخر نسخة منه فان بوسعتنا اخراجه كلمة كلمة تقريبا). وأضاف متسائلا: (هل تحمل محفظة الاوراق والوثائق عندما تذهب الى العمل؟)

- (كعانة، نعم)
- (وما شكلها؟)
- (سواد، رثة جدا، ذات حزامين)

(سواد، ذات حزامين، رثة جدا، حسنا. في يوم ما من أيام المستقل القريب نوعا ما - لا استطيع تحييد أي تاريخ - ستحتوي احدى رسائل عمك

للفترة الصباحية كلمة فيها خطأ مطبعي، وسيكون لزاما عليك أن تعلم اعادة طباعتها. وفي اليوم التالي ستذهب الى عمالك بدون محفظتك. وفي وقت ما خلال النهار سيلمسك وأنت في الشارع، رجل من ذراعتك قائلاً: (اعتقد أنك قد أسقطت محفظتك). وسوف تحتوي المحفظة التي يعملها لك نسخة من كتاب جورك ستاين عليك اعادتها في غضون أربعة عشر يوماً).

صمتا لبرهة وجيزة ثم استأنف أوبرين الكلام قائلاً:
(أياهاك دقيقتان قبل أن يصبح ذهابك ضروريا. سنلتقي ثانية - هذا ان

التقينا ثانية...)
رفع ونستون بصره اليه وقال بتردد: (في المكان الذي لا ظلام فيه).

أوما أوبرين برأسه موافقا دون أن يبدو عليه الاستغراب: (في المكان الذي لا ظلام فيه). قالها وكأنه أدرك التلميح ثم سأل : (وفي غضون ذلك ، هل هناك ما تريد قوله قبل أن تغادر؟ أية رسالة؟ أي سؤال؟)

فكر ونستون. لم يبدو له أن هناك أسئلة أخرى يريد طرحها: وعلى نحو أقل، لم يشعر بباغع لان يطلق عموميات طمأنة وعبارات غامضة. وبدلا من التفكير في شيء يرتبط ارتباطا مباشرا بأوبرين أو بمنظمة الاغناء، طافت بذهنه صورة مؤلفة من غرفة النوم المظلمة حيث قضت والدته أيامها الاخيرة، والغرفة الصغيرة الواقعة فوق حانات السيد شارنغتون - ومثقلة الورق الزجاجية، والنقش الغولاندي ذو الامطار المصنوع من خشب الورود وبطريقة عشوائية تقريبا سأل أوبرين: (هل صادف أن سمعت شعرا قديما مملعه برتقالات وليمونات تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت؟)

أوما أوبرين برأسه موافقا للمرة الثانية وبتروع من الكنيسة الورقورة اكمل المقطع الشعري:

برتقالات وليمونات، تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت،
أنت مدِين لي بثلاث قطع من ربيع البنس،
تقول أجراس كنيسة القديس هارتن،
فمضى استدفع لي تقول اجراس يبلي القديمة،
عندما اصبح غنيا، تقول اجراس شوريندتش.

فقال ونستون: (كنت تعرف السطر الاخير)
(نعم، كنت اعرف السطر الاخير. والان، أخشى أن الوقت قد حان كي
تتعرف، ولكن انتظر، من الافضل أن تسمح لي بامطالك واحدا من هذه
الاقراص).

وعندما وقف ونستون مد أوبرين يده مصافحا، عمرت قبضته القوية
راحة يد ونستون - وعند الباب التفت الاخير خلفه، غير أن أوبرين بدا وكأنه
يعمل على نسيانه في ذلك الحين. وقف ينتظر ويده على مفتاح الكهرباء الذي
يتحكم في جهاز التلفزيون. ومن وراءه استطاع ونستون أن يرى طاولة الكتابة
بمصباحها المقلل باللون الاخضر وآلة قل و اكتب والسلاسل الممنوعة من الاسلاك
والمشقلة بالاوراق. وانتهت الحادثة. وخطر له ان أوبرين سيعود خلال ثلاثين
ثانية لعمله الهام. لاجل مصلحة الحزب ذلك العمل الذي قومع بسبب زيارة
ونستون وجوليا له.

٩

كان ونستون في حالة ملامية من شدة الابعاء، وكانت كلمة ملامي التي
خطرت له بصورة تلقائية، هي الكلمة المناسبة. وتراعى له أن جسده ليس
بضعف المادة الهلامية فحسب بل وشفاقيتها أيضا. شعر أنه اذا رفع يده فسوف
يكون بوسعه أن يرى الغوء من خلالها. كان قد استنزف جميع الدم والاورعية
اللانفاورية في أثناء انغمسه في العمل البهائل الذي قام به تاركا خلفه بنية
ضعيفة من الاعصاب، والعظام، والجلد، وتراعى له أن جميع احساسيه كانت
مجسمة ومبالغ فيها. كان سرواله يحتك بمنكييه، والرصيف يسبب الروخز
لقدميه، وفتح يده واغلاقها كان بالنسبة اليه جهما يجعل مفاصله تعمر.

لقد عمل لاكثر من تسعين ساعة خلال خمسة ايام شأنه في ذلك شأن
جميع الموظفين في الوزارة، وقد انتهى الآن كل شيء ولم يعد لديه أي عمل من
أي نوع يقوم به للحزب حتى صباح الغد. باستطاعته قضاء ست ساعات في
المخبأ وتسع ساعات أخرى في سريره. وبعد الظهر سار ببطء تحت اشعة

الشمس اللطيفة في أحد الشوارع الفذرة المؤدية الى حانوت السيد شارينغتون وهو يراقب بيقظة خروفا من العسس، مع أنه كان مقتنعا دونما سبب أنه لا يوجد خغلر تدخل أي أحد بعد ظهر هذا اليوم. كانت المحفظة الثقيلة التي يحملها ترتطم بركبته مع كل خطوة يخطوها مسببة لها إحساسا خفيفا بالوخز على طول ساقه. وكان الكتاب في داخلها وقد مضى على حوزته له ستة ايام دون أن يقرأه أو حتى ينظر اليه.

في اليوم السادس من اسبوع الكراهية، بعد المسيرات والخمب والصراخ والغناء والاعلام والملصقات والافلام وتمثيل ومعارض الشمع وهدير الطبول وزعيق الابواق الحاد ووقع الاقدام الثقيلة وصرير تراكتورات الدبابات وأزيز الطائرات الجماعية، ودوي البنادق - بعد ستة ايام من ذلك، عندما بلغت هزة التهيج الجنسي ذروتها، وعندما وصلت الكراهية العامة لاوراسيا الى درجة من الغليان والهذيان يمكن معها تمزيق الالفي أوراسي من مجرمي الحرب الذين كانوا سيشتقون علنا في اليوم الاخير من احداث اسبوع الكراهية اربا اربا لو وقع هؤلاء في أيدي الجمهور - في تلك اللحظة بالذات أعلن أن أوراشيا لم تكن في حالة حرب مع أوراسيا بالرغم من كل شيء، كانت أوراشيا في حالة حرب مع أستاسيا، وكانت أوراسيا حليفة لها.

لم يكن هناك اعتراف بأن تغييرا ما قد حدث، ولكن أصبح معروفا على نحو مفاجيء، وفي كل مكان في أن واحد، أن استاسيا هي العدو وليست أوراسيا. كان ونستون يشترك في مظاهرة في إحدى ساحات لندن الرئيسية في اللحظة التي حصل فيها ذلك. وكان الوقت ليلا وقد توهمت الوجوه البيضاء والرايات الأرجوانية بغوء غامر، وامتلات الساحات ببضعة آلاف من الناس تضم مجموعة من تلاميذ المدارس يبلغ عددها حوالي الالف يرتدون زي الجواسيس. وقد وقف على منصة مغطاة بجوخ قرمزي متدل على نحو متجمد خليب من الحزب الحاكم، صغير نحيل له ذراعان طويلتان غير متناسقتين، وجمجمة كبيرة صلعاء تعلوها بضع خصلات من الشعر الناعم موزعة في غير نظام، وكان يلقي خطبة رنانة في الجمهور. كان أشبه بشكل صغير لرمبل ستانسكن* تلقى قسماات وجهه بفعل الكراهية، وقد أمسك الميكروفون بيده باحكام بينما كانت

* شخصية من الفولكلور الألماني يخدع عروس الملك للتخلي عن طفلها ويأبى اعادته ثانية ما لم تخمن اسمه، وعندما تنجح في ذلك يقضي على نفسه.

اليد الأخرى فوق رأسه، ضخمة في طرف ذراع نخيلة، تنشب أفافرها في الهواء مهددة متوعدة. وكان صوته الصلب الرنان بفعل مكبرات الصوت يهدر بيان لا نهاية له من الاعمال الوحشية الفظيعة، والمذابح، والابعادات، والمكاسب غير المشروعة، والاعتصاميات، وتعذيب السجناء، والقاء القنابل على المواطنين، والدعاية الكاذبة، والاعتداءات الجائرة، والمعاهدات المنتهكة. كان من المستحيل أن يستمع المرء اليه ولا يقتنع بأقواله أولا، وأن لا يغضب ويثور وكلمة مرت لحظات قليلة ازداد غضب الجمهور حتى وصل درجة الغليان، فارتفع صراخهم الشبيه بزئير الحيوانات المتوحشة الصادر بصورة لا يمكن ضبطها أو التحكم فيها من آلاف الحناجر، حتى طفى على صوت الخطيب فحجبه. صدرت أشد الصيحات وحشية عن تلاميذ المدارس. مضى على الخطيب عشرون دقيقة عندما أسرع رسول ما الى منصة الخطابة ودس في يد الخطيب قمصامة من الورق، ففتحتها وقرأها من غير أن يتوقف عن خطبته. لم يتغير شيء في صوته أو في أسلوبه، ولا في محتويات خطبته، ولكن الاسماء تغيرت فجأة. وانسابت بين الجمهور موجة من الفهم والادراك دون أن يتفوه الناس بأي كلمة. إن أوשאيا في حالة حرب مع استاسيا. وفي اللحظة التالية ساد المكان امتياح هائل. كانت جميع الرايات والملصقات التي ازدانت بها الساحة خاملة؛ وكان نصفها تقريبا يحمل وجوها خاطئة. كان هذا عملا تخريبيا إن عملاء جولد ستاين يعملون بنشاط وفعالية! ومضت فترة فاصلة ساد خلالها الصخب والشغب، ونزعت الملصقات التي على الجدران، ومزقت الاعلام اربا اربا وديست بالاقدام. وقام الجواسيس بمعاجز عندما تساقوا قمع الاسلحة ممزقين الاعلام المثلثة الشكل التي كانت ترفرف من أعالي المناخن، وانتهى كل شيء في غضون دقيقةين أو ثلاثة، أما الخطيب فقد واصل خطبته وهو ما يزال يقبض على عنق الميكروفون باحدى يديه، يحنى منكباه الى الامام وتنشب أطافره يده الأخرى في الهواء. وبعد دقيقة ثانية انفجر مدير الجماهير الوحشي مرة أخرى، واستمر برناجج الكرامية كما كان في السابق تماما، غير أن الهدف قد تغير.

إن الشيء الذي ترك انطباعا قويا عند نستون، عندما عاد بفاكراته الى احداث ذلك اليوم، هو أن الخطيب كان قد انتقل بالفعل من سطر لاخر في منتصف الجملة، ليس من غير توقف فحسب، ولكن من غير أن يغير تركيب

الجملة. غير أن شيئا آخر كان قد شغل وتستون في تلك اللحظة، إذ بينما كانت الاعلانات والمصمقات تمرق في لحظة الغرض، فزبه رجل لم ير وجهه بخفة على كتفه وقال: (أرجو المعذرة، أعتقد أنك قد أسقطت محفظتك). أخذ المحفظة بذهول دون أن ينس ببنت شفة، وقد أدرك أنه لن تسع له الفرصة للنظر في داخلها قبل مضي أيام. وفي اللحظة التي انتهت فيها المظاهرة ذهب تورا الى وزارة الحقيقة رغم أن الوقت كان الثالثة والعشرين تقريبا، وقد قامت هيئة الوزارة بأكملها بنفس الشيء، إذ لم تكن التعليمات والاورام التي تصدر من أجهزة التلفزيون تطلب منهم العودة الى مراكزهم ضرورية. كانت أو شانيا في حالة حرب مع استاسيا ونتيجة لذلك أصبح جزء كبير من الابد السياسي لمدة خمس سنوات خلت قديما وباطلا تماما، ويجب أن تعمل وتصحح التقارير والسجلات على اختلاف أنواعها، كما يجب أن تنقح جميع الجرائد، والكتب، والكتيبات، والافلام، والتسجيلات الصوتية، والصور بسرعة البرق. مع أنه لم تصدر أية تعليمات بهذا الشأن البتة، إلا أنه كان من المعروف أن رؤساء الدوائر لا يتوقعون أن يبقى ما يشير الى الحرب مع اوراسيا أو التحالف مع استاسيا خلال اسبوع في أي مكان. كان العمل ضخما ومربكا، وما يزيد الامر ارباكا أنه لا يمكن تسمية العمليات التي يتضمنها بأسمائها الحقيقية. عمل كل موظف من موظفي دائرة السجلات ثماني عشرة ساعة من الاربع والعشرين ساعة، كانوا ينامون خلالها ساعتين أو ثلاث ساعات على فترات متباعدة. وقد أحضرت الفرشات من الاقضية ونصبت على طول الممرات. وكانت الراجات التي تتألف من ساندوتشات ومن قهوة النمر، تنقل بواسطة حوامل متحركة من قبل عمال من المطعم، وكان ويستون يحاول أن يترك مكتبه خاليا من العمل كلما جان موعد واحدة من فترات تومعه، وكلما عاد الى العمل ببطء وألم وعيون دبقه، وجد وابلا من لفات الاوراق تغطي مكتبه مثل الثلج المتراكم، مغليا آلة قلم واكتب حتى النصف وفائضا حتى يصل الى ارض المكتب. لذلك كان أول ما يقوم به دائما هو أن يكس الأوراق على شكل كومة مرتبة كي يفسح لنفسه مكانا للعمل. والاسوأ من ذلك أن العمل لم يكن أيا محضا على الاطلاق. صحيح أنه غالبا ما كان يكفي باستبدال اسم بأخر فقط، ولكن كان أي تقرير مفصل للحوارات يستدعي قدرة مبدعة ودهاء، حتى المعلومات الجغرافية اللازمة لنقل الحرب من جزء من العالم الى جزء آخر كان ضخما وهاما.

وفي اليوم الثالث شعر بألم شديد لا يطاق في عينيه الامر الذي استدعى مسح نظارته كل بضع دقائق. كان الوضع اشبه بكفاح ضد عمل جسدي شاق ومحطم، ولكنه مع ذلك كان تواقا بصورة عممية لانجازة. وكلما وجد الوقت ليتذكر ذلك العمل، لم تزعه معرفة أن كل كلمة لمس بها الى آلة قل واكتب، وكل جرة قلم كانت كذبة متعمدة ومدروسة، بل كان كغيره من الموظفين في الدائرة تواقا الى أن يكون التزييف كاملا ومضبوطا.

وفي صباح اليوم السادس أصبح تدفق لفات الورق بطيئا بحيث مضت نصف ساعة دون أن يخرج من الأنبوبة أي شيء. ثم خرجت لفة ورق واحدة وبعدها لا شيء. خف العمل في كل مكان من الدائرة في نفس الوقت تقريبا. وساد الدائرة جميعها شعور عميق وسرى من الارتياح. لقد أنجز عمل جبار لا يمكن ذكره أو الاشارة اليه أبدا. وأصبح من المستحيل الآن على أي انسان أن يبرهن، بواسطة دليل موثق، أن الحرب مع أوراسيا قد حصلت البتة. وفي الساعة الثانية عشرة بعد المائة، أعلن على نحو مفاجيء أن جميع عمال الوزارة أحرار حتى صباح اليوم التالي. ذهب ونستون الذي كان لا يزال يحمل المحفظة المحتوية على الكتاب، والتي ظلت بين قدميه وهو يعمل وتحت جسمه عندما ينام، ذهب الى منزله وحلق وسقط نائما وهو يستحم تقريبا، مع أن الماء لم يكن أكثر من فاتر.

وينوع من الصرب المبهج للحراس في مفاصلة تسلق ونستون السلم الواقع فوق حائوت السيد شارنغتون. كان تعبنا ولكنه لم يعد يشعر بالتعباس. فتح النافذة وأشعل الموقد الصغير القذر ووضع عليه وعاء فيه ماء من أجل القهوة. سوف تحضر جوبيا في الحال: وفي غضون ذلك كان هناك الكتاب. جلس على المقعد القذر وحل أربطة المحفظة.

كتاب ثقيل أسود مجلد بغير اتقان، بلا اسم على الغلاف أو عنوان، طباعته غير متناسقة بعض الشيء، ومفحاته مهترئة عند المواشي وسهلة التساقط. كان أيدي كثيرة قد تداروته. كانت الكتابة التي على صفحة العنوان كالتالي:

الجانب النظري والعشيق
الدولمشاركية الجماعية
لمؤلفه
أرناليمويل بيوك ساين

وأخذ ونستون يقرأ:

الجزء الأول : العمل هو القوة

على مر العصور المؤرخة، وربما منذ نهاية العصر الحجري الحديث، كان في العالم ثلاث طبقات من الناس، العليا، الوسطى، والدنيا. وقد قسمت هذه الطبقات الى أجزاء أصغر في طرق عدة وأطلقت عليها أسماء مختلفة لا تحصى. وقد اختلفت الارقام المتعلقة بها من زمن لآخر، كما تغير موقف كل طبقة من الاخرى؛ ولكن تركيبة المجتمع الاساسية لم تتغير أبدا. وحتى في اعقاب الثورات والاضطرابات الهائلة، وبعد التغييرات التي بدت نهائية وغير قابلة للإلغاء، فرض نفس النموذج نفسه دائما، شأنه في ذلك شأن الجيروسكوب* الذي يعود دائما الى التوازن مهما كان ضغطه واتجاهه.

توقف ونستون عن القراءة حتى يدرك حقيقة أنه يقرأ في راحة وأمان. كان وحيدا: لا شاشة تلفزيون ولا اذن تتنصت على فتحة الباب، ولا دافع لالقاء نظرة عجلى من فوق كتفيه أو لتغطية الصفحة بيده. داعب نسيم الصيف العليل وجنته، ومن مكان ما بعيد تسرّبت صيحات الاطفال الخافتة، أما في الغرفة نفسها فلم يكن هناك أي صوت عدا ساعة الحائط. استقر على الكرسي

* حكم القلة، حكومة تهيمن عليها جماعة صغيرة مهما الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية.
* العبدأ الاشتراكي القائل بسيطرة الدولة أو الشعب ككل، على جميع وسائل الانتاج أو النشاطات الاقتصادية.
* اداة تستخدم لحفظ توازن الطائرة أو الباخرة ولتحديد الاتجاه.

بعمق أكثر ووضع قدميه على سياج المدفأة. كان نعيما، كان حلونا سرمديا، وفجأة، كما يفعل المرء أحيانا مع كتاب يعرف أنه سيقراه في النهاية، وأنه سيعيد قراءة كل كلمة فيه، فتح الكتاب على مكان مختلف حيث وجد نفسه في الجزء الثالث واستمر يقرأ:

الجزء الثالث و العزب هو السلام

ان تقسيم العالم الى ثلاث دول عظمى كان حادثة يمكن التنبؤ بها، وقد حدث ذلك فعلا قبل منتصف القرن العشرين، فمع امتصاص أوروبا من قبل روسيا وامتصاص الامبراطورية البريمانية من قبل الولايات المتحدة، كانت اثنتان من القوى الثلاث الموجودة وهما أوراسيا وأوشانيا موجودتين حقيقة في ذلك الحين. أما الثالثة وهي استاسيا، فقد ظهرت كوحدة واضحة جلية بعد عشر سنوات من القتال المضطرب. أما الحدود بين الدول العظمى الثلاث فهي استبدادية تحكومية في بعض الاماكن، ومتغيرة متقلبة بحسب مصير الحرب في البعض الآخر، غير أنها تتبع الحدود الجغرافية على وجه العموم، تضم أوراسيا جميع القسم الشمالي من الكتلة اليابسة لأوروبا وآسيا الممتدة من البرتغال الى مضيق بيرنج. وتضم أوشانيا الامريكيتين، وجزر المحيط الأطلسي المشتملة على الجزر البريمانية، أستراليا، والجزء الجنوبي من افريقيا. وتضم أوستاسيا، وهي أصغر من الدولتين الاخريتين، وحدودها الغربية أقل وضوحا وتحديدا، تضم الصين والبلاد الواقعة جنوبها، والجزر اليابانية، وجزء كبير، ولكنه متغير من منشوريا ومنغوليا والتبت.

ان هذه الدول العظمى الثلاث، في نوع ما من التحالف او غيره، في حالة حرب دائمة كما كانت خلال الخمس والعشرين سنة الماضية. ولكن الحرب لم تعد ذلك الصراع اليائس القاتل الذي كانت عليه خلال العقود الاولى من القرن العشرين. انها حرب ذات أهداف محددة بين مقاتلين لا يستطيعون تحميل بعضهم البعض، وليس لهم سبب مادي للحرب، ولا تفرق بينهم خلافات ايديولوجية حقيقية. وهذا لا يعني أن أخلاق وسلوك الحرب، أو الموقف السائد

تجاهه، قد أصبحا أقل تعمّشا للدماء أو أكثر فروسية، بالمعنى، فإن هستيرية الحرب مستمرة وعالمية شاملة في جميع البلاد، وأعمال مثل الانتقام، والنهب، وذبح الأطفال، واخضاع سكان بلاد بأكملها الى العبودية، والانتقام من السجناء والذي يصل الى حد الغلبي بالماء والدفن أحياء، تعتبر أمور طبيعية، وعندما تقترب من قبل الجهة الموالية وليس من قبل الجهة المعادية، تعتبر أهلا للقتل والمكافأة. ولكن الحرب في المفهوم الجسدي، يشمل أعدادا قليلة من الناس، غالبا ما يكونون اختصاميين مدربين على نحو رفيع، ويسبب وفيات قليلة نسبيا. وعندما تكون هناك حرب ما، فإنها تجري على الحدود الغامضة والتي لا يستطيع الانسان العادي تخمين مكان وجودها، أو أنها تحصل حول القلاع العائمة التي تحرس مناطق استراتيجية في الممرات المائية. والحرب لا تعني في مراكز الحضارة أكثر من نقص مستمر في البضائع الاستهلاكية، وانفجار عرضي لقذيفة صاروخية قد تتسبب في بضع عشرات من الوفيات. وفي الحقيقة، لقد غيرت الحرب طبيعتها، وعلى نحو أدق فقد تغير ترتيب الاسباب التي تشن الحروب من أجلها في سلم الاولويات. أما الدوافع التي كانت موجودة الى حد قليل في الحروب الكبيرة التي جرت في مطلع القرن العشرين، فقد أصبحت الآن مسيطرة ومدركة بوعي، ويعمل بموجبها.

وحتى يفهم المرء طبيعة الحرب الحالية لأنه على الرغم من اعادة التصنيف الذي يحدث كل سنوات قليلة، فهي دائما نفس الحرب - فعليه أن يدرك قبل كل شيء أنه من المستحيل للحرب أن تكون حاسمة، لأنه لا يمكن لاية دولة من الدول العظمى الثلاث ان تقهر على نحو محدد حتى من قبل الدولتين الاخرتين مجتمعتين، فهي متساوية ومتكافئة الى حد بعيد، ودفاعاتها مائلة جدا. أوراسيا محمية بمساحات أراضيها الشاسعة واورشانيا محمية باتساع المحيط الاطلسي والمحيط الباسفيكي، وأستاسيا محمية بوفرة سكانها وكدهم. ثانيا لم يعد هناك في المفهوم المادي، ما يتحاربون من أجله، لأنه مع انشاء اقتصاديات تتمتع باكتفاء ذاتي، يتكيف فيها الانتاج والاستهلاك، فان التزاحم على الاسواق الذي كان سببا رئيسيا للحروب السابقة قد انتهى، بينما لم تعد المنافسة على المواد الخام قضية حياة أو موت. وعلى أية حال فان كل واحدة من الدول العظمى الثلاث واسعة الى الحد الذي تستطيع معه الحصول تقريبا على جميع المواد التي تحتاجها ضمن حدودها. ويقدر ما يكون للحرب

هدف اقتصادي مباشر، فانها تكون حربا من أجل القوة العمالية. وتقع بين حدود الدول العظمى الثلاث منطقة ليست تابعة لاية دولة بصورة دائمة، رباعية الاضلاع تقريبا تقع أفرافها عند تانجير، برازافيل، دارون، وهو نج كونج تضم فيما بينها خمس سكان العالم تقريبا، وتتمتع الدول العظمى الثلاث باستمرار من أجل حيازة هذه المناطق المزروحة بالسكان، ومن أجل المنطقة الجليدية الشمالية. وعمليا فان ايا من هذه الدول لا تسيطر على جميع المنطقة المتنازع عليها أيضا، بينما تنتقل مناطق منها من مالك الى آخر باستمرار، وقد يتم الاستيلاء على هذا الجزء أو ذاك عن طريق ضربة مفاجئة غادرة هي التي تملئ التغييرات اللاهوائية من الانحياز.

وتحتوي جميع المناطق المتنازع عليها على معادن ثمينة وقيمة، ويعطي بعضها محاصيل نباتية هامة كالمطاط الذي يتم تصنيعه في المناطق الاكثر برودة بطرق باهظة التكاليف نسبيًا. وقبل كل شيء فان هذه المناطق تضم احتياطيا لا حد له من العمل الرخيص، وأي قوة تسيطر على المنطقة الاستوائية من افريقيا، أو على بلدان الشرق الاوسط، أو جنوب الهند، أو الارخبيل* الاندونيسي، فانها تتحكم أيضا في اعداد لا حصر لها في مئات الملايين من العمال غير البارعين الذين لا يعرفون الكلال من ذوي الاجور السبعة. ينتقل سكان هذه - المناطق الذين حُفِضوا بصورة واضحة الى منزلة العبيد - بصورة دائمة من فاتح لآخر، ويستهلكون اثناء السباق كما يستهلك الفحم أو النفط من أجل أن ينتجوا أسلحة أكثر الاستيلاء على مناطق أكبر، ومن أجل السيطرة على قوة عمالية أكبر لكي تنتج اسلحة أكثر وتستولي على مناطق أكبر وهكذا الى مالا نهائية. وجدير بالذكر ان الحرب لا تتعمد .

حدود المناطق المتنازع عليها. ان حدود اوراسيا تمتد من حوض نهر الكونغو الى الشاطئ الشمالي للبحر الابيض المتوسط، بينما تستولي أو شانيا أو استاسيا على جزر المحيط الهندي والمحيط الباسفيكي المرة تلو المرة وباستمرار، وفي منغوليا فان الخط الفاصل بين اوراسيا واستاسيا غير ثابت

* مجموعة من الجزر التي تتألف منها أندونيسيا.

أينما، وتطالب الدول الثلاث الكبرى بمناطق هائلة حول المنطقة القطبية والتي هي في الحقيقة غير أهلة بالسكان وغير مكتشفة الى حد كبير: غير أن ميزان القوى يبقى دائما منتظما تقريبا، وتظل المناطق التي تتألف منها الممتلكات الإقليمية الهامة لكل دولة كبرى غير منتهكة.

ورفضلا عن ذلك فإن جهد الشعوب المستغلة حول خط الاستواء غير ضروري لاقتصاد العالم، فهم لا يضيفون شيئا للثروة العالمية نظرا لان انتاجهم - أيا كان - لا يستخدم الا لاجراض الحرب، ولما كان الغرض من شن حرب ما، هو دائما من أجل أن تصبح تلك الدولة في وضع أفضل لشن حرب ثانية، فإن الشعوب المستعبدة تسمح للحرب الدائمة ان تزداد سرعة عن طريق الجهد الذي تبذله. غير أنه في حالة عدم وجود هذه الشعوب، فإن بنية المجتمع العالمي، والاسلوب الذي يحافظ به على ذاته وكيانه، لن يكرتا مختلفين من حيث الجوهر.

ان الهدف الرئيسي من الحرب العصرية (حسب مبادئ الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد، هذا الهدف مسلم وغير مسلم به تلقائيا من قبل العقول الحاكمة في الحزب المركزي) هو استهلاك ما تنتجه الآلة دون تحسين مستوى المعيشة العام، فمذ نهاية القرن التاسع عشر ومشكلة - مانا يجب أن يعمل بالفائض من البضائع المستهلكة - كامنة في المجتمعات الصناعية. وفي الوقت الحاضر، عندما يجد القليل من البشر ما يكفيهم من الطعام، فإنه من الواضح أن هذه المشكلة ليست ملحة، ومن الممكن أن لا تصبح كذلك، حتى لو لم تكن وسائل دمار اصطناعية تعمل بنشاط. ان عالم اليوم عالم أجرد، جائع، مهتم اذا ما قورن بالعالم الذي كان موجودا قبل سنة ١٩١٤، واكثر جوعا وخرابا اذا ما قورن بالمستقبل الخيالي الذي تتطلع اليه أهل تلك الفترة. ففي مطلع القرن العشرين كانت الرؤيا لمجتمع مستقبلي غني بصورة لا يمكن تصديقها، مجتمع مترف مرفه، منظم وفعال - دنيا متأققة مضادة للفساد من الزجاج والفلولان والاسمنت الناصع البياض - كانت هذه الرؤيا جزءا من وعي وشعور كل شخص مثقف تقريبا. كان العلم والتكنولوجيا يتطوران بسرعة استثنائية مذهلة، وبدأ طبيعيا الافتراض انهما سيواصلان تطورهما. ولكن ذلك لم يتحقق بسبب الفقر الناتج عن سلسلة طويلة من الحروب والثورات من جهة،

ولان التقدم العلمي والتقني اعتمدا على عرف من التفكير يعتمد على التجربة العملية وحدهما من غير اعتبار للعلم أو النظريات والذي لا يمكن أن يدوم في مجتمع خاضع لنظام ونسق موحدتين من جهة أخرى، وفي الاجمال فان عالم اليوم هو أكثر بناءية مما كان عليه قبل خمسين عاما. لقد تقدمت بعض المناطق المتأخرة، كما تطورت اختراعات مختلفة، مرتبطة دائما بطريقة أو بأخرى بالحرب والجاسوسية البولييسية، ولكن التجربة والاختراع قد توقفا الى حد كبير، والخراب الذي أحدثته الحرب الذرية لسنة ١٩٥٠ لم يتم املاحه تماما. وبرغم ذلك فان الاختلال المتأصلة في الآلة ما تزال قائمة، فمنذ اللحظة التي ظهرت فيها الآلة كان من الواضح لجميع الناس المفكرين ان الحاجة للجهد البشري، والى التفاوت الانساني قد اختفيا الى حد كبير. لو أن الآلة كانت قد استعملت بطريقة متأنية من أجل هذه الغاية، لكان من الممكن القضاء على الجوع والعمل الاضافي الشاق، والقنارة، والامية، والمرض على مدى أجيال قليلة. وفي الحقيقة، ومن غير استعمال الآلة لاي هدف من هذا النوع، وعن طريق عملية اوتوماتيكية من نوع ما - عن طريق انتاج ثروة كان من المستحيل عدم توزيعها أحيانا - رفعت الآلة بالفعل المستويات المعيشية للانسان العادي كثيرا جدا لفترة تزيد عن الخمسين عاما في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

بيد أنه كان من الواضح أيضا أن زيادة كاملة من الثروة مهدت بدمار - وكان بالفعل دمارا - للتسلس الهرمي في المجتمع من بعض النواحي. في عالم يعمل فيه كل فرد ساعات قليلة، عنده ما يكفيه من الطعام، يعيش في منزل فيه حمام وثلاجة، ويمتلك سيارة أو حتى طائرة، فان أكثر الاشكال وضوحا وربما أكثرها اممية لعدم المساواة، لا بد وأن يكون قد اختفى في ذلك الحين. ازا ما أصبحت الثروة عامة في أي وقت، فان ذلك يقضي على وجود أي نوع من الامتياز. من الممكن من غير شك، أن يتخيل المرء مجتمعا توزع فيه الثروة، بمفهوم الممتلكات الشخصية ووسائل الترف بالتساوي، في حين تظل السلطة في أيدي طائفة صغيرة تتمتع بامتيازات في نظام اجتماعي قوامه التمييز المطبق المبني على أساس المنزلة أو الثروة. ولكن من الناحية العملية فانه لا يمكن لمثل هذا المجتمع أن يبقى ثابتا لفترة طويلة، لأنه لو تمتع الجميع بالرعاية والامن بالتساوي، فان الكتل الهائلة من البشر التي تكون عادة

مصعقولة مذهولة بسبب الفقر سوف تصبح متعلمة مثقفة وسوف تتعلم كيف تفكر لنفسها، و عندما تفعل ذلك في أى وقت ، فانها ستترك - ان عاجلا أو آجلا - أنه ليس للاقلية المتمتعة بالامتيازات اى عمل تؤديه ، وبالتالي فانها سوف تزيلها من الوجود . وفي النهاية ، فانه لا يمكن وجود مجتمع هرمي الا على اساس الفقر والجهل . ان العودة الى الماضي الزراعي ، كما حلم بعض المفكرين في حوالى مطلع القرن العشرين ان يفعلوا، لم يكن حلا عمليا، لانه تعارض مع الرغبة في طريق التصنيع التي امسحت شبه غريزية في العالم أجمع تقريبا. وفضلا عن ذلك، فان أية بلدة تبقى متخلفة صناعيا، تكون عاجزة من الناحية العسكرية وبالتالي فان الهممنة عليها من قبل منافسيها الاكثر تقدما بصورة مباشرة او غير مباشرة تصبح محتومة.

كما أن بقاء الجماهير في حالة فقر عن طريق تحديد مردود البضائع هو حل مريض. حصل ذلك الى حد كبير خلال الطور الاخير للرأسمالية في الفترة الراقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ تقريبا، عندما ترك اقتصاد بلدان كثيرة يركع، وترقفت زراعة الارض، ولم تزد المعونات الرئيسية، وحيل بين مجموعات كبيرة من السكان وبين العمل ، وظلوا انصاف أحياء عن طريق هيات الدولة. ولكن تبع ذلك كنتيجة حتمية ضعف عسكري، وبما انه كان من الواضح أن اللغاقه التي استلزمها ذلك لم تكن ضرورية، فقد باتت المعارضة أمرا لازما لا يفر منه. كانت المشكلة تكمن في كيفية ابقاء عجلات الصناعة تدور دون زيادة الثروة الحقيقية للعالم. يجب أن تنتج البضائع، ولكنها يجب ان لا توزع، ولتحقيق ذلك فالطريقة العملية الوحيدة هي عن طريق حرب مستمرة.

الدمار هو العمل الاساسي للحرب، ليس بالضرورة دمار البشر، ولكن دمار الجهد البشري. فالحرب هو وسيلة لتحطيم، او لاقاء موان أساسية في الجو او اوراقها في أعماق البحر، والتي في حالة بقائها، يمكن ان تستغل لجعل الجماهير مرتاحة الى أبعد الحدود، وعلى المدى البعيد، ذكية جدا. وحتى عندما لا تدمر الاسلحة فعلا، فان صناعتها ما تزال طريقة ملائمة لاستهلاك النقرة العمالية دون انتاج ما يمكن أن يستهلك، حصن عائم مثلا ، استغرق جهدا كان من اممكن ان يبني عدة مئات من سفن الشحن، يتخلص منه في النهاية على أساس أنه أصبح من طراز قديم ، وأنه لم يعد بأية فائدة مادية على أحد

البتة ، ثم يبني ضمن عائم أخر بجهود جبارة أخرى. من حيث المبدأ فان الجهد الحربي يخطط دائما بطريقة تلتهم أي فائض يمكن ان يبقى بعد ان تلبى حاجات السكان الضرورية والضرورية جدا، وعند التطبيق يستخف بهذه الاحتياجات، الامر الذي يؤدي الى نقص دائم في متطلبات الحياة يصل الى النصف، ولكن ذلك يعد ميزة حسنة. ان بقاء الفئات المتميزة قريبة من حافة الضيق والحرمان هي سياسة متعمدة ومقصودة، لان حالة النقص بوجه عام تزيد من أهمية الامتيازات الصغيرة وهكذا يتضخم التمييز بين فئة وأخرى، وحسب مقاييس مفاهيم أوائل القرن العشرين فان عضو الحزب المركزي يعيش حياة قاسية ومجدة ، وعلى الرغم من ذلك، فان وسائل الترف القليلة التي يتمتع بها، كمشقته الفسيحة المجهزة جيدا، وقماش ملابسه الافضل، ونوعية طعامه وشرابه وتبعه الاحسن وخادميه أو خدمه الثلاث، وسيارته الخاصة أو طائرته العمودية - كل هذه الامتيازات تضعه في عالم مختلف عن عالم عضو الحزب الخارجى، كما ان اعضاء هذا الحزب يتمتعون بميزة مشابهة اذا ما قورنوا بكتل الجماهير الغارقة في الفقر والشقاء والتي تسميها العمال. ان الجو الاجتماعي أشبه بمدينة محاصرة يصبح فيها امتلاك قطعة من لحم حدا فاملا بين الثراء والفقر. وفي الوقت ذاته، فان ادراك ان البلد في حالة حرب، وأنها نتيجة لذلك في خطر، يجعل تسليم السلطة جميعها الى طبقة اجتماعية صغيرة، يبدو وضعها طبيعيا لا مناص منه من أجل البقاء.

يفهم من ذلك أن الحرب لا يقوم بالدمار اللازمة فحسب، ولكنه يقوم به بطريقة سيكولوجية مقبولة . ومن حيث المبدأ فان تبديد الجهد الفائض للعالم عن طريق انشاء المعابد والأهرامات، أو عمل حفر وتعميتها ثانية، أو حتى انتاج كميات هائلة من البضائع ثم اضرام النار فيها، يصبح أمرا سهلا الى حد بعيد. ولكن ذلك يوفر الاساس الاقتصادي وليس الاساس العاطفي لمجتمع هرمي، المهم هنا ليست معنويات الجماهير التي لا أهمية لرايها او وجهة نظرها ما دامت تعمل باستمرار، ولكن المهم هو معنويات الحزب نفسه. فحتى أكثر اعضاء الحزب وضاعة يتوقع منه أن يكون مقتدرا، ومجدا، وحتى ذكيا ضمن حدود ضيقة. ولكنه من الضروري أن يكون متعمبا ساذجا وجاهلا، طباعة السائدة الخوف، والكرامة، والتعلق والابتهاج المتمس بالعريضة بالانصر. بمعنى آخر يجب أن يكون لديه العقلية المناسبة لحالة الحرب. علما أنه ليس من المهم

ان تكون الحرب حاملة بالفعل، ونظرا لعدم امكانية احراز نصر حاسم، فليس مهما ان تسير الحرب سيرا حسنا او سيرا سيئا، لان كل المطلوب هو ان تكون هناك حالة حرب. ان تجزئة الذكاء الذي يتطلبه الحزب من أعضائه، والذي يتحقق بسهولة اكبر في جو من الحرب، أصبح الآن شاملا تقريبا، ولكنه يصبح أكثر وضوحا كلما ارتقى المرء في الرتب، فهستيريا الحرب وكرامية الاعداء هما الأقوى لدى عضو الحزب المركزي، وبحكم وظيفته الادارية، فانه غالبا ما يكون من الضروري لهذا العضو ان يعرف ما اذا كان هذا الخبر او ذاك من اخبار الحرب غير صحيح، ومن الممكن ان يعرف ان الحرب برمتها مزيف كاذب، وانه اما ان يكون غير حاصل او انه يشن لاسباب غير المعلن عنها: ويمكن معادلة مثل هذه المعرفة بسهولة عن طريق الايمان بفكرتين متناقضتين في آن واحد. وفي غضون ذلك فان كل عضو من أعضاء الحزب المركزي يؤمن ايمانا خفيا لا يتزعزع ولو لوهلة قصيرة بأن الحرب حقيقة وانها ستنتهي بالنصر بحيث تصبح أورشانيا سيادة العالم بلا منازع.

ان جميع أعضاء الحزب المركزي يقولون بهذا النصر القادم ثقة تامة. ان تحقيق هذا النصر سيتم اما عن طريق اكتساب تدريجي لاقاليم ومناطق اكثر واكثر حيث تبني قوة متفوقة ساحقة، أو عن طريق اكتشاف سلاح جديد قاطع لا يمكن الرد عليه. ان البحث عن أسلحة جديدة مستمر دون توقف، وهو واحد من النشاطات القليلة الباقية التي يستطيع العقل المبيع الخلاق من خلالها أن يجد مخرجا. لقد توقف العلم في المفهوم القديم في أورشانيا في الوقت الحاضر، ولا توجد كلمة لعلم في اللغة الجديدة، كما تتعارض الطريقة الفكرية التجريبية، التي بنيت عليها جميع الانجازات العلمية السابقة مع المبادئ الاساسية للاشتراكية الانجليزية. وحتى التقدم التكنولوجي فانه يحدث فقط عندما يمكن استخدام نتاجه بطريقة ما لتقابل حرية الانسان. فاما أن يتوقف العالم في جميع الفنون المفيدة، أو يعود القهقري، فالقول تحرت بالمحارث التي تجررها الخيول في حين تكتب الكتب بالالات. ولكن الطريقة التجريبية في القضايا ذات الاممية الحيوية والتي هي في الواقع، الحرب والتجسس - ما تزال تشجع، أو على الاقل تجاز. ان للحرب هدفين الاول اخضاع جميع وجه الارض والقضاء على احتمال التفكير المستقل نهائيا. لذلك هناك مشكلتان رئيستان يهتم الحزب في حلها، أولهما كيف يكتشف ما يفكر فيه انسان آخر

رغم أرائته، وثانيهما كيف يقضي على عدة مئات الملايين من الناس في بضع ثوان من غير تحذير مسبق. وما دام البحث العلمي مستمرا فان المشكلة الثانية هي موضوع بحثه. ان عالم اليوم اما ان يكون مزيجا من العالم السيكلولوجي والمحقق، يدرس بدقة متناهية معنى التعبيرات الخاصة بالوجه، والحركات، والاشارات ونبزات الصوت، ويختبر نتائج المخدرات التي تؤدي الى افطار الحقيقة، والمعالجة بالصبغات الكهربائية، والتنويم المغناطيسي والتعذيب الجسدي، واما ان يكون كيميائيا او فيزيائيا، او متخصصا في علم الاحياء يهتم فقط بتلك الفروع الوثيقة الصلة بالقتل. ان فرق الخبراء في مختبرات وزارةالسلم الضخمة الواسعة، وفي محطات التجارب المخبأة في غابات البرازيل، او في صحراء اوستراليا، او في جزر منسية في القطب الجنوبي تعمل بلا تعب اوامل، يهتم بعضها بالتخليط لفن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم في الحروب المستقبلية ليس غير، ويخترع آخرون قنابل صاروخية اكبر واكبر، ومتفجرات اكثر واكثر فعالية، واكثر وأكثر من الدروع المصفحة التي لا تحترق، ويبحث آخرون عن غازات اكثر فتكا، او عن سموم قابلة للذوبان في سائل في كميات كفيلة ان تبديد الحياة النباتية لقرات بأكملها، او عن أصناف من جراثيم المرض محمصة ضد جميع الاجسام المضادة للبكتيريا المحتملة، ويكافح آخرون لانتاج عربة تشق طريقها تحت الارض كالغواصة تحت الماء، او طائرة مستقلة عن قاعدتها كسفينة مبحرة، ويستكشف آخرون احتمالات أبعاد مثل تركيز أشعة الشمس من خلال عدسات معلقة في الفضاء على بعد آلاف الكيلو مترات، او احداث زلازل اصطناعية وأمواج مد وجزر عن طريق استخراج الحرارة من أعماق الكرة الارضية.

ولكن لم يقترب أي من هذه المشاريع من التحقيق، ولن تحوز أي من الدول العظمى الثلاث تقديما على الدولتين الاخرتين. والجدير بالملاحظة أن القوى الثلاث تمتلك الآن قنبلة ذرية، وهي سلاح أكثر فعالية من أي سلاح آخر يمكن ان تكتشفه أبحاثهم الحالية، ومع ان الحزب يدعى كعادته اختراع هذه القنبلة، الا أن القنابل الذرية ظهرت لأول مرة في أوائل سنة ١٩٤٠ واستعملت للمرة الاولى على نطاق واسع بعد عشر سنوات تقريبا، حيث أقيمت آنذاك بضع مئات منها على مراكز صناعية خصوصا في روسيا الاورورية، وأوروبا الغربية، وأمريكا الشمالية. وكانت النتيجة اقناع الفئات الحاكمة في جميع البلاد أن

بضع قبائل ذرية أكثر سوف تعني نهاية المجتمع القائم ومن ثم نهاية نفوذهم وسلطتهم. وبعد ذلك لم تلق قبائل أخرى مع أنه لم يعقد أي اتفاق رسمي ولم يلمح اليه أبداً. وتستمر القوى الثلاث في إنتاج القنابل الذرية وتخزينها استعداداً للفرصة الحاسمة التي يعتقد الجميع أنها ستأتي إن عاجلاً أم آجلاً. وظلت مهارة الحرب أثناء ذلك ثابتة تقريباً لمدة ثلاثين أو أربعين سنة. فالطائرات العمودية تستعمل أكثر من ذي قبل، وحلت القنائف التي تسير تلقائياً محل قاذفات القنابل، وتراجعت السفن الحربية الضعيفة أمام القلاع العائمة التي لا تغرق تقريباً، ولكن التطور من نواح أخرى كان قليلاً. فالذباب، والغواصة، والمربيب، والرشاش وحتى البندقية والقنبلة اليدوية ما زالت جميعها تستعمل. وعلى الرغم من المنايع التي لا تنتهي والتي تعانها الصحف وشاشات التلفزيون، فالمعارك اليائسة للحروب السابقة والتي غالباً ما كان يقتل فيها مئات الألوف أو حتى ملايين الرجال في بضعة أسابيع لم تتكرر أبداً.

لم تجرب أية دولة من الدول العظمى الثلاث قط أي تكتيك يوزي إلى مزية خطيرة، أما عند القيام بأية عملية كبيرة فإنها تكون في العادة مجوماً مفاجئاً ضد حليف، وتتبع القوى الثلاث، أو إنهم يزعمون لأنفسهم أنهم يفعلون، نفس الاستراتيجية. والخطة المتبعة هي الحصول على مجموعة من القواعد البحرية أو الجوية المحيطة بدولة أو بأخرى من الدولتين المتنافستين عن طريق الجمع بين القتال والمساومة، وضربات مفاجئة من الخيانة والغدر حسنة التوقيت، توقع بعدها معاهدة صداقة مع ذلك المنافس وتبقى على علاقات طيبة معه لعدة سنوات يتهدم الشك خلالها حتى ينضم، وأثناء ذلك يمكن حشد مواردك محملة بالقنابل الذرية في جميع المواقع الاستراتيجية، وفي النهاية تطلق جميعها في وقت واحد بحيث تكون النتائج مدمرة لدرجة تجعل الرد بالمثل مستحيلاً. وعندئذ يحين الوقت لتوقيع معاهدة صداقة مع القوة العالمية المتبقية استعداداً لهجوم آخر. ليس من الضروري القول إن هذا المخطط هو مجرد حلم من أحلام اليقظة يستحيل تحقيقه. علاوة على ذلك فإن الحرب لا تحصل أبداً إلا في المناطق المتنازع عليها حول خط الاستواء والقطب، أما مناطق العدو فلا تجتاح أبداً الأمر الذي يفسر حقيقة أن الحدود بين الدول العظمى هي اعتباطية وغير محددة في بعض الأماكن. فمثلاً بإمكان اوراسيا التغلب على الجزر البريطانية التي هي جزء من أوروبا من الناحية الجغرافية بسهولة، كما

تستطيع أوشانيا دفع حدودها حتى نهر الراين أو حتى الفستيولا من الناحية الأخرى . ولكن مثل هذا العمل سوف ينتهك القاعدة المتبعة لسلامة الوحدة الثقافية بالنسبة للجميع مع أن هذه القاعدة لم توضع في صيغة أيبا. انا ما تغلبت أوشانيا على المناطق التي كانت تعرف بفرنسا وألمانيا، فسوف يكون من الضروري اما ان تبني السكان، وهي مهمة شاقة للغاية، واما ان تستوعب حوالي مائة مليون نسمة منهم يقل مستواهم التكنولوجي عن سكان أوشانيا. وفيما يتعلق بالدول العظمى الثلاث فالمشكلة واحدة، ذلك ان عدم الاحتكاك بالأجانب ضمن حدود معينة باستثناء أسرى الحرب والعبيد المولدين، يعد أمرا ضروريا بكل ما في الكلمة من معنى لبنية المجتمع. وحتى الحليف الرسمي لتلك اللحنة ينظر اليه دائما بشك خفي، وباستثناء أسرى الحرب فان المواطنين الغاندي في أوشانيا لا تقع عيناه ابدا على مواطن من أوراسيا أو من الاستاسيا، ولا يسمح له بمعرفة لغات أجنبية، لأنه لو سمح له بالاحتكاك مع الاجانب فانه سوف يكتشف أنهم مخلوقات مماثلة له وأن معظم ما قيل عنهم هو عبارة عن كذب، وبالتالي فان العالم المغلق الذي يعيش فيه سوف يحطم، وقد تتلاشى مقومات معنوياته من الخوف والكراهية والاستقامة. لذلك فان جميع الاطراف المعنية تدرك أنه مهما انتقلت بلاد فارس او مصر، أو جافا، أو سايلون من يد الى أخرى فيجب ان لا تعبر الحدود المتاخمة الرئيسية أيبا الا بالقنابل.

ووراء ذلك كله تكمن حقيقة لا يصرح بها وان كانت مفهومه ضمينا ويعمل وفقا بها: وهي أن أوضاع الحياة الاجتماعية في الدول الكبرى الثلاث متشابهة كثيرا. فالفلسفة السائدة في أوشانيا تسمى الاشتراكية الانجليزية، وفي أوراسيا فانها تسمى الشيوعية الجديدة، أما في استاسيا فيطلق عليها اسم صيني يترجم عادة عبادة الموت، وقد توصف بصورة أفضل الغاء الذات. ولا يسمح للمواطن في أوشانيا أن يعرف شيئا عن عقائد الفلاسفة الاخرين ولكنه يعلم كيف يشجبها بوصفها اعتداءات هجينة على الفضيحة والمعلق. وفي الواقع أن الفلسفات الثلاث يصعب تمييزها كما أن النظم الاجتماعية التي تؤيدها هذه الفلسفات غير مميزة البتة، فالتركيب الهرمية وتأليه القائد والاقتصاد نفسه الموجود من قبل ومن أجل الحرب الدائمة جميعها موجودة في كل مكان. ينتج عن ذلك أن إحدى الدول العظمى الثلاث لا تستطيع أن تنتصر على الاخرى فحسب، ولكنها لن تحقق أية فائدة ان هي فعلت. على العكس

تسامها، فإن هذه الدول تدعم بعضها بعضا ما دامت في صراع شأنها في ذلك شأن ثلاث حزم من التمتع. وكالمعادة فإن الفئات الحاكمة في جميع القوى الثلاث تترك ما تفعل ولا تدركه في أن واحد. ان حياتهم مكرسة لانخضاع العالم، ولكنهم أيضا يعرفون أنه من الضروري استمرارية الحرب دونما نصر الى الأبد. وفي الوقت نفسه فان حقيقة عدم وجود خطر الانتصار يجعل انكار الواقع ممكنا، وتلك هي الصفة المميزة للاشتراكية الإنجليزية والانظمة الفكرية المنافسة. من الضروري هنا اعادة ما قيل من قبل، وهو أن الحرب قد غيرت اسلوبها على نحو جوهري عندما أصبحت مستمرة.

كانت الحرب في العصور الغابرة شيئا لا بد أن ينتهي ان عاجلا او اجلا بنصر او هزيمة وافحة، وكانت الحرب في الماضي أيضا واحدة من الوسائل الأساسية التي تطل المجتمعات الانسانية بوسائلها على إتصال مع الواقع المادي، لقد حاول جميع الحكام على مر العصور فرض فكرة مفضلة عن العالم على اتباعهم، ولكنهم لم يقدروا على تشجيع أي وهم يفضي الى اضعاف الكفاية الحربية، ما دامت الهزيمة تعني ضياع الاستقلال، أو أية نتيجة أخرى يعتقد أنها غير مرغوبة ، فيجب أن تكون الاحتياطات ضد الهزيمة جادة وخطيرة، ان لا يمكن تجاهل الحقائق المادية. في الفلسفة او في الدين، او في الاخلاق او السياسة، قد يصبح حامل اثنين واثنين خمسة، ولكن عندما يمس أحد الناس بندقية او طائرة يجب أن يكون الحامل أربعة، فالامم غير الكافية دائما تهزم ان عاجلا أو آجلا، والصراع من أجل الكفاية صار بالاورهام. علاوة على ذلك، فالكفاية تتطلب القدرة على التعلم من الماضي، وهذا يعني وجود فكرة دقيقة نوعا ما عما جرى في الماضي. كانت الجرائد وكتب التاريخ دائما محرفة ومتحيزة، ولكن كان من المستحيل القيام بتزييف من النوع الذي يمارس في هذه الايام. كانت الحرب اجراء أكيدا من أجل سلامة العقل، وما دامت المطبقات الحاكمة معنية، فان الحرب هي على الأرجح أعظم الوقايات أهمية. وما دامت الحروب قد تربح او تخسر، فلا يمكن أن تكون أية فئة حاكمة غير مسؤولة كلية بكل ما في الكلمة من معنى.

ولكن عندما تصبح الحرب متواصلة فعلا، فانها أيضا لا تصبح خطرة. وعندما تكون الحرب مستمرة فلا يوجد ما يسمى حاجة عسكرية. ويمكن

للتقدم التكنولوجي أن يتوقف، ولاكثر الحقائق وضوحا ان تنكر أو أن يستخف بها. وكما رأينا فان الابحاث التي يمكن أن تعتبر علمية ما تزال تنفذ لانراض الحرب، ولكنها في الأساس ضرب من أحلام اليقظة، وفشلها في اظهار نتائج لا يعتبر مهما. وحتى الكفاية العسكرية لم تعد ضرورية. وباستثناء بوليس الفكر فانه لا يوجد في أوشانيا شيء ذو كفاءة. ونظرا لانه لا يمكن التغلب على أية دولة من الدول العظمى، فكل دولة في الراقع عالم منفصل يمكن فيه ممارسة أي انحراف في التفكير من غير مخاطرة. تمارس الحقيقة فمعلمها من خلال الاحتياجات اليومية للحياة فقط - مثل المأكول والمشرب والمأوى والملبس، وتجنب ابتلاع سم ما، أو الخروج من نوافذ المطابق العلوي، وما شابه. ما يزال هناك تمييز بين الحياة الموت، وبين الملقات الجسدية والألم الجسدي، غير ان هذا كل ما هنالك. عندما يتقطع الاتصال مع العالم الخارجي ومع الماضي، فان المواطن في أوشانيا يشبه انسانا يعيش في الفضاء بين النجوم، ليست لديه الوسيلة لمعرفة الجهة التي فوقه والجهة التي أسفل منه، فالحكام في مثل هذه الدولة استبداديون مطلقو السلطة اكثر من الفراعنة والقياهرة. انهم ملزمون بمنع اتباعهم من الموت جوعا في اعداد كبيرة بحيث تكون مزعجة، وهم أيضا مجبرون على ان يظلوا كمنافسيهم في نفس المستوى المنخفض من التقنية العسكرية، ولكن ما ان يتحقق الحد الأدنى حتى يصبح بمقدورهم تشويه الحقيقة واعطاؤها الشكل الذي يريدونه.

لذلك فالحرب هي دجل وخداع اذا ما قيست بمقاييس الحروب السابقة. انهاء اشيء بالمعارك بين الحيوانات الاجترارية ذات القرون الموضوعة على زاوية تجعلهم عاجزين عن ابناء بعضهم البعض. ولكن رغم ان الحرب غير حقيقية، الا انها ليست خلتا من المغزى، لأنها تلتهم الفائض من البضائع المستهلكة، كما أنها تساعد على الحفاظ على الجو العقلي الخاص الذي يحتاجه مجتمع هرهي. يفهم من ذلك ان الحرب هي الان مسألة داخلية محفة الى حد بعيد. في الماضي كانت الفئات الحاكمة في جميع البلاد (مع أنهم ربما كانوا يدركون مصالحهم المشتركة لذلك كانوا يحدون مقدار دمار الحرب) تحارب الواحدة منها الاخرى، وكان المنتصر دائما يسلب وينهب المهزوم، ولكنهم في ايامنا هذه لا يحاربون بعضهم بعضا أبدا. والفئة الحاكمة تشن الحرب على رعاياها بغرض المحافظة على البنية الاجتماعية سليمة، وليس لتحقيق الاستيلاء على مناطق او

لمنع الاستيلاء عليها. لذلك فإن كلمة حرب نفسها قد أصبحت خادعة ومضللة. ان القول بأن الحرب غير موجودة لأنها أصبحت دائمة، قد يكون دقيقا، فالضغط المتميز الذي مارسته الحرب على البشرية في الفترة الراقعة ما بين العصر الحجري الحديث ومطلع القرن العشرين قد اختلف وحل محله شيء مختلف تماما. وسوف تكون النتيجة واحدة لو تتفق القوى العظمى الثلاث فيما بينها على العيش في سلام دائم ضمن حدود غير منتهكة بدلا من محاربة بعضها بعضا، متحررة والى الابد من تأثير الخطر الخارجي الواقعي. ان السلام الدائم حقا هو مثل الحرب المستمرة. هذا هو المعنى الضمني لشعار الحزب القائل الحرب هو السلام مع ان الغالبية العظمى لاحضاء الحزب تفهمه بصورة سطحية فقط.

توقف ونستون عن القراءة لبرهة وجيزة، وفي مكان ما على مسافة نائية دوت قنبلة صاروخية، ولم يكن الشعور بالسعادة الناشيء عن كونه وحيدا مع الكتاب الممنوع في غرفة ليس فيها شاشة تلفزيون قد تناقص بعد. امتزجت مشاعر الوحدة والأمان بطريقة أو بأخرى بارهاق جسمه، وبنعومة وراحة الكرسى، وبلعسة النسيم العليل من النافذة وهو يداعب وجنته. سحره الكتاب، أو أكثر دقة، أعاد اليه الطمانينة. لم يكن فيه جديد بالنسبة اليه الى حد ما، ولكن كان ذلك جزءا من الجاذبية لأن الكتاب قد عبر عما يمكن أن يعبر عنه لو استطاع ترتيب أفكاره المشتتة. كان نتاج عقل شبيه بعقله هو، ولكنه عقل أقوى بشكل هائل، وأكثر تنظيميا، وأقل استحوذا بالخوف. أدرك ونستون أن أفضل الكتب هي التي تقول للمرء ما يعرفه من قبل. كان قد عاد لتوه لأفضل الاول عندما سمع وقع أقدام جوليا على السلم فقفز من على كرسيه لملاقاتها. ألقت بكيس أدواتها البني على الأرض ورمت بنفسها بين أحضانها. كان قد مضى عليهما اكثر من اسبوع منذ أن التقيا آخر مرة، وعندما تخلصا من العناق قال ونستون: (لقد حصلت على الكتاب).

(أه، لقد حصلت عليه؟ حسن). قالت ذلك دون أدنى اهتمام، وركعت لتوما بجانب الموقد كي تصنع القهوة.

لم يعودوا للحديث عن الكتاب الا بعد أن مضى عليهما نصف ساعة وما

في الفراش. كان المساء باردا الدرجة جعلت سحب اللحاف فوقهما ضروريا. ومن أسفل وصلهما صوت الغناء المألوف ومرير الاذنبة على حجارة الرصيف. كانت المرأة ذات السواعد القوية الحمراء التي رأها ونستون هناك في أول زيارة له شيئا ثابتا تقريبا في الساحة، وكان يبدو أنه لا تمضي ساعة واحدة من النهار لا تكون فيها غادية راحة بين حوض الغسيل والحبل سادة فمها بملاقط الغسيل تارة ومنمقلقة في غناء قوي مفعم بالحوية تارة أخرى، ولما استقرت جوليا على جنبها وبدت كأنها على وشك النوم، مد يده وتناول الكتاب من على الارض، وجلس مرتكزا على أعلى السرير.

قال: (يجب أن نقرأه. وأنت أيضا، لان على جميع اعضاء حزب الاخوة ان يقرأوه).

فأجابت وعينها مغمضتان: (اقرأه أنت، اقرأه بصوت عال، وهذه أفضل طريقة، بإمكانك أن تشرحه لي أثناء ذلك).

أشارت عقارب الساعة الى السادسة، أي الثانية عشر. كان امامهما من ثلاث الى أربع ساعات. أسند الكتاب على ركبتيه وأخذ يقرأ:

اللعن (الأول) و (اللعن) الثاني

وجدت طوال الازمنة المدونة، وربما منذ نهاية العصر الحجري الحديث، وجدت ثلاث طبقات من الناس: العليا، والوسطى، والدنيا. وقد قسمت ثانية الى أجزاء أصغر في عدة طرق وحملت أسماء مختلفة لا يمكن حصرها، وقد تغيرت الارقام المناسبة لهذه الطبقات كما تغيرت مواقفها تجاه بعضها بعضا عبر العصور، ولكن البنية الأساسية للمجتمع لم تتغير، وحتى بعد ثورات عارمة وتغييرات بدت وكأنها نهائية. وقد اكد النورفج ذاته وجوده دائما، مثل الجيرو سكوب الذي يعود دائما الى التوازن مهما كان مقدار الضغط او اتجاهاه. (جوليا، هل أنت مستيقظة؟) سأل ونستون.

(نعم يا حبيبي، أنني مصغية. استمر. انه رائع).
واستمر يقرأ:

ان أهداف هذه الفئات الثلاث متناقضة: فهدف الطبقة العليا هو أن تبقى مكانها، وهدف الطبقة الوسطى أن تتبادل المنزلة الاجتماعية مع العليا، أما الطبقة الدنيا فهدفها عندما يكون لها هدف - لأن الصفة الثابتة لهذه الطبقة هي أنها مسحوقة جدا بسبب الكدح الذي تقوم به لدرجة تمنعها من ادراك ما يدور خارج نطاق حياتها اليومية الا بصورة متقطعة - هدفها الغاء جميع الفروق الطبقيه وخلق مجتمع يتساوى فيه الناس جميعا. وهكذا يتكرر صراع، لا يختلف من حيث شكله الرئيسي، المرة تلو الاخرى عبر التاريخ. ان الطبقة العليا مطمئنة على ما يبدو الى الاحتفاظ بالسلطة والنفوذ لعصور طويلة، ولكن سيأتي الوقت الذي تفقد فيه ثقتها بنفسها او بقدرتها على السيطرة بكفاءة، أو بفقد كليهما ان عاجلا او اجلا، عندئذ تطيح بها الطبقة الوسطى التي تستخدم الطبقة الدنيا بالتظاهر انها تحارب من أجل الحرية والعدالة. وحالما تحقق الطبقة الوسطى هدفها، فانها تدفع الطبقة الدنيا الى وضعها السابق من العبودية وتصبح هي الطبقة العليا. وفي الحال تنفصل فئة جديدة من الطبقة الوسطى عن واحدة من الفئتين الاخرين أو من كليهما، ويبدأ الصراع من جديد. ان الطبقة الدنيا فقط هي التي لا تنجح من بين الفئات الثلاث في تحقيق أغراضها أبدا ولا حتى بصورة مؤقتة. ان القول انه لم يكن هناك تقدم من النوع المادي طوال التاريخ هو قول مبالغ فيه. فالانسان العادي في هذه الايام، وهو في فترة من الانحطاط، هو أحسن حالا من الناحية المادية عنه قبل قرون قلائل. ولكن لا التقدم المادي، ولا تهذيب السلوك والعادات ، ولا الاصلاح ولا الثورة جعلت المساواة بين الناس أقرب الى التحقيق بما مقداره مليمترا واحدا. ومن وجهة نظر الطبقة الدنيا، لم يعن أي تغيير تاريخي اكثر من تغيير في لقب أسيادهم.

ان تكرار هذا النمط من التركيبية الاجتماعية قد أصبح واضحا في أواخر القرن التاسع عشر لكثير من المراقبين، حيث ظهرت مجموعة من المفكرين الذين فسروا التاريخ على أنه عملية دورية وأدعوا أن عدم المساواة هو نظام الحياة الانسانية الثابت. وبطبيعة الحال كان لهذا المبدأ دائما اتباع مؤيدون،

ولكن حسب الطريقة المطروح فيها الآن هناك تغيير هام. في الماضي كان الاعتقاد بضرورة وجود مجتمع هرمي هو السائد، خاصة في أوساط الطبقة العليا. لقد بشر به من قبل الملوك والأرستقراطيون، ورجال الدين والمحامون وما شابه من الطبقيين، ولكنه قد خفف عن طريق وعود للتعويض في عالم خيالي بعد القبر. كانت الطبقة الوسطى تستعمل مصطلحات مثل الحرية، العدل، والأخوة مادامت تتنافل من أجل السلامة، ولكن بدأ مفهوم الاغناء الانساني يهاجم الآن بعنف من قبل الناس الذين لم يصلوا بعد الى مراكز السلطة، غير أنهم كانوا يأملون في الوصول اليها في وقت قصير. في الماضي قامت الطبقة الوسطى بثورات تحت شعار المساواة، وحالما أطاحت بالطغيان القديم، أنشأت طغيانا جديدا. في الواقع كانت الطبقات الوسطى الجديدة قد أعلنت عن استبدالها مقديما. كانت الاشتراكية، وهي نظرية ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر، حيث كانت الحلقة الاخيرة في سلسلة من الفكر تعود الى ثورات العبيد القديمة، ما تزال متأثرة ببيوتوبيا* العصور الغابرة. ولكن في كل شكل مختلف من أشكال الاشتراكية التي ظهرت منذ حوالي ١٩٠٠ فصاعدا، كان يتخطى عن الغرض من قيام الحرية والمساواة أكثر فأكثر بصورة علنية. والحركات السياسيةالجديدة التي ظهرت في منتصف القرن مثل: الاشتراكية الانجليزية في أوشانيا، والبلشفية الحديثة في أوراسيا، وعبادة الموت وهو الاسم الذي يطلق عادة في أستاسيا، كان هدفها المقصود هو استمرارية عدم الحرية وعدم المساواة. لقد انبثقت هذه الحركات السياسية الجديدة عن الحركات القديمة طبعاً، واتجهت الى الاحتفاظ بأسمائها والى تقويم ولاء شفوي كاذب الى اينبولوجياتها. ولكن كان هدفها هو إيقاف التقدم وتجميد التاريخ عند لحظة مناسبة. وكان لا بد لحركة الرقاص أن تطرد من قبل الطبقة الوسطى التي وكالعادة، كان لا بد للطبقة العليا أن تطرد من قبل الطبقة الوسطى التي ستصبح عندئذ العليا، ولكن في هذه المرة سيكون بوسع الطبقة العليا المحافظة على مركزها والى الابد عن طريق استراتيجيّة واعية وبارعة.

ظهرت المعتقدات الجديدة الى حد ما بسبب تراكم المعرفة التاريخية،

* خطط مثالية غير عملية للاصلاح السياسي والاجتماعي.

تطور الحس التاريخي والذي ندر وجوده قبل القرن التاسع عشر، وأصبحت ولأن الحركة الدورية للتاريخ واضحة جلية، أو بدت كأنها كذلك، وإذا ما أصبحت واضحة جلية، فهي عندئذ قابلة للتغيير. ان السبب الرئيسي الضمني هو أن المساواة الانسانية قد أصبحت ممكنة من الناحية التطبيقية منذ مطلع القرن العشرين. كان ما يزال صحيحا ان الناس لم يكونوا متساوين في قدراتهم الطبيعية، وأن الوظائف يجب أن تخصص بالاساليب التي تعطي الافضلية لافراد على غيرها، غير انه لم يبق هناك حاجة حقيقية للتمييز المطبق، او لاختلافات كبيرة في الثروة. لم تكن الاختلافات المطبقة في العمور السابقة حتمية فحسب، ولكنها كانت مرغوبة. كانت عدم المساواة هي ثمن الحضارة غير أن الوضع قد تغير مع تطور الانتاج الآلي، ان لم يعد من الضروري أن يقوموا يعيشوا في مستويات اقتصادية مختلفة حتى لو كان من الضروري أن يقوموا بانواع مختلفة من العمل. لذلك فان الفئات الجديدة، التي كانت على وشك الاستيلاء على السلطة، ترى أن المساواة لم تعد هدفا يستحق النضال، ولكن خطرا يجب تفاديه. في عمور أكثر بنائية، حيث يستحيل وجود مجتمع عادل مسالم، كان الايمان بوجود مساواة أمرا سهلا تماما. ان فكرة جنة دنيوية يعيش الناس فيها في اخاء دونما قوانين ومن غير عمل وحشي شاق قد راودت خيال الانسان لآلاف السنين، وقد سيطرت هذه الرؤيا حتى على الفئات المستغنية فعلا من كل تغيير تاريخي. لقد أمن الذين ورثوا الثورات الفرنسية، والانجليزية والأمريكية ايمانا جزئيا في شعاراتهم المتعلقة بحقوق الانسان، وحرية الكلمة والمساواة أمام القانون، وما شابه، وسمحوا حتى لادارتهم أن تتأثر بالشعارات الى حد ما. ولكن في العقد الرابع من القرن العشرين كانت جميع التيارات السياسية الرئيسية فاشستية* وفي اللحظة التي أصبحت فيها الجنة الدنيوية ممكنة التحقيق، ضعفت بها الثقة ورفض تصديقها. كانت كل نظرية سياسية جديدة، مهما افلقت على نفسها من أسماء، تعود الى النظام الهرمي وتخضع لنسق موحد. وعندما بدأت النظرة المتصلبة العامة حوالى سنة ١٩٣٠، لم تعد الممارسات التي ألغيت منذ وقت طويل - يصل في بعض الحالات الى مئات السنين - كالسجن من غير محاكمة واستخدام أسرى الحرب كعبيد، وتنفيذ احكام الاعدام علنا، والتعذيب من أجل انتزاع الاعترافات،

* ضرب من الحكم - يخضع فيه الفرد وحقوقه اخضاعا كاملا لمصلحة الدولة.

واستغلال الرهائن، وترحيل جميع السكان، لم تعد اختيارية فحسب ولكنها أصبحت مأروفة ويدافع عنها الناس الذين يعتبرون أنفسهم متنورين وتقدميين.

لقد نشأت الاشتراكية الانجليزية ومناقسوها كمنظريات سياسية مخططة تماما بعد عقد من الحروب القومية، والحروب الاملية، والثورات المضادة في جميع انحاء العالم. ولكن الانظمة المختلفة والتي تعرف عادة بالديكتاتورية والتي ظهرت في وقت سابق من القرن كانت قد اندزت بها، كما كانت الخطا الرئيسية للعالم والتي من عاتقها أن تنشأ من الفوضى السائدة قد وضحت منذ وقت طويل، كما وضع نوع الناس الذين سوف يحكمون هذا العالم على حد سواء. كانت الارستقراطية الجديدة مؤلفة في الغالب من البيروقراطيين، والسياسيين المحترفين. لقد شكل هؤلاء الناس، الذين تعود امورهم الى اصحاب الرواتب من الطبقة الوسطى واصحاب الدرجات العليا من الطبقة العالية، من الطبقة العاملة، وجمعوا معا بواسطة العالم القافل، عالم الاحتكار والصناعة والحكومة المركزية. وانا ما قورن هؤلاء بالاعداد المقابلة لهم في العمور الماضية، فانهم اقل جشعا، واقل اغراء بالترف، واكثر تعطشا للقوة التامة، وفوق كل شيء، انهم أكثر وعيا لما يقومون به، واكثر قدرة على سحق المعارضة. إن الفرق الاخير رئيسي. وانا ما قورنت جميع حكومات الماضي المستبدة بما هو موجود في هذه الايام، فقد كان يعوزها الحماس والفعالية. كانت الفئات الحاكمة متأثرة الى حد ما بأفكار تحررية، وكانت قانعة بترك أجزاء من العمل غير منجزة في كل مكان، وباحترام العمل العلني فقط، وبعدم الاكتراث بما يفكر فيه رعاياهم. حتى الكنيسة الكاثولوكية كانت متسامحة في العمور الوسطى في نظر المعايير الحديثة. ويعود ذلك جزئيا لعدم قدرة أية حكومة على مراقبة رعاياها مراقبة دائمة في الماضي. من ناحية ثانية، فان اختراع المطبعة سهلت عملية التأثير على الرأي العام، ثم جاءت السينما والراديو فعززا هذه العملية اكثر. ومع تطوير التلفزيون والتقدم التقني الذي جعل الاستقبال والبيت على نفس الآلة ممكنا، انتهت الحياة الخاصة، ان أصبح من الممكن وضع كل مواطن، او على الاقل كل مواطن مهم لدرجة يستحق معها المراقبة، تحت بصر البوليس وفي مجال السمع للعاية الرسمية لمدة اربع وعشرين ساعة يوميا، مع أن جميع قنوات الاتصال الاخرى مقفلة. لم يعد

احتمال فرض الطاعة التامة بالقوة لارادة الدولة هو الموجود الآن فقط، بل هناك أيضا تماثل تام في الرأي حول كل المواضيع.

أعاد المجتمع في أعقاب فترة الخمسينات والستينات الثورية كعادته دائما تقسيم نفسه الى الطبقات العليا والوسطى والدنيا. ولكن الطبقة العليا الجديدة على عكس سابقتها، لم تتصرف بالغريزة، ولكنها كانت تدرك ما هو ضروري لحماية مركزها. كان قد عرف منذ وقت طويل ان الجماعية هي الاساس الوحيد المضمون للاوليغاركية. عندما تكون الثروة والامتياز مشتركين تصبح حمايتهما سهلة للغاية. ان ما يسمى بالغناء الملكية الشخصية التي حدثت في منتصف القرن ، تعني في الواقع تركيز الملكية في أيد أقل كثيرا عن ذي قبل: لكن مع هذا الاختلاف، فانها تعني ان المالكين الجدد اصبحوا جماعة بدلا من كتلة افراد. لا يملك اي عضو في الحزب أي شيء سوى ممتلكات شخصية تافهه، ولكن الحزب مجتمعا يمتلك كل شيء في أوشانيا لانه يسيطر على كل شيء، ويتصرف بالانتاج كما يراه مناسبا. كان الحزب في السنوات التي تلت الثورة قادرا على أن يخطو نحو مركز السلطة من غير معارضة تقريبا، لأن العملية جميعها كانت قد صورت على أنها تنظيم للشعب وللإقتصاد وفقا لمبادئ الجماعية. كان يفترض دائما أنه اذا ما جردت الطبقة الرأسمالية فالاشتراكية لا بد وان تتبع: وقد جرد الرأسماليون من الملكية على نحو لا يرقى اليه الشك. لقد أخذت منهم المصانع، والمناجم، والارض والبيوت، والمواصلات، وكل شيء: ونظرا لان هذه الاشياء لم تعد ملكا خاصا، فانها اصبحت بالضرورة ملكية عامة. لقد نفذت الاشتراكية الانجليزية، التي انبثقت عن الحركة الاشتراكية السابقة وورثت أسلوبها ولغتها المميزة، نفذت الشيء الرئيسي في برنامج الاشتراكية، وقد نتج عن ذلك ان عدم المساواة الاقتصادية قد اصبح ثابتا، وهي النتيجة المطلوبة والمدركة سلفا.

غير ان مشاكل بقاء مجتمع هرمي أعمق بكثير من هذا. هناك أربع طرق تستطيع أية فئة حاكمة فقدان السلطة بواسطتها: اما أن تقهر من الخارج، أو أن تحكم بدون كفاية لدرجة تجعل الجماهير يثورون عليها، أو ان تسمح لطبقة وسطى ساخطة بالخروج الى حيز الوجود، أو أن تفقد ثقتها بنفسها وارانيتها في أن تحكم. ولا تعمل هذه الاسباب منفردة، وهي عادة موجودة الى حد ما. ان

أية فئة حاكمة تستطيع حماية نفسها ضد هذه الوسائل سوف تبقى في السلسلة بصورة دائمة. وفي النهاية فإن الموقف العقلي للفئة الحاكمة نفسها هو العامل الحاسم.

اختلف الخطر الاول في الواقع بعد منتصف القرن الحالي، ان لا يمكن في الحقيقة قهر أية دولة من الدول الثلاث العظمى التي تتقاسم العالم حاليا، غير أنها يمكن أن تصبح قابلة للهزيمة من خلال تغييرات سكانية بطيئة وتستطيع أية حكومية ذات سلطات واسعة تفادي ذلك بسهولة. أما الخطر الثاني فهو نظري فقط، فالجمامير لا تتور من غير اكراه، ولا تتور أبدا لمجرد كونها مضطهدة. وما دام لا يسمح بوجود مقاييس للمقارنة فإنها لا تترك أبدا أنها مضطهدة. لم تكن الازمات الاقتصادية التي تكررت في الازمنة الماضية ضرورية تماما ولا يسمح لها ان تحدث في هذه الأيام، ولكن بإمكان اضطرابات أخرى، لا تقل فظافة، أن تحدث، وهي تحدث بالتأكيد دون أن تكون لها نتائج سياسية، لأنه لا توجد طريقة يمكن التعبير عن السخط بواسطةها. اما فيما يتعلق بمشكلة الافراط في الانتاج والتي كانت كامنة في مجتمعنا منذ تطوير التقنية الأولية، فقد حلت عن طريق الحرب الدائمة(أقراً الفصل الثالث). وهي أيضا مفيدة في اثارة معنويات الشعب للمدى اللازم. لذلك، فإن الاخطار الحقيقية، من وجهة نظر حكامنا الحاليين، تكمن في انشقاق فئة جديدة قادرة من الناس، ومستخدمه بأجر قليل، وتواقة للسلسلة، وفي نمو التحررية والمشكية في صفوفها. بكلمة أخرى فالمشكلة هي مشكلة تروبية: إنها مشكلة التشكيل الدائم لوعي وادراك الفئة الحاكمة والفئة التنفيذية الاكبر التي تأتي مباشرة بعدها. يحتاج وعي الجماهير الى أن يتأثر بطريقة سلبية فقط.

فانا ما أعطي المرء هذه الخافية، فإنه يستطيع أن يستنتج التركيب العام، لمجتمع أورثانيا، هذا ان لم يكن قد عرفه قبل الان. ان الأبخ الكبير يحتل قمة الهرم، والأبخ الكبير معصوم وقوي للغاية، فكل نجاح، وكل انجاز، وكل نصر، وكل اكتشاف علمي وكل المعرفة، وكل الحكمة، وكل السعادة، وكل الفضيلة يعتقد أنها تنبثق مباشرة من قيادته وروحيه . لم ير احد الابخ الكبير أبدا. انه وجه على لوحات الاعلانات الموضوعة على الجدران الخارجية، وهو صوت على شاشة التلفزيون، وباستماعنا التأكد بصورة معقولة أنه لن يموت أبدا.

وهناك شك كبير حول وقت ميلاده. الاخ الكبير هو المظهر الذي يقرر الحزب تصوير نفسه للعالم من خلاله. وظيفته ان يكون محور الحب، والخوف والاحترام، وهي احساسيس يمكن الشعور بها تجاه شخص واحد بسهولة اكبر من الشعور بها تجاه منظمة. ويأتي الحزب المركزي بعد الاخ الكبير، وأعضاؤه مقصورة على ستة ملايين عفوا ، او بنسبة مئوية أقل من اثنين من أصل سكان اوشانيا. ويأتي الحزب الخارجي، الذي يمكن تشبيهه بحق بالأيدي، بعد الحزب المركزي، الذي يوصف بالعقل المدبر للدولة. بعد ذلك تأتي الجماهير الغبية الصامتة، التي يشار اليها عادة بالعمال الذين قد يبلغ عددهم ٨٥٪ من السكان. وبلغت تصنيفنا السابق فالعمال هم الطبقة الدنيا: وبالنسبة لقطاع العبيد من سكان المناطق الاستوائية، الذين ينتقلون باستمرار من فاتح لآخر، فانهم لا يعتبرون جزءا دائما او ضروريا للبنية.

ومن حيث المبدأ ، فالعضوية لهذه الفئات الثلاث ليست وراثية. فطفل أبويه في الحزب المركزي لا يولد في الحزب المركزي من الناحية النظرية. ان حق الدخول لأي فرع في الحزب يتم عن طريق امتحان يؤخذ في سن السادسة عشرة. كما انه لا يوجد أي تمييز عنصري، أو أية سيطرة واضحة لاقليم على آخر. وتضم أعلى المراكز في الحزب يهودا، وزنوجا، وأناسا من أمريكا الجنوبية من الهنود الحمر الاصليين، ويؤخذ الاداريون لاية منمنقة من سكان تلك المنطقة بصورة دائمة. ولا يشعر سكان اوشانيا في اي جزء منها أنهم مستعمرون، وأنهم يحكمون من عاصمة بعيدة. ولا يوجد عاصمة لاوشانيا كما لا يعرف احد مكان وجود حامل لقب الرئيس. وباستثناء كون الانجليزية هي اللغة المشتركة، وأن اللغة الجديدة هي لغتها الرسمية، فهي ليست مركزية من أية ناحية. كما لا تربط حكاهما صلة الدم، بل يربطهم التمسك بعقيدة مشتركة. صحيح ان مجتمعنا مقسم الى طبقات اجتماعية وبصورة صارمة على أسس وراثية كما يبدو للوهلة الاولى، غير ان هناك حركة تنقل أقل كثيرا بين الفئات المختلفة منها في عمر الرأسمالية أوحتى قبل العصر الصناعي. يوجد مقدار معين من التبادل بين فرعي الحزب، ولكن الى الحد الذي يضمن استثناء الضعفاء من الحزب المركزي، وعن طريق جعل الاعضاء الطموحين من الحزب الخارجي غير مؤذنين بعدم السماح لهم بالارتقاء. وعمليا فانه لا يسمح للعمال بالوصول الى الحزب. أما اكثر المؤهوبين منهم، الذين من الممكن أن يصبحوا

نواة للشعب، فانهم يسجلون من قبل بوليس الفكر ويتخلص منهم. غير أن هذا الوضع ليس ثابتا بالضرورة، كما أنه ليس قاعدة عمل. الحزب ليس طبقة بالمفهوم القديم للكلمة، ولا يهدف الى نقل السلطة لأبنائه، وازا لم تكن هناك طريقة أخرى لابقاء أكثر الناس مقدره في القمه، فأنه على استعداد تام أن يجند جيلا جديدا كاملا من صفوف العمال. وحقيقة أن الحزب لم يكن جماعة وراثية، كان له أكبر الفضل في القضاء على المعارضة في السنين العممية. لقد افترض النوع القديم للاشتركية، والذي كان قد درب على محاربة ما يسمى بالامتياز الطبقي، أن ما يكون غير وراثي لا يمكن أن يكون دائما. لم يدرك أن استمرارية الاوليغاركية، ليس من الضروري أن يكون مادية، ولم يتوقف ليفكر أن الأزرستقراطيات الوراثية تكون دائما قصيرة الأجل، في حين تستمر التنظيمات المتبناه لسمات أو ألوف السنين أحيانا. ان جوهر الحكم الاوليغاركي أنه ليس وراثيا من الأب للأبن، ولكنه استمرازا رأي عالمي خاص وأسلوب معيشي معين يفرسه الأموات على الأحياء، وما دامت الفئة الحاكمة قادرة على تعيين خلفائها، فانها تبقى فئة حاكمة. الحزب ليس معنيا بتخليد سلالته ولكن بتخليد نفسه. وليس المهم من يستولى على الحكم، ولكن نوام التركيب الهرمي هو المهم دائما.

ان جميع المعتقدات، والمعادن، والاذواق، والمشاعر، والمواقف الفكرية التي يتميز بها عمرنا هي في الواقع مخططة لتعزيز غموض الحزب والحيولة دون فهم جوهر المجتمع الحالي للحقيقة. ان أية ثورة أو أية حركة تمهيدية لثورة، غير ممكنة في الوقت الحاضر. أما العمال فلا يخشى جانبهم لأنهم اذا ما تركوا وشأنهم فسوف يكون ويتوالدون ويموتون جيلا بعد جيل، وقرنا بعد آخر ليس من غير رغبة أو دافع للثورة فقط، ولكن من غير قدرة على ادراك أن العالم يمكن أن يكون على غير ما هو عليه. يمكن أن يصبحوا خطرین فقط اذا ما أصبح من الضروري تعليمهم تعليما أعلى بسبب التقدم التقني الصناعي، ونظرا لأن المتنافسة العسكرية والتجارية لم تعد مهمة، فان مستوى التعليم العام في تدهور فعلا. والآراء التي تعتنقها الجماهير أو لا تعتنقها تعتبر عديمة الأهمية. ويمكن منح العمال حرية فكرية لأنه ليس لديهم نكاء. أما بالنسبة لعضو الحزب، فالأمر مختلف لأن أقل انحراف في الرأي، حتى لو كان حول أقل المواضيع أممية، لا يمكن التسامح به.

يعيش عضو الحزب منذ مولده وحتى وفاته تحت بصر بوليس الفكر. وحتى عندما يكون وحيدا، لا يمكنه أن يتأكد أبدا أنه كذلك. وحيثما يكون: نائما أو مستيقظا، عاملا أو مرتاحا، في الحمام أو في السرير، فإنه من الممكن أن يراقب من غير انذار ومن غير أن يعرف أنه مراقب. لا شيء من جميع ما يقوم به يعتبر عديم الأهمية. صداقاته، استجماماته، معاملته لزوجته وأولاده، تعبير وجهه عندما يكون منفردا، الكلمات التي يتمم بها في نومه، وهذا لا ينطبق على الأعمال الشريرة فحسب، ولكن أية غرابة في الأطوار مهما كانت صغيرة، أي تغيير في العادات، أي تصرف عصبي يمكن أن يكون علامة لصراع داخلي لا بد أن يكتشف. ليس له حرية الاختيار في أي أمر مهما كان. ومن ناحية أخرى فإن أعماله لا تضبط من قبل القانون أو من قبل دستور سلوكي واضح الصيغة، فليس في أوشانيا قانون، والأفكار والأعمال التي يؤدي اكتشافها إلى الموت المحقق ليست ممنوعة رسميا، والتطهيرات اللانهائية، والاعتقالات، والتعذيب، والسجن، والتبخرات، لا توجه كعقوبة لجرائم قد ارتكبت فعلا، ولكنها إبادة لأشخاص قد يرتكبون جريمة في وقت ما في المستقبل. لا يطلب من عضو الحزب أن تكون لديه الآراء الصحيحة فحسب، ولكن الغرائز الصحيحة أيضا. كثير من المعتقدات والمواقف المطلوبة منه ليست محدده بوضوح أبدا، ولا يمكن أن تحدد دون تعرية المتناقضات المتأصلة في الاشتراكية الانجليزية. وسوف يعرف تحت كل الظروف، إن كان إنسانا راشدا بالفطرة (قويم الرأي في اللغة الجديدة)، يعرف من غير تفكير، ما هو الاعتقاد الصحيح أو الاحساس المرغوب فيه. ولكن على أية حال فإن المرء يخضع وهو في الطفولة إلى تدريب فكري مدروس باتقان يتجمع حول هذه الكلمات من اللغة الجديدة: وقف الجريمة، أسود، أبيض، والإيمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد، يجعله كارها وغير قادر على التفكير بعمق شديد في أي موضوع مهما كان.

لا يتوقع من عضو الحزب أن تكون لديه مشاعر خاصة ولا فترات راحة من الحماس المتواصل المفروض فيه أن يعيش نوبات دائمة من كراهية الغرباء، والخونة من الداخل، والابتهاج بالنصر، واذلال النفس أمام سلطة الحزب. والسخط الناشئ عن الحياة القفرة الجرداء غير المرضية التي يعيشها، توجه وتبدد بتعمد عن طريق وسائل مثل دقيقتي الكراهية، والتأملات التي قد تحدث

موقفا نزاها الى الشكل أو متمردا، يقضى عليها مسبقا عن طريق النظام الداخلي الذي يكتسب في وقت مبكر من حياة الفرد. ان أول وأيسط مرحلة في الانضباط، والتي يمكن تعليمها حتى للأطفال الصغار، هو ما يسمى في اللغة الحديثة ايقاف الجريمة، ويعني القدرة على التوقف فجأة، وكأنه يحمل بالفريزة، في مستهل أية فكرة تنطوي على خطر. ويتضمن ذلك القدرة على عدم فهم التشابهات الجزئية، والفشل في فهم الأخطاء المنطقية، وعدم فهم أيسط المناقشات اذا كانت معادية للاشتركية الانجليزية، والفخر أو الاشمئزاز من أي تسلسل أفكار قادر على أن يؤدي الى اتجاه رايكالي. وبالاختصار، فان ايقاف الجريمة يعني الغباء الواقعي، ولكن الغباء ليس كافيا. على العكس تماما، فان المعتقد التقليدي في المفهوم الكامل للكلمة، يتطلب سيطرة على العمليات العقلية تماما كذلك التي يسيطر بها البهلوان على جسمه. يعتمد مجتمع أو شائنا اساسا على الاعتقاد بأن الأخ الكبير شخص ذو سلطة مطلقة، وأن الحزب معصوم عن الخطأ. ولكن بما أن الأخ الكبير في الحقيقة ليس شخصية ذات سلطة مطلقة، والحزب ليس معصوما عن الخطأ، فهناك ضرورة الى مرونة دائمة لا تعرف المال في التعامل مع الحقائق. أسود أبيض هي المفتاح. ومثل الكثير من الكلمات في اللغة الحديثة، فان هذه الكلمة مدلولين متناقضين متبادلين. فإذا ما استعملت لخصم متنازعي فانها تعني عادة الادعاء الوقح أن الأسود أبيض انكارا للحقائق المخلص للقول بأن الأسود أبيض عندما يستدعي نظام فانها تعني الاستعداد المخلص للقول بأن الأسود أبيض عندما يستدعي نظام الحزب ذلك ولكنها تعني أيضا القدرة على تصديق أن الاسود أبيض، بل، اكثر من ذلك، معرفة أن الأسود أبيض ونسيان المرء أنه قد أعتقد عكس ذلك البتة. ويستدعي ذلك تغييرا مستمرا للماضي ويصبح ذلك ممكنا عن طريق نظام تفكير يعتنق حقيقة كل ما تبقى، والذي يعرف بالايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد في اللغة الحديثة.

ان تغيير الماضي ضروري لسببين: أحدهما ثانوي، والآخر وقائي اذا جاز التعبير. أما السبب الثانوي فهو أن عضو الحزب، شأنه شأن العمال، يحتتمل الأوضاع الاجتماعية الى حد ما لأنه ليس لديه مقاييس للمقارنة. يجب عليه أن ينفصل تماما عن الماضي، كما يجب أن يعزل عن البلدان الأجنبية لأن من الضروري له أن يصدق أنه أفضل حالا من أسلافه، وأن معدل المستوى المادي

لرأفاهية في ازدياد متواصل. ولكن السبب الأكثر أهمية لإعادة تعديل الماضي فهو الحاجة لحماية عممة الحزب من الخطأ. ليست الخطابات، والاحتماليات وجميع السجلات على اختلاف أنواعها هي التي يجب ان تواكب الحاضر لتبرهن أن تنبؤات الحزب كانت صحيحة في جميع الحالات فحسب، ولكن أيضا يجب أن لا يسمح بأي تغيير في مذهب أو في انحياز سياسي في أي وقت، لأن أي تغيير في الرأي أو حتى في سياسة المرء انما هو اعتراف بالضعف. فمثلا، اذا ما كانت أوراسيا أو استاسيا(أي البلدين كان) هي العدو في الوقت الحاضر فان تلك البلد لا بد أن تكون العدو دائما، واذا ما أشارت الحقائق الى غير ذلك، عندئذ فيجب أن تغير الحقائق. وهكذا تعاد كتابة التاريخ باستمرار. ان هذا التزييف للماضي والذي تقوم به وزارة الصدق يوما بعد يوم، إنما هو ضروري لاستقرار النظام الحكومي، شأنه في ذلك شأن القمع والتجسس اللذين تمارسهما وزارة الحب. ان تغيير الماضي هو العقيدة الأساسية للاشتركية الانجليزية، وتنص المناقشة التي تدور حول هذا الموضوع على ان الأحداث الماضية ليس لها وجود محسوس ولكنها تبقى حية في السجلات المدونة فقط، وفي ذاكرة الناس، فالماضي هو كل ما تتفق عليه السجلات والذاكرة. ونظرا لأن الحزب يسيطر على جميع السجلات، وعلى عقول أعضائه سيطرة تامة، فالماضي هو ما يقرر الحزب أن يصنعه. وينتج عن ذلك أيضا أنه بالرغم من أن الماضي قابل للتغيير، الا أنه لم يكن قد تغير في أي مثال محدد أبدا، لأنه عندما يبعث من جديد في الشكل الذي تتطلبه تلك الحقلة، تصبح النسخة الجديدة المعدلة هي الماضي ويلغى وجود أي ماضٍ آخر مختلف. ويسري مفعول ذلك عند تغيير الحادثة نفسها بطريقة لا يمكن تمييزها أو التعرف عليها عدة مرات في غضون سنة واحدة كما يحصل غالبا. ويمتلك الحزب، في جميع الأوقات، الحقيقة المطلقة، ومن الواضح أن المطلق لا يمكن أن يختلف عما هو عليه الان. ويفهم من ذلك أن السيطرة على الماضي تعتمد فوق كل شيء على تدريب الذاكرة. ان التأكد من أن جميع السجلات المدونة تتفق والمعتقدات التقليدية القويمة لتلك الحقلة يعد عملا أيا ليس غير، ولكن من الضروري إعادة ترتيب ذكريات المرء او جرت على النحو المطلوب، وذا كان من الضروري إعادة ترتيب ذكريات المرء او العيبث بالسجلات المدونة فانه يصبح عندئذ من الضروري نسيان أن المرء قد قام بذلك . ويمكن تعلم الحيلة اللازمة للقيام بهذا مثل تعلم أية براعة ذهنية تقنية يتعلمها معظم أعضاء الحزب، وجميع التقليديين الأذكىء بالتأكيد. كان

هذا يسمى في اللغة القديمة، وبصراحة تامة، السيطرة على الحقيقة أما في اللغة الحديثة فإنه يسمى ازدواجية، التفكير، الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد مع أن ذلك يشتمل على الشيء الكثير أيضا.

ويعني الاصطلاح القدرة على الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد وتصديقهما. ويعرف عضو الحزب الذكي المفكر في أي اتجاه يجب أن يعدل ذكرياته، لذلك فإنه يدرك أنه يتحایل على الحقيقة، وعن طريق ممارسته للايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد، فإنه أيضا يقنع نفسه أن الحقيقة لا تنتهك. ويجب ان تكون العملية مدركة، والا فلن تنفذ بدقة كافية، ويجب ان تكون أيضا غير واعية، والا صاحبها شعور بالكذب، ومن ثم شعور بالذنب. ونظرا لان عمل الحزب الجوهري هو استخدام خداع واع مع الاحتفاظ بقوة الغاية التي تنسجم مع الامانة الكاملة، فان الايمان بفكرتين متناقضتين في أن واحد تكمن في أعماق الاشتراكية الانجليزية. ان يقول المرء كذبات متعمدة، ومدروسة وهو يصدقها حقيقة، وأن ينسى أية حقيقة أخرى غير ملائمة، ثم يستعيدها من النسيان عند الضرورة، ويحتفظ بها ما دامت مطلوبة، وأن ينكر وجود الحقيقة الموضوعية المجردة في حين يدخل في اعتباره الحقيقة التي ينكرها - كل هذا ضروري بصورة لا مفر منها ولا غنى عنها. وحتى عند استخدام اصطلاح ازدواجية التفكير، فان من الضروري ممارسة هذه الازدواجية، لان المرء يعترف - عن طريق استعماله للإصطلاح - بأنه يتلاعب بالحقيقة، ويمحو هذه المعرفة عن طريق ارتكاب عمل جديد في ازدواجية التفكير: وهكذا الى ما لا نهاية، والكذبة تسبق الحقيقة دائما. وأخيرا استطاع الحزب عن طريق ازدواجية التفكير ان يوقف مجرى التاريخ، وقد يستطيع عمل ذلك لآلاف السنين.

فقدت جميع الاوليغاركيات السابقة السلطة لانها تحجرت أو لانها أصبحت لينة. اما لان القائمين عليها اغبياء متعجرفين فشلوا في التأقلم مع الظروف المتغيرة مما أدى الى الاحاطة بهم، أو لأنهم أصبحوا متحررين جبنا، قدموا تنازلات عندما كان استخدام القوة واجبا عليهم فأطيح بهم للمرة الثانية. وبعبارة أخرى، فقد سقطوا عن طريق الوعي او عن طريق عدمه. ان من مآثر الحزب أنه قدم نظام تفكير تستطيع كلتا الحالتين التعايش في ظلّه في أن

واحد. وليس بمقدور سيادة الحزب استمرارية البقاء الا على هذا الاساس الفكري لا غيره، فانا ما أراد المرء ان يحكم وان يستمر في الحكم فان عليه أن يكون قادرا على انتزاع الحقيقة من موضعها. لان سر الحكم يكمن في الجمع بين الايمان بعممة المرء عن الخطأ، والقدرة على التعلم من أخطاء الماضي.

ليس من الضروري القول بأن امهر المصنفين للتفكير المزروع هم الذين اخترعوه، وهم الذين يعرفون أنه نظام هائل للخداع الذهني. ان اكثر الناس في مجتمعتنا معرفة بما يجري هم أيضا ابعد الناس عن معرفة العالم على حقيقته. وعلى العموم فانه كلما عظم الوعي، كبر الهم والتخيل: والناس الاكثر ذكاء هم الاقل سلامة في العقل. وأفضل مثل لتوضيح ذلك ان هستيريا الحرب تزداد قوة وحدة كلما ارتفع المرء في السلم الاجتماعي. ان الذين يقفون من الحرب موقفا اكثر منطقا وعقلانية هم رعايا المناطق المتنازع عليها. فالحرب بالنسبة لهؤلاء الناس كارثة مستمرة تجري فوق أجسادهم في غدوها ورواحها مثل موجة عارمة شديدة الارتفاع تعقب الزلازل أحيانا. أما الجهة الراححة المنتصرة فلا تعنيهم مطلقا لانهم يدركون ان التغيير في السيادة العليا يعني ببساطة أنهم سيقومون بنفس العمل الذي كانوا يقومون به سابقا لاسياد جدد يعاملونهم بنفس أسلوب سابقينهم، أما العمال المميزون قليلا، والذين نسيهم البروليتاريين، فانهم يشعرون بالحرب على فترات متقطعة فقط. وكلما دعت الحاجة يمكن حثهم على ثوبات جنونية مسعورة من الخوف والكرامية، ولكنهم عندما يتركزون وشأنهم، فانهم قادرون على نسيان - ولفترات طويلة - أن هناك حربا تدور رحاها. ان الحماس الحقيقي للحرب يكمن بين صفوف الحزب، وقبل الجميع بين صفوف الحزب المركزي . ان الذين يؤمنون بالسيطرة على العالم هم اكثر الناس ايمانا باستحالة هذه السيطرة. ومن أهم العلامات المميزة لمجتمع أو شائبا هي الجمع الغريب بين المتناقضات مثل: المعرفة مع الجهل، الشك في حسن الدوافع البشرية مع التعصب. والايديولوجية الرسمية زاخرة بالمتناقضات حتى عندما لا يكون هناك سبب عملي لهذه التناقضات. وذلك فان الحزب يرفض وينم كل مبدأ تناضت من أجله الحركة الاشتراكية في المقام الاول، ويفضل أن يفعل ذلك باسم الاشتراكية. انه ينادى باحتقار، لم يسبق له مثيل لقرون خلت، المصلحة العاملة، ويلبس اعضاءها زيا كان في وقت ما خاص بالعمال اليبوسيين، ولهذا السبب وقع الاختيار عليه. يقوض الحزب الروابطا

العائلية بصورة منتظمة، ويطلق على زعيمه اسما يناشد عاطفة الولاة العائلي مباشرة. وحتى أسماء الوزارات الارباع التي تحكمنا تبدي نوعا من المفاقة في قلبها المتعمد للحقائق. فوزارة السلام تعنى بالحرب، ووزارة الصنق تهتم بالاكاذيب، ووزارة المحبة تهتم بالتعذيب، ووزارة الرخاء تهتم بالجويع. ان هذه المتناقضات ليست وليدة الصدفة، ولا تنتج عن رياء مألوف: انها ممارسات مدروسة ومتعمدة في ازواجية التفكير، لأنه يمكن الاحتفاظ بالسلامة الى ما لا نهاية فقط عن طريق التوفيق بين المتناقضات، وليست هناك طريقة أخرى يمكن نقض العمر القديم بواسطتها. واذا كان لا بد من صرف النظر عن المساواة الانسانية، واذا كان لا بد للمطبقة العليا كما سميناها، من الاحتفاظ بمرکزها الى مالا نهاية، فانه لا مناص انن من السيطرة على الحالة العقلية الراهنة.

ولكن هناك سوآلا واحدا تجاهلناه تقريبا حتى هذه اللحظة وهو: لماذا يجب صرف النظر عن المساواة الانسانية؟ لنفرض أن الجوانب التقنية للعملية قد رسمت على نحو مطابق للحقيقة، فما هو الدافع لهذه المحارلة الكبيرة التي خطط لها على نحو دقيق لتجميد التاريخ عند مرحلة زمنية خاصة؟

نصل هنا الى السر الرئيسي. ان غموض الحزب ، وقبل الجميع الحزب المركزي، يعتمد كما رأينا على ازواجية التفكير. ولكن الدافع الاصلى هو أعمق من ذلك، انه يكمن في الغريزة التي لا يشك فيها والتي أدت الى الاستيلاء على السلطة أولا، وأحدثت ازواجية التفكير، وبوليس الفكر، واستمراريةالحرب، وكل الادوات الضرورية في ما بعد. يتألف هذا الدافع في الواقع..

أدرك ونستون الصمت المحيط به كما يدرك المرء حدث صوت جديد، وبدا له ان جوليا كانت هائلة جدا لبعض الوقت. كانت مستلقية على جنبها، عارية من الوسط فأعلى، ويدها تتوسط وجنتها، وقد تساقطت خصلة سوادء من شعرها على عينيها، وكان صدرها يعطر ويهبط ببطء وانتظام.

(جوليا). لاجواب.

(جويليا، هل أنت مستيقظة؟)

لا جواب. كانت نائمة، أغلق الكتاب، ووضعه على الارض بعناية، ثم استلقى على السرير ووضع الغطاء فوقهما.

لم يتوصل بعد الى معرفة السر الاساسي، فكر مليا. أدرك الطريقة ولكنه لم يفهم السبب. لماذا لم يكشف له الفصل الاول من الكتاب، شأنه في ذلك شأن الفصل الثالث، عن أي شيء لم يكن يعرفه سابقا. لقد تعلم المعرفة التي عرفها قبل الآن فحسب. ولكنه أدرك بعد قراءتها اكثر من قبل أنه لم يكن مجنوناً. لا يمكن ان يكون المرء مجنوناً لأنه من الاقلية، حتى لو تألفت هذه الاقلية من واحد. هناك الصديق وهناك الكذب، وازا ما تمسك المرء بالصديق، حتى لو كان تمسكه هذا ضد العالم كله، فهو ليس بمجنون. انحدرت أشعة نهبية من الشمس المائلة للغروب على الورداسة. أغمض عيني، وقد منحته الشمس التي على وجهه، كما منحته جسد الفتاة الناعم الملامق لجسده، شعوراً قوياً، ناعسا ورائقا. شعر بالأمن ، لذلك فكل شيء على ما يرام، تام وهو يتمتع: (سلامة العقل ليست شيئاً احصائياً) قالها وهو يشعر أن هذه الملاحظة تشتمل على حكمة عميقة.

وعندما استيقظ أحس أنه قد تام لوقت طويل، ولكن نظرة عاجلة على الساعة القديمة جعلته يدرك ان الساعة كانت النصف بعد العشرين فقط، استلقى يغالبه النعاس لفترة قصيرة ثم وصله الصوت القوي العميق المألوف من الساحة الكائنة في الاسفل وهو يغني:

كان وهما يائسا فحسب،

مر كيوم من أيام نيسان،

ولكن نظرة وكلمة والاحلام التي أثارناها

قد سلبت قلبي بعيداً!

كان المرء ما يزال يسمع هذه الاغنية الصيانية في كل مكان مما يدل أنها قد احتفظت بشعبيتها. لقد عمرت اكثر من أغنية الكراهية. استيقظت جويليا على صوت الاغنية، وتمت بكسل وترف، ثم نهضت من السرير.

قالت: (انني جائعة. دعنا نعمل بعض القهوة. اللعنة! لقد انطفأ الموقد وأصبح الماء بارداً).

رفعت الجهاز وهزته قائلة: (ليس فيه زيت).
قال ونستون: (أظن أن بإمكاننا احضار بعض الزيت من شارنغتون، العجوز).
(المضحك في الامر انني كنت قد تأكدت من أنه كان مملوءاً)، وأضافت:
(يبدو ان الطقس قد برد اكثر لذلك سأرتدي ملابسني).

نهض ونستون هو الآخر وارتنى ملابسيه واستمر الصوت الذي لا يعرف
التعب من الغناء:

يقولون ان الزمن يشفي كل شيء،
يقولون ان المرء يستطيع ان ينسى دائماً،
ولكن البسمات والدموع عبر السنين
ما تزال تعصر أوتار قلبي حتى الآن!

سار عبر الغرفة الى النافذة وهو يربط حزام سرواله. لا بد أن الشمس قد غابت خلف المنازل، لأنها لم تعد تشرق على الساحة التي ابتلت احجارها كأنها قد غسلت لتوها. شعر أن السماء قد غسلت أيضاً لأن الزرقة التي ظهرت من بين أنابيب المداخل كانت نقية وشاحبة جداً. وكانت المرأة تروح وتغدو دون تعب أو كلال، تحبس انفاسها ثم تطلقها، تغني حيناً وتصمت حيناً آخر، تشبك فوطاً على حبل الغسيل، وفوطاً اكثر واكثر. تساءل ما اذا كانت تقوم بالغسيل كوسيلة لكسب الرزق، أو أنها كانت مستعبدة لعشرين او ثلاثين حفيداً. انضمت جوليا إليه ووقفا يحملقان بشيء من الافتتان بالشكل البشري القوي البنية. وبينما كان ينظر الى جسمها المميز، والى ذراعها الغليظتين وهما يرتفعان الى الحبل، والى ردفها البارزتين الشبيهتين بأرداف الفرس، خطر له ولاول مرة أنها كانت جميلة. لم يخطر له من قبل أبداً ان جسم امرأة في الخمسين من العمر، كبر وتضخم الى أحجام هائلة بفعل الحمل، ثم قسا واخشوشن بسبب العمل حتى أصبح مثل اللفتة التي نضجت، اكثر مما ينبغي، يمكن ان يكون جميلاً، ولكنه كذلك. ولم لا؟ فكر ونستون. ان الجسم الصلب الذي ليس له

شكل، مثل كتلة الصوان، والجلد الاحمر الخشن، يحملان نفس الصلة لجسم أية فتاة كما يحمل ثمر الورد البري للورده. فلماذا تعتبر الثمرة أقل شأنًا من الزهرة؟

(انها جميلة) تتمم ونستون.

قالت جوليا: (ان عرضها عند الوركين متر من غير ريب).

فأجاب ونستون: (ان جمالها يكمن في ذلك). أحاط خصر جوليا الطري بذراعه بسهولة وقد التصق جنبها من الورك حتى الركبة بجنبه. لن يولد من جسديهما طفل أبدا. ذلك هو الشيء الوحيد الذي لا يمكنهما عمله البتة. بإمكانهما تبادل السر بالنطق فقط، من عقل لعقل. لم يكن للمرأة التي في الاسفل عقل، كان لها ذراعان قويان وقلب دافىء، وبطن ولود فحسب. وتساءل كم طفلا أنجبت. من المحتمل أن تكون قد أنجبت ١٥ طفلا بسهولة. لا بد وأنها قد مرت بفترة ازدهار قصيرة. ربما سنة واحدة من جمال يشبه جمال الوردة البرية، ثم انتفخت فجأة مثل فاكهة ملقحة، ثم أصبحت قاسية وحمراء وخشنة، وبعدئذ أصبحت حياتها عبارة عن غسل وكي، وتنظيف بالفرك وغسل وكي لاولادها أولا، ولاحفادها من بعدهم لأكثر من ثلاثين سنة متواصلة. وفي النهاية كانت ما تزال تغني. وبطريقة ما امتزج الاحترام المبهم الذي شعر به تجاهها مع السماء الصافية الشاحبة الممتدة الى ما وراء أنابيب المداخن الى مسافة لا متناهية. من الغريب أن يعتقد المرء أن السماء واحدة لكل انسان، في أوراسيا أو في استاسيا وهنا ايضا، وأن الناس تحت السماء متشابهون كثيرا - وان مئات الالوف من ملايين الناس، في كل مكان، من العالم يجهلون، مثل هذا الشعب تماما، وجود بعضهم بعضا، معزولون عن طريق جدران من الكراهية والاكاذيب، ومع ذلك فانهم متشابهون تقريبا - أناس لم يتعلموا أبدا كيف يفكرون، ولكنهم كانوا يختزنون في قلوبهم وبطونهم وعضلاتهم القوة التي ستطيح بالعالم. في يوم ما. ان كان هناك أمل فانه يكمن في طبقة العمال. (ومن غير أن يقرأ الكتاب الى آخره، أدرك أن هذه يجب أن تكون رسالة جولد ستاين الاخيرة). ان المستقبل في أيدي العمال. وهل بوسعنا ان يتأكد من أنه عندما يجيء دورهم لن يكون العالم الذي أقاموه غريبا عنه، كعالم الحزب؟ نعم، لأنه سيكون على الاقل عالم يتميز بسلامة العقل، فحيث توجد المساواة

تكون العقلانية. سوف يحدث ذلك ان عاجلا أو آجلا. وسوف تتحول القوة الى وعي. العمال هم الخالدون، وعندما ينظر المرء الى ذلك الشكل البشري الشجاع في الساحة لا يستطيع ان يشك في ذلك. ستأتي نهضتهم في النهاية، وحتى يحدث ذلك، مع أنه قد يحتاج الى ألف سنة، فأنهم سوف يقفون أحياء مستعدون لجميع الخلافات، مثل الطيور، تنقل القدرة على الحياة والنماء من شخص لآخر، وهو الشيء الذي لم يشارك الحزب فيه ولم يقدر ان يقضي عليه.

سال ونستون جوليا: (هل تذكرين الدج* الذي غرد لنا في أول يوم التقينا فيه في طرف الغابة؟)

أجابت جوليا: (لم يكن يغرد لنا، كان يغرد ليعمد نفسه. لم يكن يغرد لهذا السبب. كان يغرد فحسب).

غردت الطيور وغنى العمال. ولكن الحزب لم يغن. في جميع أنحاء العالم، في لندن ونيويورك، في أفريقيا والبرازيل، وفي البلاد الممنوعة التي تكتنفها الاسرار وراء الحدود، في شوارع باريس وبرلين، في قرى السهل الروسي اللامتناهية، في أسواق الصين واليابان، وفي كل مكان، انتصب الشكل البشري القوي الذي لا يقهر، وقد تضخم بفعل العمل والحمل، يكدح من المهد الى اللحد، وما يزال يغني، ولا بد أنه سيأتي في يوم ما سلااة حية الضمير واعية من تلك الاعضاء التناسلية القوية. أنتم الأموات والمستقبل لهم، ولكن بوسع المرء أن يسهم في ذلك المستقبل اذا ما حافظ على عقله نشيطا متقدما كما حافظ العمال على أجسادهم، وكما نقلوا العقيدة السرية ان اثنين زائد اثنين تساوي أربعة.

قال ونستون: (نحن الأموات).

كررت جوليا مقالة ونستون باحترام: (نحن الأموات).
(أنتم الأموات) قال صوت قاس من خلفهما.

* السمعة

قفزا بعيدا عن بعضهما، وقد تراءى لوبستون أن أحشائه قد تحولت الى جليد، واستطاع أن يرى البياض يحيط بحقتي عيني جوليا وقد تحول وجهها وشحب حتى أصبح أصفر باهتا، وظهرت مسحة أصغر الخضور على كل من وجنتيها بوضوح كأنها لا تمت للجلد الذي تحتها بصلة.

(أنتم الأموات)، كزر الصوت القاسي.
(انه خلف المورة) همست جوليا.

قال الصوت: (انه خلف المورة. امكنا حيث انتما تماما، ولا تتحركا حتى تصدر لكما الاوامر بذلك).

ابتدا الشيء، وأخيرا ابتداء؛ لم يكن بوسعهما عمل أي شيء عدا الوقوف والتحديث في عيني بعضهما البعض. لم يخظر لهما الهروب طلبا للنجاة، ان يتركا المنزل قبل فوات الاوان. لم يتصورا ان يعصيا الموت الحديدي الصادر من الجدران. سمعت حركة سريعة خاطفة كأنها صوت رجوع مزلاج سقاية، ثم صوت تحطم زجاج. وقد وقعت المورة على الارض كاشعة الشاشة التي خلفها.

قالت جوليا: (بوسعهم رؤيتنا الآن).
قال الصوت: (يمكننا ان نراكما الآن، قفا في وسط الغرفة ظهرا لظهرا.
ضعنا ايبيكما وراء رأسيكما. لا يلمس أحدكما الآخر).

لم يكونا متلامسين، ولكن تراءى لوبستون أن بوسعهم أن يشعرا بارتجاف جسم جوليا، او قد يكون ارتجاف جسده هو ليس غير. استطاع ان يسيطر على أسنانه بمنعها من الاصطكاك، أما ركبته فقد كانتا فوق السيطرة. سمع وطء أقدام منتعلة الجزم في الاسفل، داخل البيت وخارجه، وبدت الساحة ممتلئة بالرجال. كان هناك شيء يسحب فوق الحجارة، وقد توقف غناء المرأة فجأة، وسمع رنين طويل هادر كأن حوض الغسيل قد قذف بقوة فوق الساحة، تلا ذلك صيحات غاضبة أحدثت شيئا من الفوضى والاباك انتهت بصرخة ألم.

قال ونستون : "إن البيت محامر"

قال العموت: ان البيت محامر .

سمع جوليا وهي تصر على استئنها. (اعتقد ان علينا ان نقول وداعا)
قالت جوليا.

قال العموت: (يستحسن ان تقولوا وداعا) . وعندئذ قاطع الحديث صوت
آخر مختلف تماما، صوت رفيع تراءى لونيستون انه قد سمعه من قبل،
وقال: (وبالمناسبة، طالما نحن في صلب الموضوع: هذه شمعة لتضيء الطريق
الى السير، وهذا ساهلور ليقطع رأسك عن جسدي!)

تحطم شيء ما على السرير الذي كان خلف ونستون. لقد دفع الجزء
الاعلى من السلم من خلال النافذة بقوة فجّر معها اطارها لان أحدهم كان يتسلق
السلم ليدخل منها. سمعت حركة أقدام جماعية على الدرج، وامتلأت الغرفة
برجال أقوياء يرتدون بزات سواد، وجزم مزودة بحدوات حديدية، يحملون
هراوات في أيديهم.

لم يعد ونستون يرتجف حتى أنه لم يحرك عينيه. شيء واحد كان يهمه:
ان يطال ساكنا، حتى لا يعطيهم المبرر للضرب. وقف قبالة رجل يشبه فكه
الاسفل فك ملاكم محترف، كان فمه عبارة عن شق طولي في هذا الفك، وقف
يوازن هوارته بين الابهام والسبابة وهو مستغرق في التأمل. كان الاحساس
بالعري، ويدا المرء خلف رأسه، ووجهه وجسده مكشوفين تماما، أمرا لا يطلق
مد الرجل رأس لسانه الابيض ولحس المكان المفروض ان تكون فيه شفتاه، ثم
مر. وسمع صوت تحطم آخر. لقد تناول أحدهم مقبلة الورق الزجاجية عن
المنضدة وحطمها على جانب الموقد اربا اربا.

تدحرجت قطعة المرجان، التي كانت عبارة عن قطعة صغيرة وردية اللون
مغضنة شبيهة ببرعم وردة من السكر على كعكة ما، تدحرجت على مساحة

الارجل. ما اصغرها، فكر ونستون، كم كانت صغيرة دائما ! سمع ونستون لهاثا وصوتا مكتوما خلفه، ثم تلقى ركلة عنيفة على كاحله جعلت توازنه يختل. وسدد احد الرجال ضربة عنيفة لقم معدة جوليا جعلتها تلتوي مثل مسطرة جيب، وتقلب على الارض وهي تكافح من أجل التنفس. لم يجرؤ ونستون أن يدير رأسه قيد مليمتر واحد ، ولكن كان وجهها الشاحب الازرق يقع احيانا ضمن دائرة رؤيته الجانبية مما جعله يحس، رغم خوفه الشديد، كان الألم في جسده هو، الألم المفرد المमित الذي كان ، برغم ذلك، أقل الحاحا من الصراخ لاستعادة تنفسها. كان يعرف ماهية ذلك الألم: انه الألم المبرح الذي لا يحتمل بسبب شدته والذي يشعر المرء به مليئة الوقت، ولكنه لا يعانيه بعد، لان المقذرة على التنفس كانت أهم من أي شيء آخر. وبعد ذلك رفعها رجلا من الركبتين والكتفين، وحملها خارج الغرفة كما لو كان يحملان كيسا. لمح ونستون وجها مقربا رأسا على عقب ملتوي القسمات شاحبا، وعينين مغلقتين، ومسحه من احمر الخدود ما تزال على كل وجنة من وجنتيها. وكانت تلك آخر ما رآه منها.

وقف ساكنا تماما. لم يضر به أحد حتى الآن، وأخذت الافكار غير الممتعة تمر في خاطره تلقائيا. تسمى ان يعرف ما اذا قبضوا على السيد شارنغتون وماذا فعلوا بالمرأة التي في الساحة. شعر أنه بحاجة الى التبول على نحو طمخ، واستغرب قليلا لأنه فعل ذلك قبل ساعتين او ثلاث. لاحظ أن الساعة التي على رف المسترقد كانت تشير الى التاسعة، يعني الحادية والعشرين، ولكن الضوء كان قويا جدا لذلك الوقت، ألا يحجز الضوء عادة في الساعة الحادية والعشرين مساء في شهر آب؟ وتساءل ما اذا كان وجوليا قد أخطأ في معرفة الوقت وناما اثنتي عشرة ساعة، فلنا منهما أن الوقت كان النصف بعد العشرين بينما كان في الحقيقة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي، لكنه لم يتابع الفكرة اكثر لأنها لم تكن ذات أهمية.

سمعت خطوة أخرى خفيفة في الممر، ودخل السيد شارنغتون الى الغرفة، وفجأة أصبح سلوك الرجال ذوي البرزة السوداء أكثر خضوعا، كما تغير شيء ما في مظهر السيد شارنغتون. وقعت عيناه على شطايا مقالة الورق الزجاجية، فقال بحدّة:

(ارفع هذه الشماطيا)

انحنى أحد الرجال لتنفيذ الامر ولاحظ ونستون ان اللهجة الكركنية* التي كان السيد شاريفتون يستعملها قد اختلفت: وأدرك فجأة من هو صاحب الصوت الذي سمعه من الشاشة قبل لحظات قليلة. كان السيد شاريفتون ما يزال يرتدي جاكيتيه المخملي القديم، ولكن شعره الذي كان أبيض تقريبا، قد تحول الى اللون الأسود، كما أنه لم يكن يضع نظارته. ألقى على ونستون نظرة حادة فقط كأنه أراة التحقق من هويته، لم يعره أي اهتمام بعدها. كان التعرف عليه وتمييزه ما يزال ممكنا، ولكنه لم يكن نفس الشخص الذي عرفه ونستون، فقد اعتدل جسمه وبدا وكأنه أصبح أكبر من ذي قبل. كان وجهه قد خضع لتغييرات طفيفة بالغة المعنى، ولكنها مع ذلك أحدثت تحولا كاملا، ان أصبحت الحواجب السوداء أقل كثافة، واختفت التجاعيد، كما تغيرت خطوط الوجه جميعها، وحتى الأنف بدأ أقصر مما كان عليه. أصبح وجهها يقظا نشيطا، غير ودي لرجل في حوالى الخامسة والثلاثين من العمر.

وخطر لوستون أنه كان ينتظر، ولأول مرة في حياته، الى عضو من أعضاء بوليس الفكر بالبراك ووعي

* لهجة أبناء أفقر أحياء لندن.

الجزء الثالث

١

لم يدر ونستون أين هو، من المحتمل أن يكون في وزارة الحب، ولكن ليست هناك وسيلة للتأكد. كان في زنزانة عالية السقف خالية من النوافذ، جدرانها من الخرف المصيني الأبيض اللامع، يغمرها ضوء خافت من مصابيح غير ظاهرة، فيها صوت منخفض له طنين متواصل اعتقد أن له علاقة بالجهاز الذي يزود الزنزانة بالهواء، وعلى طول الجدار مقعد أو رف يتسع للجلوس عليه مفعول بالباب فقط، وفي الطرف المقابل للباب مرحاض بدون مقعد خشبي، وفيها أربع شاشات واحدة في كل جدار.

أحسّ بألم خفيف متواصل في بطنه ابتداءً منذ أخذوه على وجه السرعة في الشاحنة المقفلة ومغروا به، غير أنه كان جائعا أيضا، ذلك النوع المزعج وغير الصحي من الجوع. قد تكون قد مضت أربع وعشرون أو ست وثلاثون ساعة منذ أن تناول الطعام لآخر مرة. لم يدر ما إذا كان الوقت صباحاً أو مساءً عندما ألقوا القميص عليه، ومن المحتمل أنه لن يعرف أبداً، ولكنه لم يطعم منذ ذلك الحين.

جلس على المقعد الضيق ساكناً بقدر ما يستطيع ويدها معقودتان فوق ركبتيه، لأنه قد تعلم الجلوس هادئاً حتى لا يصرخون عليه من المشاهة إذا ما قام بحركات غير متوقعة، غير أن الرغبة القوية للطعام كانت تكبر وترزاه. كان يتوق، قبل كل شيء، إلى قطعة من الخبز، وصوت له الجوع أن في جيب سرواله كسرات قليلة منه، بل قد تكون هناك كسرة كبيرة من الخبز اليابس. خطر له ذلك لأن شيئاً ما كان يدغغ ساقه من وقت لآخر محدثاً وخزاً فيها وفي النهاية تغلب الاغراء على احساسه بالخوف كي يكتشف الحقيقة فدرس يده في جيبه.

(سميت) صرخ صوت من المشاهة:

(سميت ونستون رقم ١٦٠٧٩ يجب أن تكون الأيدي خارج الجيوب في الزنزانات) .

جلس ساكننا للمرة الثانية ويدها معقورتان فوق ركبتيه. قبل أن يحضروه الى هنا المكان، كان قد أخذ الى مكان آخر لا بد أنه سجن عادي، أو سجن محلي مؤقت يستخدمه العسس. لم يعرف كم من الوقت قضى هناك، بضع ساعات على أية حال.

من الصعب تقدير الوقت في غيات ساعات حائط ويبدون ضوء النهار. كان مكانا كرية الرائحة يملؤه الضجيج، وقد وضعوه في زنزانة شبيهة بزنازنته الحالية، ولكنها قذرة نتنة ومزحةمة بعشرة أو خمسة عشر انسانا في جميع الأوقات، غالبيتهم من المجرمين العاديين، غير أن بينهم عدد قليل من السجناء السياسيين. جلس صامتا تجاه الحائط مستندا الى الأجسام القذرة، مشغول البال بالخوف والألم الذي في بطنه لدرجة جعلته لا يعير ما يحيط به كبير اهتمام، ولكنه مع ذلك لاحظ الفرق المذهل بين سلوك السجناء من أعضاء الحزب وسلوك الآخرين. كان السجناء من أعضاء الحزب دائمي الامتسا لأي انسان، يوجهون الاتهامات الى الحراس، ويقاومون بعنف كلما حجزت ممتلكاتهم، ويكتنون كلمات قذرة فاحشة على الأرض، ويأكلون طعاما مهربا يخرجه من مخابيه سرية في ملابسهم، حتى أنهم كانوا يصرخون في وجه الناشئة كلما حاولت اعادة النظام الى الزنزانة. ومن ناحية أخرى بدأ لو نستون أن بعضهم على علاقة جيدة مع الحرس، ينادونهم بألقاب تدعو للتعجب، ويحاولون الحصول على السجائر من فتحة المراقبة التي في الباب عن طريق التملق. وكان الحراس بدورهم يعاملون المجرمين العاديين بشيء من الصبر واللين، حتى عندما يضطرون لقيادتهم بصورة خشنة وقاسية. كان يهور الكثير من الحديث عن معسكرات العمل الازامي التي يتوقع معظم السجناء أن يرسلوا اليها. استنتج ونستون أن الوضع في هذه المعسكرات جيد ما دام للمرء اتصالات حسنة وما نام يعرف الشروط والقواعد الخاصة بها. هناك رشوة، ومحسبية، وابتزاز مال بالتهديد من كل نوع وصنف، كما أن هناك شذوذا جنسيا وبغاء، وكحولا محرمة مستخرجة من البطاطا. وكانت مراكز الثقة تعمل للمجرمين العاديين فقط، خصوصاً رجال العمبات والقتلة الذين يشكلون مجموعة أرستقراطية ذات امتيازات. أماالسياسيون فهم الذين يقومون بجميع الأعمال الحقيرة.

كان السجناء من كل نوع يجيئون ويذهبون باستمرار: من بائعي مخفورات متجولين، ولصوص، وقطاع ملرق، وتجار يتعاملون البيع والشراء في السوق السوداء، وسكيرين ومومسات. وكان بعض مدمني المسكرات من العلف يمكن أنه كان على السجناء الآخرين أن يتضاموا لوضع حد لعنفهم. وحدث مرة أن حمل حمام امرأة ضخمة في حوالى الستين من العمر، ذات ثدين كبيرين متمايلين، وخصلات كثيفة من الشعر الأشيب الذى انسدل الى أسفل أثناء مقارمتها للحراس الأربعة الذين أمسكوا بها وهي تركل وتمرخ من كل جانب من جوانبها الأربعة. نزعوا الخزمة التى حاولت ركلهم بها بقوة وألقوها في حفن ونستون محطمين عظام فحذيه تقريبا. رفعت المرأة نفسها وانتميت، وفي طريقهم الى الخارج صرخت قائلة: (يا زناديق! يا أبناء الزنا!) عندها انسلت من على ركبتي ونستون الى المقعد، وقد لاحظت أنها كانت تجلس على شيء غير مستو.

(أرجو المعذرة، يا عزيزى) قالت ثم تابعت: (ما كنت لأجلس عليك لو لا أن هؤلاء التفاهين وضعوني هناك. انهم لا يعرفون كيف يعاملون سيده، أليس كذلك؟) وتوقفت مؤقتا وربت على صدرها وتجمأت، ثم قالت: (أرجو المعذرة. انني لست في حالتي الطبيعية تماما).

انحنت الى الامام وتقيأت على الأرض بغزارة.

(هذا أفضل)، قالت ذلك وهي تميل الى الراء وعينها مغمفتان ثم

تابعت: (لا تبقيه في داخلك أبدا، هذا ما أعتقد. أخرجه بعد فترة قصيرة على وجوده في معدتك).

واستعادت نشاطها، واستدارت لتلقي نظرة أخرى على ونستون، وقد بدأ أنها حالت اليه تورا. أحاطت كتفه بضراع ضخمة وجذبتة اليها ورائحة البيرة والتقيؤ في وجهه.

وسألت: (ما اسمك، يا عزيزى ؟)

فأجاب ونستون: (سميث).

فقالت المرأة: (سميث. هذا غريب، ان اسمي سميث أيضا) وأضافت بركة: (قد

أكون أمك!)

وفكر ونستون: (قد تكون أمه. لم تكن في العمر المناسب فحسب، بل وفي بنية الجسم، كما أنه من المحتمل أن يتغير الناس بعض الشيء بعد قضاء عشرين سنة في معسكر العمل الالزامي).

لم يكن قد كلمه أحد آخر. كان المجرمون العاديون يتجاهلون السجناء من الحزب الى حدّ مذهل ينادونهم "السياسيون" بنوع من الاحتقار غير متأثرين بدوافع شخصية، وكان السجناء من الحزب يخافون من التحدث مع أي انسان، وفوق الجميع كانوا يخشون التحدث مع بعضهم بعضا. مرة واحدة فقط سمع على وجه التخصيص ذكر شيء يسمى غرفة ١٠١ لم يفهمه.

قد يكون قد أحضر الى هنا قبل ساعتين أو ثلاث. لم يخفف الألم الخفيف الدائم في معدته، ولكنه كان يتحسن أحيانا ويشد أحيانا أخرى، وكانت أفكاره تتفاعل وتتقبض تبعا لذلك. فعندما يشد الألم، لا يفكر الا بالألم ذاته وبرغبته في الطعام، وكلما خفّ الألم استولى عليه الرعب. وكانت تمرّ به لحظات يتنبأ خلالها بالأشياء التي سوف تحصل له بواقعية كبيرة فتجعل قلبه يندق بعنف وتنفسه يتوقف. كان يحسنّ وقع الهزوات العنيف على مرقبيه، وضرب الجزم المزودة بحدوات حديدية على قمبتي ساقيه، تخيل نفسه وهو ينبطح متثالا على الأرض، يصرخ طالبا الرحمة من خلال أسنانه المهشمة. نادرا ما فكر بجوليا ولم يستطع تركيز فكره عليها. كان يحبها ولن يفخنها، وهذه حقيقة فحسب، يعرفها كما يعرف قواعد وقوانين الحساب. لم يشعر بأيّ حب لها ونادرا ما تساءل ماذا حدث لها. كان يفكر بأوبرين أكثر تحدوه ومضات خائفة من الأمل. لا بدّ وأن أوبرين عرف أنه قد ألقى القبض عليه. كان قد قال له أن منظمة الاحياء لا تحاول أبدا أن تنقذ أعضائها، غير أن موسى الحلاقة موجودة، وسوف يرسلونها أن وجدوا لذلك سبيلا. قد تمضي خمس ثوان قبل أن يكون يوسع الحارس أن يندفع الى الزنزانة. سوف تمرّقه موسى الحلاقة وتوجهه ايجاعا شبيها باجاع البرد القارس، وحتى الأصابع التي تمسكها سوف تمزق حتى العظم. عاد كل شيء لجسمه العليل الذي كان يرتجف خوفا من أقل ألم. لم يكن واثقا من أنه سوف يستعمل موسى الحلاقة حتى لو سئمت له الفرصة. لأن يحيا المرء من لحظة لأخرى وهو راض بعشرة دقائق أخرى من الحياة حتى وهو واثق من أن التعذيب يترصده في نهايتها، أكثر ملائمة للظفرة الطبيعية للانسان.

كان ونستون يحاول أحيانا احماء القرميدات الخزفية التي على جدران الزنزانة. لا بد أن عدما أمر سهل، غير أنه كان دائما يغلط في العد عند وصوله لنقطة أو لأخرى، وكثيرا ما تسأل عن مكان وجوده وعن الوقت من ذلك النهار. كان يعتقد أحيانا أن الوقت في الخارج هو وضع النهار، وفي اللحظة التالية، وينفس المقدمار من الثقة كان يعتقد أن الظلام دامس في الخارج. عرف بالغيرة أن الأنوار لا تطفأ أيضا في هذا المكان، انه المكان الذي لا ظلام فيه. أدرك الان لماذا فهم أوبرين الإشارة الضمنية. لا توجد في وزارة الحب ثرافة، وقد تكون زنزانته في قلب البناء، أو في محاذاة جداره الخارجي، وقد تكون في المطابق العاشر تحت الأرض أو في الدور الثلاثين فوقها. انتقل من مكان لآخر، وحاول أن يقرر عن طريق احساس جسده ما انا كان يقيم عليا في الجو، أو مدفونا تحت الأرض.

سمع وقع أقدام في الخارج، وفتح الباب الفولاذي مطلقا رنينًا، ودخل منه بخفة وأناقة ضابط شاب ، في بزة سوداء مزكّشة، يلعب كله بسبب الجلد اللامع الممقول، وكان وجهه الشاحب ذو القسمات المستدقة يشبه قناعا من الشمع. أشار الى الحرس في الخارج أن يدخلوا السجنين الذي كانوا يقودونه. ومشي الشاعر أمبلفورت منتقلا الى الزنزانة، وأغلق الباب ثانية محدثا صوتا.

قام أمبلفورت بحركة أو حركتين غير محددتين من جهة الى أخرى كأنما كانت لديه فكرة أن هناك بابا آخر للخروج، ثم أخذ يتجول في الزنزانة جيئة وذهابا. لم يكن قد لاحظ وجود ونستون بعد. أخذت عيناه القلقتان تحماقتان في الجدار الذي كان أعلى من مستوى رأس ونستون بمتر واحد تقريبا. كان حافي القدمين، وقد برزت أصابع رجليه الكبيرة القفزة من ثقب في جواربه. لم يكن قد حلق ذقنه منذ عدة أيام، وقد غطت وجهه حتى عظامتي وجنتيه لحية قصيرة أكسبته مظهرا وحشيا لم يتسجم مع هيكل جسده الكبير الضعيف وحر كانه العمجية المتوترة.

أيقظ ونستون نفسه من نعاسه، يجب أن يتحدث مع أمبلفورت ويعترض نفسه للمصراخ من الشاشة. يمكنه أن يتصور أن أمبلفورت هو الشخص الذي يحصل موسى الحلاقة.

(أمبلفورت) قال.
لم تبدر رؤية صرخة من الشاشة. تردد أمبلفورت مجفلا قليلا، ثم تركزت
عيناه بأناة على ونستون. وقال:
(أه، سميث! وأنت أيضا!)
(لماذا ألقى القبض عليك؟)
(أقول لك الحقيقة) وجلس على المقعد المقابل لونستون على نحو غير
ملائم وقال: (توجد اساءة واحدة فقط. أليس كذلك؟)
(وهل اقترفتها؟)
(من الواضح انني قد فعلت).
وضع يده على جبهته وضغط على فؤديه لبرهة وجيزة، كأنه يحاول أن
يتذكر شيئا.

أخذ يقول والغموض يكتنف كلماته: (أن هذه الأشياء تحدث. أستطيع أن
أتذكر مثلا واحدا محتملا. كان عملا طائشا بالتأكيد. كنا نقوم بانتاج نسخة
محددة من أشعار كبلنج، وتركت كلمة الله في نهاية أحد الأبيات. لم أستطع
منع نفسي من ذلك!) وأضاف بسخط تقريبا، وهو يرفع رأسه لينظر الى
ونستون: (كان من غير الممكن تغيير البيت لأن القافية كانت رود (عصا،
قضييب) . هل تعلم أن في اللغة جميعها اثنتا عشرة كلمة لا غير تنسجم مع
كلمة رود؟ لقد أجهدت عقلي لعدة أيام فلم أجد كلمة أخرى).

تغير التعبير الذي على وجهه، وزال الغضب والانزعاج ليحل محلها الرضا
والسرور لفترة وجيزة. وتألق من خلال القذارة والشعر القصير الرديء نوع من
الحماس الفكري، فرح المعلم المتحذلق الذي اكتشف حقيقه عديمة الجدوى.

وسأل: (هل خطر لك في حياتك أن تاريخ الشعر الانجليزي جميعه قد
حددت صفاته مقدما بحقيقة ان اللغة الانجليزية تنقصها القوافي؟)

كلا، لم تكن تلك الفكرة الهامة قد خطرت لونستون قط، كما لم يدر
بخلده أنها مهمة جدا أو أنها مثيرة الاهتمام، في هذه الظروف.

وسأل: (هل تعرف في أى وقت من اليوم نحن؟)
بدا على أمبلفورت الخوف للمرة الثانية، وقال: (نادرا ما فكرت بذلك.
امتعلقوني - من الممكن قبل يومين - أو ربما ثلاثة) . ومرت عيناه على جدران
الزناينة بسرعة كأنه كان يتوقع أن يجد نافذة في مكان ما. (لا يوجد فرق
بين الليل والنهار في هذا المكان. لست أدرى كيف يستطيع المرء أن يحسب
الوقت) .

تحدثا بصورة متقطعة لبيع دقائق، ثم ومن غير سبب واضح، أمرتهما
صبيحة من المشاشة بالتزام الصمت. جلس ونستون بهدوء وبنهاه متشابكتان أما
أمبلفورت، الذى كان أفخم من أن يجلس مرتاحا على المقعد الضيق، فقد
تعامل بعصبية من جهة لأخرى شابكا يديه اللحيبتين حول احدى ركبتيه تارة
وحول الأخرى تارة أخرى. وجاءه من المشاشة صوت عال شبيه بالنباح يأمره أن
يبقى ساكنا لا يتحرك. ومرة الوقت عشرون دقيقة، ساعة - كان من الصعب أن
يقف. وسمع وقع أقدام في الخارج للمرة الثانية، فانقبضت أحشاء ونستون.
قرريبا جها، قد يكون في غضون خمس دقائق، وقد يكون الآن، سوف يعنى وقع
الاقدام أن دوره قد حان.

انفتح الباب ودخل الزناينة الضابط الشاب صاحب الوجه البارد الرزين،
وبحركة قصيرة من يده أشار الى أمبلفورت قائلا: (الى العرفة ١٠١) .

مشى أمبلفورت بين حراسه بطريقة تعوزها الرشاقة، وكان وجهه قلقا
بصورة غامضة، ولكنه لم يكن واعيا.

مضى وقت تراءى لو نستون أنه طويل، وقد عاد الألم الذى في بطنه. كان
عقله ينساق نحو تسلسل الأحداث ذاتها مثل الكرة التى تسقط المرة تلو المرة
في نفس السلسلة من الفتحات الضيقة. كانت لديه ستة امتحانات فقط: الألم
الذى في بطنه، وكسرة من الخبز، والدّم والصراخ، وأوبرين، وجوليا، وموسى
الحلاقة. شعر بتقلص آخر في أحشائه عندما سمع الخطوات الثقيلة تقترب.
وعندما فتح الباب، حملت موجة الهواء التى أهدتها تلك رائحة قوية من العرق
البارد. سار بارسونز نحو الزناينة يرتدى بنظالا قصيرا من الكاكي وقمصما
رياضيا.

رَوَّع ونستون هذه المرة لدرجة نسي معها نفسه، وقال: (أنت هنا!)

ألقى بارسونز نظرة عجلى على ونستون خاليه من أي اهتمام أو استغراب، ولكنها مفعمه بالتعاسه، وأخذ يسير زهابا واياها في حالة من التشنج والارتجاج. كان من الواضح أنه غير قادر على أن يبقى ساكنا. وكلما حاول السيطرة على ركبتيه القصيرتين المكتنزتين بجعلهما مستقيمتين، جعلتا ترتجفان بوضوح. كانت في عينيه نظرة متفرسة واسعة الى مدى بعيد كأنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التحديق في شيء ما في منتصف المسافة.

سأله ونستون: (لماذا ألقى القبض عليك؟)

(بتهمة الجريمة المبيتة!) قال بارسونز وهو ينتحب تقريبا. تضمنت نبرة صوته اعترافا كاملا بذنبه، ونوعا من الرعب المعبر عن الشك في أن مثل هذه الكلمة يمكن أن تنطبق عليه. وقف مترددا قبالة ونستون وأخذ يناشده بتلطف: (هل تعتقد أنهم سيرمونني بالرصاص؟ هل تعتقد أنهم سيفعلون، يا رجل؟ أنهم لا يطلقون الرصاص على المرء اذا لم يفعل شيئا في الواقع - انها مجرد أفكار لا غير، ولا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من السيطرة عليها؟ أعرف أنهم يمنحون المرء تحقيقا عادلا. أه، انني أثق بهم بالنسبة لذلك. سيعرفون سجلي، أليس كذلك؟ انك تعرف أي نوع من الرجال أنا. لست رجلا سيئا حسب طريقتي. من غير ريب أنا لست ذكيا، ولكني متحمس جدا. حاولت أن أبذل قصارى جهدى وأن أعطي أفضل ما عندي للحزب، أليس كذلك؟ سأنجو من العواقب بخمس سنوات من السجن، الا تظن؟ أو حتى بعشر سنوات؟ يستطيع رجل مثلي أن يكون ذا فائدة كبرى في أحد معسكرات العمل الالزامي. لن يرمونني بالرصاص لمجرد أنني خرجت عن الطريق المستقيم مرة واحدة فحسب؟)

سأله ونستون: (هل أنت مذنب؟)

(طبعا أنا مذنب!) صاح بارسونز وهو يلقي نظرة متذلة على الشاشة. (لا تعتقد أن الحزب يعتقل رجلا بريئا، أليس كذلك؟) أصبح وجهه الشبيه بوجه الضفدع أكثر هدوءا، حتى أنه اتخذ مظهرا ينم قليلا عن التقوى، وقال بطريقة واعظة: (ان الجريمة المبيتة أمر مروع أيها الرجل الكبير. انها غادرة

ماكزة، وبرسعها السيطرة عليك حتى دون أن تشعر. أندري كيف سيطرت علي؟ في منامي! نعم، هذه هي الحقيقة. كنت أواصل العمل وأحاول كسب عيشي - ولم أكن أدري أن في عقلي أية مادة سيئة البتة. ثم أخذت أتكلم في منامي، أندري، ماذا سمعوني أقول؟)

وخفض صوته كما لو كان شخصا مضطرا للتلفظ بفحش لأسباب طبية.

(ليسقط الأخ الكبير! نعم، لقد قلت ذلك، ويبدو أنني قلته المرة تلو المرة. بيني وبينك أيها الرجل الكبير، انني سعيد لأنهم قبضوا علي قبل أن يستفحل الأمر. أندري، ما سأقول لهم عندما أمثل أمام القضاء؟ سأقول: أشكركم. أشكركم لأنكم أنقذتموني قبل فوات الأوان).

سأله ونستون: (من الذي يبلغ عنك؟)

فأجاب بارسونز بشيء من الكبرياء الحزينة: (ابنتي الصغيرة. كانت تتخصمت من ثقب المفتاح، وسمعت ما كنت أقول، وانتقلت في اليوم التالي مباشرة الى الحفر بخفة ورشاقة. كان عملا ذكيا جدا بالنسبة لطفلة في السابعة من عمرها، أليس كذلك؟ لا أكن لها أي حقد أو ضغينة لما قامت به، انني في الحقيقة فخور بها، وعملها يدل على أنني ربيتها حسب الطريقة المناسبة القوية على كل حال).

قام بحركات متشنجة وهو يسير ذهابا وإيابا عدة مرات ألقى خلالها نظرة تراقبة على المرحاض، وفجأة أنزل بنماله القصير قائلا:

(أرجو المعذرة أيها الرجل، لا أستطيع أن أتمالك نفسي، انه الانتظار).

ألقى بكفله الكبير في حوض المرحاض بقوة. غطى ونستون وجهه بيديه.

(سميت!) صاح الصوت من الشاشة. (سميت ونستون رقم ١٦٠٧٩ اكشف وجهك، لا تغطى الوجه في الزنانات).

كشف ونستون وجهه. استعمل بارسونز المرحاض بغرارة وبصوت وثبت بعد ذلك أن خلاا كان في الغطاء الأمر الذي جعل الزنانة كريمة الرائحة بشكل يفيض لعدة ساعات فيما بعد.

نقل بارسونز، وجاء سجناء آخرون وذهبوا بطريقة خفية، أرسلت واحدة منهم وكانت امرأة الى الغرفة رقم ١٠١، ولاحظ ونستون أنها ضعفت ونزت وتغير لونها عندما سمعت تلك الكلمات. وجاء وقت فقد فيه ونستون الصلة مع الزمن، فكان اذا أحضر سجين الى الزنزانة في الصباح فلن أنه أحضر اليها بعد الظهر، وانا ما أحضر بعد الظهر، فلن أنه أحضر اليها في منتصف الليل. كان في الزنزانة ستة سجناء من الرجال والنساء يجاسون بهدوء كبير، وقد جلس مقابل ونستون رجل بارز الاسنان لا ذقن له يشبه وجهه تماما وجه حيوان قارض كبير غير مؤذ. وكانت وجته المكترتان المنقطنان ناتعتين في أسفلهما لدرجة يصعب معها عدم الاعتقاد أن لديه مخازن صغيرة للطعام مخبأة هناك. وكانت عيناه الرمادية الفاتحة تمران بخوف من وجهه لآخر، وسرعان ما كان يغض النظر كلما تعلق بصره بعين شخص ما.

انفتح الباب وأحضر سجين آخر الى الزنزانة أعدت مظهره في ونستون قشعريرة خائفة. كان رجلا اعتياديا يوحى مظهره بالخسة، قد يكون مهندسا أو فنيا من نوع ما. كان الشيء المروع هو ضعف وجهه الذي يشبه الجمجمة من شدة هزله الامر الذي جعل الفم والعينين تبدو كبيرة جدا بشكل غير متناسق، كما ظهرت العينان مليئتان بكراهية قاتلة غير قابلة للتهديئة لشخص أو شيء ما.

جلس الرجل على مقعد غير بعيد عن ونستون، ومع أن الاخير لم ينظر اليه ثانية، الا أن صورة الوجه المعذب الشبيه بالجمجمة من شدة هزاله كانت حية في ذهنه كأنه واقف أمام عينيه مباشرة. وفجأة أدرك المشكلة، كان الرجل يموت جوعا. ويظهر أن الفكرة ذاتها خطرت لجميع الذين في الزنزانة في وقت واحد، ان كانت هناك اثارة ضعيفة بين جميع الجالسين على المقعد. ظلت عينا الرجل الذي بغير ذقن تطوف مرتعشة على الرجل صاحب الوجه الشبيه بالجمجمة، ثم تنصرفان بعيدا عنه وهو يشعر بالذنب، ثم تعودان ثانية كأنهما يفعلان ذلك بواسطة جذب لا يقاوم. وفي الحال أخذ يتماثل على مقعده بعمسية، ثم انتصب واقفا وعبر الزنزانة بطريقة خرقاء، ودفع يده في جيب سرواله وقدم قطعة خبز وسخة بخجل وارتنك الى الرجل الهزيل الوجه.

وسمع هدير صاخب مصمم من شدة ضججه من الشاشة الامر الذي جعل الرجل الذي بدون ذقن يجفل وينحرف عن مسلكه. أما الرجل ذو الوجه الهزيل فقد دفع بيديه خلف ظهره كاه يثبت للعالم أجمع أنه يرفض الهبة.

(بمستيد) هدر الصوت. (بمستيد:ج رقم ١٢٧١٢ نع قطعة الخبز تلك تنسقم!)

رمى الرجل الذي بلا ذقن قطعة الخبز على الارض.

(ابق واقفا مكانك) قال الصوت. (أدر وجهك للباب ولا تقم بأية حركة).

أطاع الرجل الاوامر، وقد فقد السيطرة على وجنتيه الناتئتين ولم يستطع منعهما من الارتجاج. فتح الباب محدثا صوتا، وعندما دخل الضابط الشاب وخطا جانبها، ظهر من خلفه حارس قميص بدين، له ذراعان ومنكبان مضمان. وقف أمام الرجل الذي بدون ذقن، وبإشارة من الضابط سدد ضربة عنيفة بكل قوته الى فم الرجل مباشرة، كانت قوتها تقذفه بعيدا عن الارض. سقط على أرض الزلزلة عند قاعدة مقعد المرحاض، حيث استلقى وبرهة وجيزة كأنه فاقد المرواب والدم يتزرف من فمه وأذنه. صدر عنه أنين ضعيف أو صوت قصير حاد كأنه من غير وعي، ثم تكوّر ورفع نفسه مترنحا على يديه وركبتيه. وسقط ملقم أسنانه من فمه وسط سيل من الدم واللعلاب.

جلس بقية السجناء صامتون دونما حراك وأيديهم متشابكة فوق ركبهم. صعد الرجل الى مكانه، وأخذ الجزء الاسفل من أحد جانبي وجهه يضرب الى الزرقة، وقد تورم فمه وصار أشبه بكتلة مشوهة بلون الكرز يتوسطها ثقب أسود. وأخذ دم قليل يرشح على صدر سرواله من حين لآخر، وظلت عيناه الرماديتان تمرتان من وجه لآخر، بشعور من الذنب أكثر من أى وقت مضى، كأنه يحاول أن يكتشف مدى احتقار الاخرين له بسبب خزيه وانزاله.

وفتح الباب، وبحركة صغيرة اشر الضابط الى الرجل ذي الوجه الهزيل الشبيه بالجمجمة، وقال:
(الغرفة ١٠١).

وسمع اضطراب ولهات من ناحية ونستون. طرح الرجل نفسه على ركبتيه ومن ثم على الارض، وقد عقد يدها معا وصاح:
(أيها الرفيق! أيها الضابط! است مضمرا لأخذي الى ذلك المكان! ألم أقل لك كل شيء قبل الان؟ ما الذي تريد معرفته أيضا؟ لا يوجد شيء لم أعترف به، لا شيء! أخبرني فقط ما الشيء الذي تريده وسأعترف به حالا. اكتبه وسأضع توقيعى عليه - أي شيء عدا الغرفة ١٠١)
قال الضابط: (الغرفة ١٠١).

تغير وجه الرجل الذي كان شاحبا في ذلك الوقت وأخذ يضرب نحو الخفيرة، انه بلا ريب لون لم يكن بوسع ونستون أن يصدق امكانية حصوله.
كان بالتأكيد وبشكل واضح ظل من اللون الاخضر.

وصاح: (افعل بي ما تشاء! حرمتوني من الطعام لعدة أسابيع، أجهز علي ودعني أموت. أطلق على النار. اثنقني. احكم علي بالسجن لمدة خمسة وعشرين عاما. هل هناك شخص آخر تريدني أن أروح به؟ أخبروني فقط من هو وسأقول لك ما تريد. لا يهتمني من يكون أو ماذا تفعلون به. عندي زوجة وثلاثة أطفال لم يبلغ اكبرهم السادسة من العمر. بإمكانك اخذهم جميعا وقطع رقابهم أمام عيني، وسوف أقف قريبا وأراقب ما يجري. الا الغرفة ١٠١)
نظر الرجل الى السجناء الاخرين باهتياج شديد كأن لديه خطة لوضع ضحية أخرى مكانه. واستقرت عيناه على الوجه المهشم للرجل الذي بدون نقن ومد نحوه ذراعا تحيلة.

صاح قائلا: (ذلك هو الرجل الذي يجب أن تأخذه ولسن أنا! لم تسمعوا ما قاله بعد أن ضربوا وجهه بعنف. امنحني الفرصة وسأقول لك كل كلمة قالها. انه عدو الحزب ولسن أنا). تقدم الحرس الى الامام، وارتفع صوت الرجل وأصبح زعيقا: (لم تسمعوه!) كثر القول. (طرأ حلال على الشائنة، انه الشخص الذي تريده. خذوه هو، لا أنا).

وعندما انحنى الحارسان القويان كي يمسكا به من الذراعين، رمى بنفسه في تلك اللحظة على أرض الزنزانة وقبض على أحد القوائم الحديدية التي تستند المقعد، واندفع في بناج صامت كالحيوان. أمسك به الحارسان لانتزاعه بالقوة، ولكنه تعلق بالقامة بقوة مذهلة. وظلا يسحبانه لمدة عشرين ثانية في حين جلس السجناء ساكنين وأيديهم معقودة فوق ركبهم ينظرون أمامهم مباشرة. توقف الصراخ، ان لم يبق عند الرجل نفس باستثناء تمسكه بالقامة المقعد بقوة، ثم بدرت منه صيحة من نوع مختلف، فقد كسرت ركلة من جزمة أحد الحرس أصابع إحدى يديه سحبوه بعدها وأوقفوه على قدميه.

قال الضابط: (الغرفة ١٠١).

وسبق الرجل الى الخارج وهو يسير مترنحا ورأسه منخفضة نائلة يرعى يديه المحطمة وقد تلاشت مقاومته.

مر وقت طويل فقد ونستون خلاله الصلة مع الوقت واختلط عليه الامر بحيث أصبح لا يفرق بين الوقت الذي أخذ فيه الرجل صاحب الوجه الهزيل، فإنا ما أخذ في منتصف الليل، ظن ونستون أنه أخذ في الصباح، وإنا ما أخذ في الصباح تصور ونستون أنه أخذ بعد الظهر. كان ونستون وجيدا، وقد ظل وحييا لعدة ساعات. بلغ الألم الذي أحدثه الجلوس على مقعد ضيق من الشدة بحيث أنه كثيرا ما تزل في المكان الذي أسقطها فيه الرجل الذي الناشئة. كانت قطعة الخبز ما تزال في المكان الذي أسقطها فيه الرجل الذي من غير نون. وقد احتاج في بادئ الامر، الى بزل جهد شاق كي لا ينتظر إليها غير أن الجوع قد تراجع أمام العطش في الوقت الحاضر. كان فمه كويه الطعام ببقا، وقد أحدث الطنين والنفوس الأبيض الثابت نوعا من الضعف، شعورا فارغا داخل رأسه. كان يقف لأن الألم في عظامه لم يعد محتملا، ثم يعود للجلوس ثانية لأنه يصاب بدوار شديد يمنعه من التأكد من قدرته على الوقوف على قدميه. وعندما تصبح أحاسيسه الجسدية تحت السيطرة الى حد ما، كان الرعب يعاوده. وكان يفكر أحيانا بأمل، أخذ يتصاعل تدريجيا، بأوبرين وموسى الحلاقة التي تصور أنها قد تصل مخبأة في طعامه، هذا اذا كان سيطعم في أي وقت. وفكر بجوليا ولكن بصورة غامضة اكثر من قبل. ربما كانت تقاسي

اكثر منه في مكان ما. وقد تكون في هذه اللحظة تصرخ من الالم. وفكر: (لو كان بإمكانني أن أنقذ جوليا عن طريق مضاعفة ألمي، فهل سأفعل ذلك؟ نعم، سأفعل). ولكن ذلك كان قرارا عقلانيا لا غير، اتخذته لأنه كان يعرف أن عليه أن يتخذه. لم يشعر به. لا يستطيع المرء أن يشعر بشيء في هذا المكان غير الألم، والمعرفة المسبقة به. وعلامة على ذلك هل من الممكن أن يتمنى المرء وهو يعاني الالم بالفعل أن يزداد ألمه لأي سبب من الاسباب؟ ولكن لا يمكن الاجابة على هذا السؤال بعد.

كان وقع الاقدام يقترب ثانية. وفتح الباب ودخل اوبرين.

وثب ونستون واقفا وقد أنسته صدمة الرؤية كل حذر. ولاول مرة منذ سنوات عدة نسي وجود الشاشة.

صاح قائلا: (هل قبضوا عليك أنت الآخر؟)

فاجاب اوبرين بسخرية مفعمة بالسف تقريبا: (استولوا على منذ وقت طويل). وخطا جانبا، فظهر من وراءه حارس عريض الصدر يحمل في يده مرارة طويلة سوداء.

قال اوبرين: (كنت تعرف هذا يا نستون. لا تخدع نفسك. كنت تعرفه بالتأكيد...وقد عرفته دائما).

نعم، أدرك ذلك الآن. لقد عرفه دائما. ولكن ليس في الوقت متسع للتفكير في ذلك. تركزت عيناه على الهراة التي في يد الحارس. من المحتمل أن تتزل على أي مكان من جسمه: على أعلى الرأس، أو على طرف الاذن أو على الجزء العلوي من الذراع، أو على المرفق - وتزلت على المرفق! وسقط فجأة على ركبتيه، وقد مثل تقريبا، ممسكا بالمرفق المضروب بيده الاخرى. وانفجر كل شيء وأصبح أصفر اللون. لم يكن يصدق أن ضربة واحدة يمكنها أن تسبب مثل هذا الالم! تبعد الضوء واستطاع ان يرى الرجلين الاخرين ينظران اليه، وكان الحارس يضحك على التواء قسما ت وجهه من الالم. لقد أجيب على سؤال

واحد على أية حال. لا يمكن للانسان ان يرغب في زيادة الالم الجسدي لاي سبب أبدا. لا شيء في الدنيا يعادل الالم الجسدي سوءا، ولا يوجد أفعال في وجه الالم، لا يوجد أفعال. فكر عدة مرات وهو يتلوى على الارض من الالم، قابضا من غير جدوى، على ذراعه الأيسر الذي أصيب بالعجز.

٢

كان 'ونستون مستلقيا على شيء له ملمس السريز الصغير الذي يطوى وينقل - سرير من أسرة المعسكرات - الا أنه أعلن عن الارض، ومثبنا بطريقة لا يستطيع التحرك معها. وقد سقط على وجهه ضوء أقوى من الضوء المألوف، ووقف أوبرين بجانبه ينظر اليه بتركيز وامعان، كما وقف في الجانب الآخر رجل يرتدي معطفا أبيض ممسكا بيده محقنة معتة للاستعمال في الزرق تحت الجمل.

استوعب ما يحيط به تدريجيا حتى بعد أن فتح عينيه. كان تحت الانطباع أنه جاء الى هذه الغرفة سباحة من عالم مختلف تماما، من عالم ما تحت الماء بكثير. لم يدر كم من الوقت مضى على وجوده هناك. لم يكن قد رأى الظلام أو ضوء النهار منذ ان اعتقلوه. وفوق ذلك لم تكن ذكرياته متواصلة. مضت عليه اوقات تروق خلالها الوعي تماما، حتى ذلك الوعي الذي يكون عند المرء وهو نائم، ثم عاد اليه ثانية بعد فترة فاصلة من النسيان. لكن لا توجد طريقة لمعرفة ما اذا كانت هذه الفترات أياما أو أسابيع أو ثوان فحسب.

لقدابتأ الكابوس مع الضربة الاولى على المنكب. وفيما بعد كان عليه أن يدرك أن جميع ما حدث أنذاك لم يكن سوى خطوة تمهيدية، استجواب روثيني يخضع له جميع السجناء تقريبا. هناك تصنيف طويل للجرائم - التجسس، التخريب، وما شابه - التي يجب على الجميع أن يعترفوا باقترافها كشيء متوقع بوصفه نتيجة طبيعية أو منطقية. كان الاعتراف اجراء شكليا، ولو أن التعذيب كان حقيقيا. لم يستطع أن يتذكر عدة المرات التي ضرب خلالها، ولا الوقت الذي استغرقت كل مرة. كان عنده دائما خمسة أو ستة رجال من

ذوي البريات السموات يضربونه في أن واحد. وكان الضرب يتم بقبضات اليد أحيانا، وبالهرارات أحيانا، وبقبضين من الحديد أحيانا، وبالجزم أحيانا أخرى، وكانت تمضي عليه اوقات يتدحرج خلالها على الارض بطريقة مخزية كالحيوان، يلوي جسده في هذا الاتجاه او ذاك في محاولة يائسة متواصلة لتفادي الركلات، مشجعا بعمله هذا ركلات اكثر واكثر على أملاءه، وفي بطنه، وعلى مرفقيه وقبضتي ساقيه، وعلى رأس فخذه، وعلى خصتيه، وعلى العظمة التي في أسفل عموده الفقري. وكانت تمر به اوقات يستمر الضرب فيها ويتواصل حتى يتراءى له ان ذاك الضرب القاسي الفطيع الذي لا يمكن الصفح عنه لم يكن لأن الحراس لم يتوقفوا عنه، ولكن لأنه لم يستطع أن يجبر نفسه على فقدان الوعي، وكانت هناك اوقات أخرى كان يشعر فيها أن قوته قد تخلت عنه لدرجة انه كان يصرخ في طلب الرحمة قبل أن يبدأ الضرب، عندما كانت مجرد رؤية قبضة اليد ترتد الى الراء استعدادا لتسديد ضربة كافية لسيل من الاعتراف بجرائم حقيقية وأخرى وهمية. وكانت هناك اوقات أخرى يصمم خلالها على عدم الاعتراف بأي شيء حيث كانت كل كلمة تنتزع منه عنوة من خلال شهادت من الالم، كما كانت هناك اوقات يحاول اثناءها ان يتوصل بضعف إلى تفاهم عن طريق حل وسط، حيث يقول لنفسه: (سوف أعترف، ولكن ليس الآن، ثلاث ركلات أخرى، ركلتان ثانيتان وسأقول لهم بعدها ما يريدون). وأحيانا كان يضرب حتى يعجز عن الوقوف ثم يطرح جانبا على أرض الزنزانة كما يطرح كيس من البعاطا، ويترك لساعات قليلة حتى يتعافى، ثم يؤخذ الى الخارج ويضرب ثانية. وكانت هناك أيضا فترات اطول من أجل الشفاء تذكرها بضعف وغموض لأنها كانت تمر في الأغلب اما في نوم او في غيبوبة. تذكر زنزانة يسرير خشبي - نوعا من انواع الرفوف البارزة من الجدار - ومفصلة من الصفيح، ووجبات من الحساء الساخن والحيز، والقهوة أحيانا. تذكر حلاقا فظا جاء ليحلق نقنه ويقص شعره، كما تذكر رجلا جديين لا شفقة لديهم يرتدون معاطف بيضاء يجسون بضمه، ويضربون على مفاصله ضربا خفيفا حتى يختبروا مقورتها على الاستجابة اللاإرادية، ويقابلون جفونه الى أعلى، ويسرون أصابع خشنة فوق جسده بحثا عن عظام مكسرة، ويحققونه في ذراعه لتتوهمه.

أخذ الضرب يتناقص وأصبح في معظمه تهديدا ورعبا، يمكن اعدائه اليه في أية لحظة تكون فيها اجاباته غير مرضية. لم يعد معذوبه أشخاصا

متوحشين في بزات سوداء، ولكنهم كانوا مفكرين من الحزب، رجالا قصارا ممتلئي الاجسام سريعى الحركات، يلبسون نظارات لامعة متوهجة، كانوا يستجوبونه بالتناوب على فترات تستمر على امتداد اكثر من عشر ساعات أو اثنتي عشرة ساعة، لم يكن بمقدوره ان يتأكد . كان هؤلاء المستجوبون يتدبرون أمر بقاءه في ألم ثابت طفيف، ولكنهم لم يعتمدوا على الالم في المقام الاول. كانوا يصمغونه على وجهه، ويلوون أذنيه، ويشدون شعره، ويجبرونه على الوقوف على ساق واحدة، ويرفضون السماح له بالذهاب كي يتبول، ويضيقون أنوارا ساطعة في وجهه حتى تدمع عيناه. الا أن الهدف من ذلك كله كان مجرد ازالة وتحطيم قدرته على الجدل والنقاش وعلى التفكير. كان سلاحهم الحقيقي هو الاستجواب القاسي الذي يستمر ساعة بعد ساعة محاولين ايقاعه في الغلط حتى يتلعثم ويزل، وينمبون له الشراك، ويحرفون كل ما يقوله، ويدينونه في كل مرحلة من مراحل الكذب، حتى يأخذ في البكاء ليس من الغزى والخجل فحسب، ولكن من الانهاك والخوف. كان أحيانا يبكي ست مرات في الجلسة الواحدة. وغالبا ما كانوا يوجهون اليه الشتائم بصوت عال ويهددون بتسليمه ثانية الى الحراس عند كل تردد، ولكنهم كانوا أحيانا أخرى يغيرون موقفهم فجأة وينادونه بكلمة رقيق، ويناسونه باسم الاشتراكية الانجليزية وباسم الأخ الكبير، ويسألونه بأسى ما اذا بقي عنده حتى الآن ولاء كاف للحزب يجعله يتمنى أن يempl الشر الذي قام به. وعندما تتلف أعضائه بعد ساعات من التعذيب والاستجواب، كانت هذه المناشدة تضعفه لدرجة تؤدي به الى البكاء والعيول. وفي النهاية كانت تلك الاموات المضايقة تحمله تماما اكثر من أحنة الحراس وقبضات ايديهم. أصبح مجرد فم ينطق، ويد توقع على كل ما يطلب منه. كان همه الوحيد هو معرفة ما يريهون منه أن يعترف به، فيعترف به بسرعة قبل أن يبدأ التهديد والارهاب من جديد. اعترف بافتعال أعضاء بارزين في الحزب، وبتوزيع منشورات تحرض على الفتنة، وباختلاس أموال الشعب، وبيع أسرار حربية، وجميع أنواع التخريب، اعترف أنه كان جاسوسا لحساب استاسيا مقابل مبلغ من المال منذ ١٩٦٨. اعترف أنه رجل مؤمن، وأنه معجب بالنظام الرأسمالي، وأنه منحرف جنسيا اعترف أنه قد قتل زوجته، مع أنه كان يعرف، كما كان يعرف معذوبه أن زوجته ما تزال على قيد الحياة. اعترف أنه على صلة شخصية مع جوك ستاين منذ سنوات عديدة وأنه عضو في منظمة سرية تضم كل من كان يعرفهم من البشر. كان

أسهل عليه ان يعترف بكل شيء وأن يورط كل انسان. وفوق ذلك كان كله صحيحا الى حد ما. كان صحيحا أنه عدو للحزب، وفي نظر الحزب، لا يوجد فرق بين النية والعمل. وكانت هناك ذكريات من نوع آخر تظهر بوضوح في عقله بصورة مفككة وغير مترابطة، مثل صور يكتنفها الظلام من جميع الجهات.

كان في زينة قد تكون مظلمة او مضاعة لأنه لم يستطع رؤية أي شيء سوى زوج من العينون . وبالقرب منه كانت آلة ما تدق بجمء وانتظام. وأخذت العينان تكبران وتصحان أكثر لمعانا. وفجأة طفا من على مقعده، غاص في العينين وابتلع تماما.

كان موثقا الى كرسي محاط بأقراص مدرجة تحت أضواء متألقة باهرة، وجانبه رجل يرتدي معطفا أبيض يقرأ الأرقام التي على الاقراص. وسمع وقع أقدام ثقيلة في الخارج وفتح الباب محدثا مبررا، ودخل الضابط صاحب الوجه الشبيه بالشمع متبوعا باثنين من الحراس.

قال الضابط: الغرفة ١٠١ .

لم يستدر الرجل ذو المعطف الابيض، ولم ينظر الى ونستون، كان ينظر الى الاقراص المدرجة فحسب.

أخذ ونستون يتدحرج فوق دهايز صخه، عرضه كيلو مترا، يفعمه ضوء ذهبي متلألئ يضج بالضحك ويصرخ باعتراقات بأعلى صوته. إعترف بكل شيء حتى الانشاء التي نجح في الاحتفاظ بها وهو تحت التعذيب. قصّ تاريخ حياته كله لجمهور كان يعرف هذا التاريخ من قبل. وقد تدحرج معه فوق الدهايز الحراس، والمحققون الآخرون، والرجال ذوو المعاطف البيضاء، وأوبرين وجوليا، والسيد شارنغتون، وكلهم يضجون بالضحك. وبطريقة او بأخرى، حذف شيء مخيف كان معلوما في المستقبل وأصبح كأنه لم يكن. كل شيء على ما يرام، ولم يعد هناك ألم فقد كشف عن جميع تفاصيل حياته وعرفت وصفح عنها.

كان يبهض من السرير الخشبي، واتفقا الى حد بعيد أنه قد سمع صوت أوبرين وبأنه قريب منه بمنأى عن الأبخار أثناء استجوابه كله مع أنه لم يره أبدا. أشرف أوبرين على كل شيء، فهو الذي حرض الحرس على مهاجمته وضربه، وهو الذي منعهم من قتله، وهو الذي قرر متى كان على ونستون أن يصرخ من الألم، ومتى كان عليه أن يأخذ فترة راحة، متى يجب أن يطعم، ومتى يجب أن ينام، ومتى يجب أن تحقن الأدوية في يده، وهو الذي ألقى الاسئلة وأرعى بالاجابات. وذات مرة، لم يستطع ونستون ان يتذكر متى، هل كان أثناء نومه بفعل المخدر أو أثناء نومه الطبيعي، أو حتى في لحظة من لحظات اليقظة - همس صوت في أذنه قائلا: (لا تفتق يا ونستون، انك تحت عنايتي. لقد سهرت عليك لمدة سبع سنوات، وقد حانت الآن نقطة التحول. سوف أتفتك، وسوف اجعل منك انسانا مثاليا كاملا).

لم يكن متأكدًا من أن الصوت الذي سمعه هو صوت أوبرين، ولكنه نفس الصوت الذي قال له في الحلم الذي رآه قبل سبع سنوات: (سنلتقي في المكان الذي لا ظلام فيه).

كان يبهض من السرير الخشبي واتفقا الى حد بعيد أنه قد سمع صوت أوبرين وبأنه قريب منه بمنأى عن الأبخار أثناء استجوابه كله مع أنه لم يره أبدا. أشرف أوبرين على كل شيء، فهو الذي حرض الحرس على مهاجمته وضربه، وهو الذي منعهم من قتله، وهو الذي قرر متى كان على ونستون أن يصرخ من الألم، ومتى كان عليه أن يأخذ فترة راحة، متى يجب أن يطعم، ومتى يجب أن ينام، ومتى يجب أن تحقن الأدوية في يده، وهو الذي ألقى الاسئلة وأرعى بالاجابات. وذات مرة، لم يستطع ونستون ان يتذكر متى، هل كان أثناء نومه بفعل المخدر أو أثناء نومه الطبيعي، أو حتى في لحظة من لحظات اليقظة - همس صوت في أذنه قائلا: (لا تفتق يا ونستون، انك تحت عنايتي. لقد سهرت عليك لمدة سبع سنوات، وقد حانت الآن نقطة التحول. سوف أتفتك، وسوف اجعل منك انسانا مثاليا كاملا).

لم يكن متأكدًا من أن الصوت الذي سمعه هو صوت أوبرين، ولكنه نفس الصوت الذي قال له في الحلم الذي رآه قبل سبع سنوات: (سنلتقي في المكان الذي لا ظلام فيه).

لم يتذكر أي انتهاء للتحقيق معه. كانت هناك فترة من فقدان الوعي تتخذ بعدها الزلزلة أو الغرقة التي كان فيها شكلا مجسما حوله. كان مستلقيا على ظهره عاجزا عن الحركة لان جسمه كان مثبتا من كل جزء أساسي فيه وحتى مؤخرة رأسه بصورة محكمة. كان أوبرين ينظر اليه بوقار وبشء من الحزن، وببا وجهه وهو يرى من أسفل، خشنا ومرمقا، وكانت تحت عينيه تجعدات وخطوط معتدة من الانف الى الذقن تدل على التعب والارهاق. كان اكبر سنا مما تصوره ونستون، قد يكون في الثامنة والاربعين او في الخمسين من العمر. كان تحت يده قرص مدرج في أعلاه رافعة وحول سطحها ارقام.

قال أوبرين: (أكدت لك يا ونستون أننا انا ما التقينا ثانية فسوف يكون هنا).

(صحيح) قال ونستون

وغمرت جسم ونستون موجة من الألم دون سابق انذار باستثناء حركة خفيفة من يد أوبرين. كان ألما مخيفا لم يستطع بسببه أن يرى ما حدث. شعر بأن أذى مميتا قد نزل به، ولم يدرك ما اذا حدث الشيء فعلا، أو انه نتج عن طريق الكهرباء، غير أن جسده قد التوى وشوه بفعل التعذيب، كما اخذت مفاصله تتمزق ببطء الى أجزاء. تفقد العرق من جبهته من شدة الألم، ولكن الخوف من امكانية تكسر سلسلته الفقرية كان أسوأ ما في الامر. أطبق فكيه باحكام وتنفس من أنفه بأسى محاولا أن يقل صامتا لأطول وقت ممكن.

قال أوبرين وهو يتمعن في وجهه: (أنت تخشى أن ينكسر شيء ما خلال ثانية أخرى، وتخشى بصورة خاصة أن يكون ذلك الشيء هو سلسلتك الفقرية. لديك صورة ذهنية حية للفقرات وهي تتكسر الى أجزاء والنخاع الشوكي يقطر منها. هذا ما تفكر به، أليس كذلك، يا ونستون؟)

لم يجبه ونستون، وسحب أوبرين رافعة القرص المرقم الى الورااء وتقاومت موجة الالم بنفس السرعة التي جاءت بها.

قال أوبرين: (كان الرقم أربعين. بإمكانك أن ترى أن الاعداد تصل الى المائة. هل لك أن تتذكر خلال حديثنا كله ان بقصدوري أن أنزل بك الالم في

أية لحظة وللدرجة التي أختارها؟ فإنا ما كذبت على، أو أذا ما حاولت أن تراوغ بأية وسيلة، أو حتى إذا انحورت الى أقل من ذكائك المألوف، فانك سوف تصرخ من الألم حالا. هل تفهم ذلك؟ (

نعم) قال ونستون.

أصبح أسلوب أوبرين أقل صرامة. أعاد وضع نظارته وهو مستغرق في التفكير، وخطا مرة أو مرتين نهبا وإيابا، وعندما تكلم كان صوته لطيفا ومثابرا، ومظهره مظهر طبيب أو معلم، أو حتى قسيس تراق لأن يشرح ويقنع أكثر من أن يعاقب.

قال: (إنني اتجشم العناء معك لأنك تستحق ذلك يا ونستون. أنت تعرف مشكلتك، وقد عرفتها لسنوات مع أنك كنت تقاوم ضد هذه المعرفة، أنت مخبول عقليا، وتعاني من خلل في الذاكرة. لا تستطيع أن تتذكر أحداثا حقيقية وتفتح نفسك بأنك تتذكر أحداثا أخرى لم تحدث، من حسن الحظ أن مشكلتك قابلة للشفاء، غير أنك لم تشف نفسك منها أبدا، لأنك لم ترغب في ذلك. يلزمك بذل جهد من الإرادة لست مستعدا لبجائه. وأنا أدرك أنك ما تزال تتمسك بمرضك حتى الآن لأنك تحت الانطباع ان تشبثك هذا فضيلة. وسأخذ مثلا على ذلك الآن. مع أي من القوى أو شائيا في حالة حرب في الوقت الحاضر؟)

(عندما ألقى القبض علي كانت أو شائيا في حالة حرب مع استاسيا.)

(مع استاسيا. حسن، وقد كانت أو شائيا دائما في حالة حرب مع استاسيا، أليس كذلك؟)

جذب ونستون نفسه الى الداخل وفتح فمه ليتكلم لكنه لم يفعل، كما أنه لم يستطع تحويل بصره عن القرمص المرقم.

(الحقيقة من فضلك يا ونستون. الحقيقة كما تعرفها. أخبرني ما الذي تذكره حسب اعتقادك.)

(أتذكر أننا وحتى قبل أسبوع واحد من اعتقالى لم تكن في حالة حرب مع استاسيا البيتة. كنا حلفاء معهم. كان الحرب ضد اوراسيا وقد استمرت أربع سنوات. وقبل ذلك ...) .

أوقفه أوبرين بحركة من يده، وقال:

(معالاً آخر. كان عندك قبل بضع سنين وهم خطير جداً وغريب. كنت تعتقد أن ثلاثة رجال، ثلاثة كانوا في وقت ما أعضاء في الحزب يدعون جونز، أرنسون، وروثفورد - وأعدموا بتهمة الخيانة والتخريب بعد أن اعترفوا اعترافاً كاملاً - كنت تعتقد أنهم أربياء من التهم التي أسندت اليهم وأنت قد رأيت دليلاً واضحاً وموثوقاً يثبت أن اعترافاتهم كانت ملفقة. وقد كان لديك هنيان بشأن صورة خاصة اعتقدت أنها قد وقعت بين يديك بالفعل. كانت صورة كهذه الى حد بعيد) .

ظهرت للعيان قصاصة مستطيلة الشكل منتزعة من جريدة بين أصابع أوبرين، ظلت ضمن حدود رؤية ونستون لفترة خمس ثوان. كانت صورة، وليس هناك شك أو خلاف حول هويتها. كانت الصورة، نسخة ثانية من صورة جونز، وأرنسون وروثفورد في حفلة رسمية للحزب جرت في نيويورك، والتي وجهها صديقة وأتلفتها من غير إبطاء قبل إحدى عشر سنة. ظلت أمام ناظرية لبرهة وجيزة فقط ثم اختفت ثانية. ولكنه رآها، لقد رآها من غير ريب! قام بمحاولة يائسة ومؤلمة جداً لانتزاع الجزء الأعلى من جسمه بالقوة. من المستحيل أن يتحرك ما مقاره سستمر واحد في أي اتجاه. لقد نسي في تلك اللحظة حتى القرص المرقم. كل ما تمناه هو أن يمسك الصورة بيديه ثانية، أو أن يراها على الأقل.

صاح (انها موجودة!)
(كلا) قال أوبرين.

ومشى عبر الغرفة. كانت هناك فتحة ناكرة في الجدار المقابل. رفع أوبرين الحاجز المشبك ونقلت القصاصة الصغيرة الصغيرة بحركة دائرية عبر تيار الهواء الدافئ من غير أن ترى وأخذت تتلاشى في لهب متوهج. وابتعد أوبرين عن الجدار وقال:

(رماله، لا يمكن حتى اثباته او تحديد نوعه. غير انها غير موجودة ولم تكن موجودة أبدا).

(ولكنها كانت موجودة بالتأكيد! وهي موجودة فعلا! انها تعيش في الذاكرة. أتذكرها أنا، وتذكرها أنت).

قال أوبرين: (انني لا أتذكرها).

غاص قلب ونستون خوفا. كان ذلك أزدواجية التفكير، الإيمان بفكرتين متناقضتين في وقت واحد. وانتابه شعور بالعجز الى حد بعيد. لو كان يوسعه أن يتأكد من أن أوبرين يكذب لما كان الامر مهما. غير أنه من المحتمل تماما أن أوبرين قد نسي الصورة بالفعل، وان صح ذلك فانه يكون قد نسي في ذلك الحين انكاره أنه تذكره، كما نسي عملية النسيان ذاتها. كيف يستطيع المرء ان يتأكد أنه خداع ليس غير؟ قد يحدث مثل هذا التشويش المجنون في الدماغ فعلا: وكانت تلك الفكرة هي التي تغلبت عليه.

كان أوبرين يتأمله بتفكير، وقد بدا عليه أكثر من أي وقت مضى مظهر المعلم الذي يمثل جهها عقليا من أجل طفل مصعب المراس متمرد لكنه واحد وينتظر له مستقبل مرموق.

قال أوبرين: (يوجد هناك شعار للحزب يتعلق بالسيطرة على الماضي، أئده من فضلك).

كرر ونستون باذعان: (ان من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل: ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي).

قال أوبرين ببطء وهو يرميء برأسه استحياسا: (ان من يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي، هل تعتقد أن الماضي وجودا حقيقيا يا ونستون؟)

عاد ونستون الشعور بالعجز وانتقلت عيناه الى القرص المرقم. لم يكن يجهد ما اذا كان الجواب نعم أو كلا هو الذي سيقننه من الالم فحسب، ولكنه لم يكن يعرف أية اجابة كانت الصحيحة في اعتقاده.

ابن تيم أوبرين بضعف وقال : (أنت لست ضليعا في الميتافيزيقا* يا ونستون، فأنت لم تدرس حتى هذه اللحظة ماذا يعني الوجود. سأصوغ سوالي ببقية أكثر. هل الماضي موجود على نحو مادي في أي مكان؟ هل هناك مكان في مكان ما، عالم من الأشياء الصلبة ما يزال يحدث فيه الماضي ؟)
(كلا)

- (انن أين يوجد الماضي، ان كان موجودا بأية حال؟)
- (في السجلات، انه مدون)
- (في السجلات و .)
- (في العقل، في ذكريات الناس)

(في الذاكرة، حسن جدا، نحن الحزب ونسيطر على كل الذكريات. انن فنحن نسيطر على الماضي، أليس كذلك؟)

صاح ونستون ناسيا للمرة الثانية القرض المرقم مؤقتا: (ولكن كيف يمكنكم أن تمنعوا الناس من تذكر الأشياء؟ ان هذا التذكر لا ارادي، انه خارج عن سيطرة المرء، كيف يمكنكم أن تسيطروا على الذاكرة، لم تسيطروا على ذاكرتي؟)

اتخذ أوبرين اسلوبا صارما مرة ثانية، ووضع يده على القرض المرقم وقال:

(على العكس تماما، انك لم تسيطر على ذاكرتك ومما ما جاء بك الى هنا. أنت هنا لأنك فشلت في ضبط نفسك وفي أن تكون متواضعا. أنت لا تريد القيام بعملية الازعان التي هي ثمن سلامة العقل. فضلت أن تكون مجنونا أو تكون وحدا. ان العقل المنضبط فقط هو الذي يستطيع رؤية الحقيقة، ويا ونستون انك تعتقد أن الحقيقة شيء موضوعي، مجرد عن الغرض، شيء خارجي، موجود بحكم حقه الشخصي في الوجود. وتعتقد أيضا أن جوهر الحقيقة واضح بحد ذاته، فعندما تخضع نفسك في الاعتقاد بانك ترى شيئا، فانك تفترض أن كل انسان آخر يرى الشيء ذاته كما تراه أنت. ولكني أعلمك يا ونستون أن الحقيقة

* علمي الوجود وأصل الكون وتكوينه.

ليست عرضية ظاهرة، ان الحقيقة موجودة في عقل الانسان ولا توجد في مكان آخر، ولا في عقل الفرد الذي يمكنه ارتكاب الاخطاء والذي يفنى سريعا على أية حال: انها توجد في عقل الحزب فقط، والحزب جماعي وخالد. ان الحقيقة هي كل ما يعتقد الحزب أنه حقيقة. من المستحيل رؤية الحقيقة الا من خلال عيون الحزب. تلك هي الحقيقة التي يجب عليك أن تتعلمها ثانية، ويحتاج ذلك الى عملية تدمير الذات والى عمل إرادي. عليك أن تقهر نفسك قبل ان يكون بمقدورك ان تصبح سليم العقل).

توقف أوبرين عن الكلام لبضع ثوان كأنه يريد اعطاء ونستون مجالا لفهم ما قاله جيدا ثم تابع:

(هل تذكر ما كتبته في دفتر يومياتك: "الحرية هي حرية القول ان اثنين زائد اثنين يساوي اربعة" ؟)

(نعم)

رفع أوبرين يده اليسرى وكان ظاهرها اتجاه ونستون والابهام مخبأ بينما الاصابع الاربعة مرفوعة ثم سأل:

(ما عدد الاصابع التي أرفعها يا ونستون ؟)

(أربعة).

(واذا ما قال الحزب أنها ليست أربعة بل خمسة - عندئذ كم عددها ؟)

(أربعة).

وانتهت الكلمة بشهقة ألم وقد ارتفعت ابرة القرص المغناطيسية فجأة حتى وصلت الرقم الخامس والخمسين. تفصد العرق من جسم ونستون جميعه واندفع الهواء الى رثتيه وخرج ثانية على شكل أنات عميقة لم يستطع منعها حتى عن طريق اطباق فكيه باحكام. كان أوبرين يراقبه والاصابع الاربعة ما تزال مرفوعة. سحب الرافعة وخف الالم قليلا هذه المرة.

(كم عدد الاصابع يا ونستون ؟)

(أربعة).

ارتفعت الابرة الى الستين.

(كم عدد الاصابع يا نستون؟)

(أربعة! أربعة! ماذا بوسعي أن أقول غير ذلك؟ أربعة).

لا بد أن الابرة قد ارتفعت مرة ثانية غير أنه لم ينظر إليها. لأن الوجه المتجهم المثقل بالهم والاصابع الاربعة ملأت مجال رؤيته، وقد انتصبت الاصابع مثل الاعمدة أمام ناظريه، ضخمة، وبغير وضوح كأنها تتذبذب ولكنها كانت أربعة بشكل واضح.

(كم عدد الاصابع يا ونستون؟)

(أربعة! كف عن ذلك، كف عن ذلك! كيف تستطيع مواصلة

ذلك؟ أربعة! أربعة!)

(كم أصبعا يا ونستون؟)

(خمسة! خمسة! خمسة!)

(كلا ونستون. ان ذلك لا يجدي فأنت تكذب. لا تزال تعتقد أنها أربعة،

كم اصبعا من فضلك؟)

(أربعة! خمسة! أربعة! خمسة! أي شيء تريد. أوقفه فقط، أوقف الالم!)

وفجأة كان يجلس منتصبا وذراع أوبرين تحيط بمنكبیه. قد يكون قد فقد الوعي لثوان قليلة ولكن القيود التي كانت تشد جسمه قد حلت. شعر ببرودة شديدة، وكان يرتجف لا إراديا، وأسنانه تصطك والدموع تتصبب فوق خديه. وتشبت لفترة قصيرة بأوبرين كما يتشبث الطفل، وبصورة غريبة أحس براحه بسبب الذراع الضخمة المحيطة بكتفيه. شعر أن أوبرين هو حاميه وأن مصدر الألم كان خارجيا، وأن أوبرين هو الذي سيخلصه منه.

قال أوبرين بركة: (انك تلميذ بليد يا ونستون).

فأجاب وهو ينتحب: (كيف يمكنني منع نفسي؟ كيف يمكنني أن أحول

دون رؤية ما هو أمام عيني؟ أثنان زائد اثنان يساوي أربعة).

(أحيانا ونستون. انها أحيانا تساوي خمسة، وأحيانا ثلاثة وهي جميع

هؤلاء في وقت واحد أحيانا أخرى. عليك أن تبذل جهدا أكبر. ليس من السهل

أن تصبح سليم العقل).

وضع أوبرين ونستون على السرير، واشتدت قبضة ذراعيه ثانية، غير أن الألم قد انحسر والارتجاف قد توقف تاركاً إياه ضعيفاً ومقروراً. أوماً أوبرين للرجل ذي المعطف الأبيض الذي وقف ساكناً طوال الاجراءات. انحنى الرجل وتفحص عيني ونستون عن كتيب، وحس نبضه واستمع الى دقات قلبه، وضرب بخفة هنا وهناك ثم أوماً لاوبرين برأسه.

(مرة ثانية)قال اوبرين.

تدفق الألم الى جسم ونستون. لابد وأن الابرة المغناطيسية وصلت السبعين، الخامسة والسبعين. أغلق عينيه هذه المرة وهو يعلم أن الاصابع ما تزال هناك وأنها لا تزال أربعة. المهم ان يبقى حياً بطريقة ما حتى ينتهي التشنج. كان قد توقف عن ملاحظة ما اذا كان يصرخ أم لا. وحف الام للمرة الثانية ففتح عينيه. كان أوبرين قد سحب الرافعة الى الخلف.

(كم اصعبا ونستون؟)

(أربعة. أعتقد انها أربعة. لو استطعت أن ارى خمسة لفعلت. انني أحاول أن أرى خمسة)

(ماذا تريد: ان تقنعني أنك ترى خمسة، او ان تراها فعلا؟)

(أن اراها فعلا)

(مرة ثانية)قال اوبرين.

قد تكون الابرة على الثمانين -التسعين. لم يستمع ونستون أن يفكر سبب حدوث الألم. وترأى له من خلف جفونه المغمضة نصف انماض ان غايبة من الاصابع تتحرك بطريقة راقصة، وتتميل على نحو ملتبس، تخفي خلف بعضها البعض ثم تعود للظهور ثانية. حاول ان يحصيها ولم يستمع أن يتذكر لماذا كان يفعل ذلك. أدرك فقط أن من المستحيل عدّها وأن هذا ناشئ عن تشابه غامض بين خمسة وأربعة. حف الام ثانية، وفتح عينيه ليجد انه ما يزال يرى الشيء نفسه، رأى اصابع لا تعد ولا تحصى تتموج في كل اتجاه كالاشجار المتحركة التي تتلاقى وتتقاطع المرة تلو المرة. أغلق عينيه ثانية.

(كم عدد الاصابع التي أرفعها يا ونستون؟)

(لا أدري. لا ادري ستقضي علي ان فعلت ذلك ثانية أربعة، خمسة، ستة، بكل صدق لست أدري).

(هذا أفضل) قال أوبرين.

انسلت ابرة في ذراع ونستون، وفي اللحظة نفسها تقريبا غمر جسمه جميعه شعور دافئ شاف سبب له السعادة، وقد نسي الالم جزئيا في ذلك الحين. فتح عينيه ورفع بصره الى أوبرين بامتنان. وثب قلبه هلعا عندما رأى وجه أوبرين البالغ القبح، المتجعد المثقل بالهموم، والذكي الى حد بعيد. لو استطاع ان يتحرك لمد يده ولوضعها على ذراع أوبرين. لم يسبق له أبدا أن أحبه بهذا العمق كما أحبه في تلك اللحظة، ليس لأنه أوقف الالم فحسب، بل لأن الشعور القديم الكامن في الاعماق بأنه من غير المهم ما اذا كان أوبرين صديقا او عدوا قد عاوده. إن أوبرين هو انسان يمكن التحدث اليه. قد لا يتمنى المرء أن يكون محبوبا بقدر ما يتمنى أن يكون مفهوما. لقد عذبه اوبرين حتى أوصله الى حافة الجنون، ومن المؤكد انه سيرسله الى حتفه خلال مدة قصيرة. ليس ذلك من الأهمية بشيء، لأنه أعمق من الصداقة في بعض النواحي: كانا صديقين حميمين وفي مكان ما أو آخر، مع ان الكلمات الفعلية قد لا تقال أبدا يوجد مكان يستطيعان ان يلتقيا فيه ويتحدثان . نظر اوبرين اليه وعلى وجهه تعبير يوحي بان الفكرة نفسها ربما دارت في ذهنه، وعندما تكلم كانت نبرة صوته عامية مطمئنة. وسأل: (أتدري أين أنت يا ونستون؟)

(لا أدري. أستطيع أن أؤمن. في وزارة الحب).

(وهل تدري كم مضى على وجودك هنا؟)

(لا أدري: أيام أسابيع، شهور - أعتقد أنه قد مضى شهور على وجودي هنا).

(ولماذا نحضر الناس الى هذا المكان حسب اعتقادك؟)

(لحملهم على الاعتراف).

(كلا ليس هذا هو السبب. حاول مرة أخرى).

(لمعاقبتهم).

(كلاذ) صرخ اوبرين بقوة وقد تغير صوته بصورة استثنائية كما أصبح وجهه فجأة صارما متجهما ومفعما بالحوية معا. (كلاذ لم تأت بك هنا لانتراع اعترافك فحسب، ولا لمعاقتك. هل أخبرك لماذا أخفضتاك الى هنا؟ أخفضتاك لنعالجك ! لنجملك سليم العقل. هل تدرك يا نستون أنه لا ينبغي أحد من الذين تأتي بهم الى هذا المكان من أيدينا قبل أن يشفى؟ نحن لا تهمتا تلك الجرائم الحمقاء التي قد ارتكبتها. والحزب ليس معنا بالعمل العلني المريح: ان كل ما يهمتا هو الفكر. نحن لا ندمر أعدائنا فحسب، ولكننا نغيرهم. هل تدرك ماذا أعني بذلك؟)

انحنى اوبرين فوق ونستون، وقد ظهر وجهه ضحفا بسبب قربه، وقيحها بصورة بشعة لأنه كان يرى من أسفل. فخلا عن ذلك، كان مبتلعا بالشعور بالقوة والأهمية والحدة المجنونة. انقبض قلب ونستون ثانية. لو استطلع أن ينكمش في السرير اكثر لفعل. كان واثقا أن اوبرين على وشك ان يدبر القرص المرقم لمجرد العبث والاستهتار. ولكن اوبرين استدار في تلك اللحظة وضحا مرة او مرتين نهابا وايباه، ثم استأنف بحماس أقل:

ان أول ما يجب عليك أن تدركه انه لا يوجد استشهاد في هذا المكان. لقد قرأت عن الاضطهادات والمضايقات الدينية الماضية. وفي العمود الواصل كانت هناك محاكم التفتيش التي كانت فاشلة. ظهرت من أجل استعمال الهرطقة وانتهت بتخليدهما، لأنه مقابل كل هرطوقي منشق عن العقيدة اعدمته المحكمة حرقا بعد شدة الى وتد، كان يبرز ألوف غيره. ما أسباب ذلك؟ لأن محكمة التفتيش قتلت أعدائها بصورة علنية، قتلتهم قبل ان يتوبوا وفي الحقيقة قتلتهم لأنهم لم يتوبوا: كان الناس يموتون لأنهم لم يتوبوا معتقداتهم القويمة. ومن البديهي ان تذهب الشهرة والمجد للضحية، وأن يلاحق الخزي والعار كله عضو محكمة التفتيش الذي قام بحرقه. وفيما بعد، اي في القرن العشرين، كان هناك الدكتاتوريون، كما كانوا يسمون، والنازيون الألمان والاشتراكيون الروس الذين اضطهدوا الهرطقة بوحشية وقسوة أكثر من محاكم التفتيش، وظنوا أنهم قد تعلموا من اخطاء الماضي، لقد ادركوا على أية حال، انه ليس على المرء أن يمنع شهداء. كانوا قبل أن يعرضوا ضحاياهم للمحاكمات العلنية، يبدأون بتحميم كرامتهم بتعمد وقصد: كانوا يرمقونهم بالتعذيب

والوحدة حتى يصبحوا حقيرين بائسين جديرين بالازدراء، تعساء مثلكين يعترفون بجميع ما يوضع في أفواههم، يحمون أنفسهم بالسباب والالتهام، ويحتمون خلف بعضهم البعض، ويشجون في طلب الرحمة. ومع ذلك حدث الشيء ذاته بعد سنتين قلائل فقط ، فقد أصبح الاموات شهداء ونسي خزيهم. ومرة أخرى، لماذا حصل ذلك ؟ في المقام الأول لأن الاعترافات التي ادلوا بها كانت منتزعة وغير صحيحة بصورة واضحة. اننا لا نرتكب مثل هذه الأخطاء، ان كل الاعترافات التي يدلى بها هنا صحيحة. نحن نجعلها صحيحة. وفوق كل شيء اننا لا نسمح للأموات أن ينهضوا ويثوروا ضدنا. يجب ان تتوقف عن الاعتقاد أن الأجيال القادمة ستدافع عنك وتبرؤك يا نستون، فالأجيال القادمة لن تسمع عنك ابدا لأنك ستقتلع نهائيا من مجرى التاريخ. سنحوك الى غاز ونقذف بك في الجو، ولن يبقى منك شيء ولا حتى اسم في سجل، أو ذكرى في ذهن انسان حي. ستباه من الماضي ومن المستقبل ايضا. ستمبج كانك لم تكن ابدا .

فكر ونستون بمرارة خاطفة: (لماذا تزج نفسك وتقوم بتعذيبني انذ؟) توقف اوبرين عن السير فجأة كأن ونستون قد عبر عما دار بخلده بصوت عال. اقترب وجه الضخم القبيح أكثر، وضقت عيناه قليلا ، وقال: (انك تتساءل ما دمنا نعتزم ان ندمرك تماما، وان لا شيء تقوله او تفعله يمكن ان يشقنا عن عزمتنا في هذه الحالة، لماذا انن نجشم أنفسنا عناء استجوابك في الدرجة الأولى؟ هذا ما كنت تفكر فيه، أليس كذلك؟)

فأجاب ونستون: (نعم).

ابنسم اوبرين قليلا : انك خلل في العتية، يا نستون. أنت وصمة يجب ان تمحي. ألم أقل لك منذ لحظات أننا نختلف عن مضمطهذي الماضي؟ فنحن لا نرضى بالخضوع السلبي، ولا حتى الخضوع المذل الى ابعد حد. عندما تستسلم لنا في النهاية، يجب ان يكون استسلامك بملء ارادتك. نحن لا نفتك بالهرطوقي لأنه يقاومنا: نحن لا نقضي عليه ابدا ما دام يقاومنا. اننا نهديه، نستولي على عقله الباطن، نعيد تشكيله، نحرق جميع الشر والرهيم والانخداع ونكرهما على الخروج منه، نجعله يتحاز الينا قلبا وروحاً، ليس بالمظهر ولكن بصمق ومن غير زيف. نجعله واحدا منا قبل ان نقضي عليه. ان وجود فكرة

خاطئة في أي مكان من العالم مهما كانت سرية وضعيفة أمر لا يطلق بالنسبة لنا. نحن لا نستطيع السماح بأي انحراف حتى في لحظة الموت. كان الهرطوقي في الأيام الماضية يسير الى الموت حرقا وهو ما يزال هرطوقا، معلنا هرطقته ومبتهجا بها ابتهاجا عظيما. وحتى ضحية التطهيرات الروسية كان بإمكانه الاحتفاظ بالثورة محجوزة في رأسه أثناء سيره في الممر في انتظار الرصاصة. غير أننا نقوم بجعل العقل كاملا قبل أن نفجره. كانت الحكومات الاستبدادية السالفة تصدر أمرا يقول: "يجب عليك ان لا"، أما الدكتاتوريون فكانت أوامره "عليك أن"، أما أوامرنا نحن فتقول: "أنت موجود". لا أحد من الذين نأتي بهم الى هذا المكان يقاومنا البتة. كل واحد منهم يظهر. وحتى أولئك الخون الثلاثة التعساء والذين أمنت ببراءتهم ذات مرة - جونز - أرنسون ، وروثرفورد - دمرناهم في النهاية. شاركت في استجوابهم بنفسي. رأيتهم وهم يتهكئون تدريجيا، وهم ينتحبون ويئنون، وهم ينبطحون على الأرض يتذللون ويبكون- وفي النهاية فعلوا ذلك بدافع الندم والتوبة وليس بدافع الالم والخوف. وعندما انتهينا منهم كانوا عبارة عن هياكل بشرية. لم يبق فيهم غير الأسف على ما اقترفوه، وغير حب الأخ الكبير. كانت معرفة مقدار حبهم له مؤثرة. لقد توسلوا كي نطلق النار عليهم بسرعة حتى يموتوا وعقولهم ما تزال نظيفة .

أصبح صوته حالما تقريبا، وكان الشعور بالأهمية والقوة ما يزال على وجهه. وفكر ونستون أن أوبرين لا يتظاهر، وأنه لا ينافق، وأنه يؤمن بكل كلمة يقولها. ان اكثر ما ألمه هو ادراكه بأنه أقل منزلة من أوبرين من الناحية الفكرية. جعل يراقب الشكل الضخم، ومع ذلك الرشيق، وهو يتمشى متمهلا جيئة ونهايا، تارة في مدى الرؤية وتارة أخرى خارجها. كان أوبرين شخصا أضخم منه من جميع النواحي. لم تخطر له أية فكرة، او كان من الممكن ان تخطر له، لم يكن أوبرين قد عرفها ومحصها ونبذها منذ وقت طويل. لقد احتوى عقله عقل ونستون. ولكن اذا صح ذلك، كيف يمكن أن يكون أوبرين مجنوناً؟ يجب ان يكون ونستون نفسه هو المجنون. توقف أوبرين وأخذ ينظر اليه من عل وقد أصبح صوته قاسيا مرة أخرى.

لا تتصور ونستون بأنك ستنقذ نفسك حتى لو خضعت لنا تماما. نحن لا نبقى على اي انسان ينحرف عن الطريق المستقيم في اي وقت ابدا. وحتى لو

قررنا أن نفلح حيا حتى ينتهي أجليك الطبيعي، فلن يكون بوسعك أن تنجو منا ابدا. ان ما يحدث لك هنا هو أبدي دائم، فاعرف ذلك مقدما. سنحطمك تحطيمها لا عوذة منه، ستحصل لك أشياء لا تستطيع العوذة الى وضعك السوتي بعدما ولو عشت ألف سنة. لن تكون قادرا على ان تحس بالمشاعر الانسانية المألوفة أبدا. سيموت كل شيء في داخلك. لن تستطيع أن تحب، أو تصانق، أو تستمتع بالحياة، أو تفضحك أو أن تشعر بحب استطلاع أو جرأة أو استقامة ثانية البتة. ستصبح أجوف فارغا. سنعمرك حتى تصبح كذلك، وبعدها سنملوك بانفسنا .

توقف وأوما الى الرجل ذي المعطف الابيض. أراك ونستون أن جهازا ثقيلًا قد دفع الى مكان خلف رأسه، وقد جلس أوبرين بجانب السرير بحيث أصبح وجهه في مستوى وجه ونستون تقريبا.

(ثلاثة آلاف) قال للرجل ذي المعطف الابيض مخاطبا اياه من فوق رأس ونستون، وضغطت وسادتان رقيقتان نديتان قليلا بإحكام على صدغي ونستون الذي جبن وذوى، وأحس بنوع جديد من الألم. وضع أوبرين يدا مطمئنة فوق يد ونستون بمعطف تقريبا، وقال:

(لن تشعر بالالم هذه المرة. ركز عينيك على عيني) .

وكان هناك انفجار مدمر في تلك اللحظة أو ما بدا كأنه انفجار، مع انه لم يكن متأكدًا ما اذا كان هناك أي صوت، ولكنه رأى وميض ضوء باهر. لم يشعر ونستون بأنى، استلقى على ظهره فقط. ومع انه كان على هذا النحو عندما حدث ذلك الشيء الا انه شعر بأن وضعه الجسماني الحالي قد حصل بفعل فورية عنيفة، ضربة رهيبة غير مؤلمة، وان شيئًا قد حصل داخل رأسه. وعندما استعادت عيناه تركيزهما، تذكر من هو والمكان الذي هو فيه، وميز الوجه الذي كان يحملق في وجهه، غير أنه شعر ان هناك مساحة كبيرة من الفراغ في مكان ما، وكان قطعة قد اخذت من دماغه.

قال أوبرين : (لن يدوم. أنظر في عيني. مع أية بك أو شائنا في حالة حرب؟)

فكر ونسجون. أدرك ماذا تعني اوشانيا وأنه هو نفسه أحد مواطنيها. وتذكر أيضا أوراسيا وأستاسيا؛ ولكنه لم يعرف من كان في حالة حرب مع من. ولم يعرف في الواقع ان هناك أية حرب.

(انني لا أتذكر) .

(ان اوشانيا في حالة حرب مع استاسيا. هل تتذكر ذلك الان؟)

(نعم) .

(ان اوشانيا كانت دائما في حالة حرب مع أستاسيا، منذ مستهل حياتك، ومنذ بداية الحزب، ومنذ مطلع التاريخ، واستمرت الحرب دون توقف، دائما نفس الحرب. هل تتذكر ذلك؟)

(نعم) .

(منذ احدى عشرة سنة ابتعدت أسطورة بشأن ثلاثة رجال كان قد حكم عليهم بالموت بتهمة الخيانة، وادعيت أنك قد رأيت قصاصة ورق تثبت برائتهم. لم توجد مثل هذه القصاصة من الورق أبدا. أنت الذي اخترعتها وأصبحت فيما بعد تؤمن بها. هل تتذكر ذلك؟)

(نعم)

(رفعت لك أصابع يدي منذ لحظات. رأيت خمسة أصابع. هل تتذكر ذلك؟)

رفع أوبرين أصابع يده اليسرى وكان الإبهام مخبأ وقال:

(هناك خمسة أصابع. هل ترى خمسة أصابع؟)

(نعم) .

وفعلا رأها خمسة للحظة عاجلة قبل أن تغير المنظر الذي في ذهنه. رأى خمسة أصابع ولم تكن هناك شائبة. ثم أصبح كل شيء طبيعيا مرة ثانية. وعارده الشعور السابق بالخوف، والكراهية، والحيرة والارتباك. ومرت به لحظة- لم يعرف مداها، ربما كانت ثلاثين ثانية، من الثقة الواضحة المضيئة عندما ملأ كل ايحاء جديد لاوبرين حيزا من الفراغ وأصبح حقيقة مطلقة، وعندما أصبح ممكنا ان تكون اثنان زائد اثنان ثلاثة او خمسة بنفس البساطة، اذا ما كان ذلك هو المطلوب. غير انها تلاشت قبل أن أسقط أوبرين يده، ومع أنه لم يستطع استردادها ثانية، الا أنه استطاع أن يتذكرها كما يتذكر المرء تجربة حية مر بها في فترة بعيدة من حياته، عندما كان في الحقيقة انسانا مختلفا.

قال أوبرين: (تيقنت الآن ان ذلك ممكن على أية حال؟)
(نعم) أجاب ونستون.

وقف أوبرين وعليه علامة الرضا، وعلى يساره رأى ونستون الرجل ذا المعطف الابيض يكسر أنبوله* ويسحب مكبس حقنة الى الخلف. استدار أوبرين نحو ونستون مبتسما، وبطريقته القديمة تقريبا أعاد وضع نظارته على أنفه وقال:

(هل تتذكر أنك كتبت في مذكراتك اليومية أنه من غير المهم ما اذا كنت صديقا او عدوا نظرا لانني على الاقل انسان يفهمك ويمكن التحدث اليه؟ كنت على حق، فأنا استمتع بالتحدث اليك، كما ان عقلك يعجبني، انه يشبه عقلي لولا انه اتفق انك غير سليم العقل. بإمكانك ان تسألني بضعة أسئلة ان رغبت قبل ان ننهي الجلسة).

(أي سؤال أرغب فيه؟)

(أي شيء). ولاحظ ان عيني ونستون كانتا على القرص المدرج. (انه مطلقاً. ما هو سؤالك الاول؟)

قال ونستون: (ماذا فعلتم بجوليا؟)

ابتسم أوبرين ثانية وقال: (خانتك يا ونستون. مباشرة وبدون تحفظ نادرا ما رأيت انسانا ينضم الينا من غير ابطاء كما فعلت هي. سيصعب عليك ان تعرفها لو رأيتها. لقد قضينا على جميع ما عندها من تمر، وخبز، وحماسة، ونزوع الى القذارة. كان تحويلا كاملا، حالة تستحق الدراسة).

(هل قمتم بتعذيبها؟)

ترك أوبرين هذا السؤال من غير جواب، وقال: (ما هو سؤالك التالي؟)

(هل الاخ الكبير موجود؟)

(طبعا موجود. الحزب موجود، والاخ الكبير هو تجسيد للحزب).

(هل هو موجود بنفس الطريقة التي أنا موجود فيها؟)

قال أوبرين: (أنت غير موجود).

* وعاء زجاجي صغير مختوم يحتوي على جرعة واحدة من محلول يحقن تحت الجلد.

ومن جديد استولى عليه الشعور باليأس. كان يدرك، أو كان يوسعه ان يتصور، الحجاج والبراهين التي تؤكد عدم وجوده، ولكنها كانت تافهة، عبارة عن تلاعب بالالفاظ ليس غير. الا تتضمن الجملة القائلة (انت غير موجود) سخفا منافيا للعقل؟ ولكن ما فائدة ان يقول ذلك؟ ضعف عقله عندما فكر بالحجاج والبراهين المجزئة التي لا تنقض والتي سيدمره أوربرين بها.

قال بضجر وارهاق: (اعتقد انني موجود. انني أدرك هويتي. لقد ولدت وسوف أموت. لي ذراعان وساقان، وأشغل حيزا خاصا لا يستلمع أي شيء مادي أن يشغله في نفس الوقت. هل الاخ الكبير موجود بهذا المفهوم؟)

(لا أهمية لذلك. انه موجود) .

(هل سميت الأخ الكبير في أي وقت ؟)

(طبعاً لا. كيف يمكنه أن يموت؟ السؤال التالي) .

(هل منظمة الاحياء موجودة؟)

(لن تعرف ذلك أبدا ونستون. انا ما قررنا اطلاق سراحك عندما تنتهي

منك، وانا ما عشت حتى تصبح في التسعين من عمرك، فلن تعرف أبدا ما انا كان الجواب على هذا السؤال هو نعم أو لا، وسيظل لغزا ليس له حل في عقلك ما دمت حيا) .

استلقى ونستون صامتا وأخذ صدره يعلو ويهبط بصورة أسرع. حتى الان لم يكن قد سأل السؤال الذي خطر له أولا. يجب عليه أن يسأله، ومع ذلك شعر كان لسانه لا يريد أن يتفوه به. كان على وجه أوربرين شيء ما قليلا من التهكم، وحتى نظارته تراءى لونستون وكأنها تحمل بريقا تهكميا. أنه يعرف، فكر ونستون فجأة، ان أوربرين يعرف عن أي شيء سيسأل! وفجأة اندفعت الكلمات بعنف: (ماذا يوجد في الغرفة ١٠١)

لم يتغير التعبير الذي كان على وجه أوربرين وأجاب بطريقة جافة: (أنت تعرف ماذا يوجد في الغرفة ١٠١) .

ورفع اصبعها الى الرجل ذي المعطف الأبيض. كان جليا أن الجلسة قد انتهت. وبسرعة غرزت ابرة في ذراع ونستون استغرق بعدها في نوم عميق.

قال أوبرين: (تحتاج إعادة تكاملك الى ثلاث مراحل. هناك المعرفة، وهناك الفهم، وهناك القبول، وقد حان الوقت كي تدخل المرحلة الثانية).

كان ونستون كشأنه دائما ممددا على ظهره تماما، ولكن منذ عهد قريب أصبحت قيوهه أقل احكاما. صحيح أنهم لا يزالون يقيدونه للسريير، ولكنه يستطيع أن يحرك ركبتيه قليلا، وان يحرك رأسه من جهة الى أخرى، وأن يرفع ذراعيه من المرفقين. كما أن القرص المرقم قد أصبح أقل رهبة لأن بإمكانه تجنب الآلام الشديدة المفاجئة التي يحدثها اذا كان سريع الخاطر بصورة كافية: كان أوبرين يسحب الرافعة خصوصا عندما يظهر ونستون غباء، وكانا أحيانا ينتهيان من جلسة كاملة من غير استعمال القرص. لم يستطع أن يتذكر عدد الجلسات التي مر بها، وتراءى له أن العملية برمتها قد امتدت لوقت طويل غير محدود - قد تكون لأسابيع وقد تصل الفترات الفاصلة بين جلسة وأخرى الى أيام، وأحيانا اخرى الى ساعة أو ساعتين لا غير.

قال له أوبرين : كثيرا ما تساءلت أثناء استلقاءك هناك، بل لقد سألتني لماذا تنفق وزارة الحب هذا الوقت وتتجشم هذا العناء بالنسبة لك. وكان السؤال ذاته من حيث الجوهر يحيرك عندما كنت حرا طليقا: باستطاعتك أن تدرك الجانب التقني للمجتمع الذي عشت فيه، غير أنك لم تفهم الدوافع الضمنية لهذا المجتمع. هل تتذكر أنك كتبت في مذكراتك اليومية: (انني أدرك كيف: ولكني لا أفهم لماذا؟) انتابك الشك بسلامة عقلك عندما فكرت بشأن لماذا. لقد قرأت الكتاب، كتاب جولد ستاين، أو أجزاء منه على الاقل، هل أخبرك شيئا لم تكن تعرفه من قبل؟

سأل ونستون: (هل قرأته؟)

(كتبته أنا. بمعنى آخر اشتركت في كتابته. لا يصدر أي كتاب من قبل

فرد واحد، كما تعلم).

(هل ما يقوله صحيح؟)

(من حيث الوصف، نعم، أما بالنسبة للبرنامج الذي يعلنه فهو هراء، التراكم السري للمعرفة المنتشر تدريجي للتوزيع الثقافي * عميان عمالي، وفي النهاية الاطاحة بالحزب. أنت نفسك تنبأت ان ذلك ما سوف يقوله. جميعه هراء، فالعمل لن يثوروا ابدا ولا حتى بعد ألف أو مليون سنة، انهم لا يستطيعون أن يثوروا ولا يتوجب علي ان أعطيك السبب لأنك تعرفه من قبل. اذا كنت قد تعلقت في حياتك بأية أحلام بالنسبة لعصيان مسلح عنيف، يجب أن تتخلى عنها. ان سلطة الحزب هي سلطة أبدية. اجعل ذلك نقطة الانطلاق لافكارك).

واقترب من السرير أكثر: (الى الأبد) كزر أوبرين: (والآن دعنا نعود الى السؤال كيف ولماذا. أنت تدرك تماما كيف يحتفظ الحزب لنفسه بالسلطة. والان أخبرني لماذا نتمسك بالسلطة. ما هو دافعنا؟ ولماذا يجب علينا أن نتوق الى السلطة؟) وعندما التزم ونستون الصمت قال له: (هيا، تكلم).

رغم ذلك لم يتكلم ونستون للحظة أو للحظتين. غمره شعور بالتعجب والسأم، وقد عاد يريق الحماس الضعيف المجنون الى وجه أوبرين. عرف ونستون مقدما ما سيقوله أوبرين من أن الحزب لا يئسد السلطة والغفوز من أجل غاياته هو، ولكن من أجل مصلحة الأغلبية، وأنه يئسد السلطة لأن أفراد الجمهور هم أشخاص ضعفاء جبناء، لم يتحملوا الحرية أو مواجهة الحقيقة، ويجب أن يسيطر عليهم وأن يخدعوا بصورة منتظمة من قبل آخرين، أشد منهم قوة، وأن الاختيار للبشرية يكمن بين الحرية والسعادة، وأن السعادة هي الخيار الأفضل بالنسبة للغالبية العظمى من الناس، وأن الحزب هو الحارس الأبدي للمضعفاء، طائفة وقفت نفسها لعمل الشر من أجل الوصول الى الخير، مضحية بسعاتها الخاصة من أجل سعادة الآخرين. فكر ونستون أن الشيء الرهيب هو أن أوبرين يصدق هذا عندما يقوله ، ويستطيع المرء رؤية ذلك في وجهه. كان اوبرين يعرف كل شيء، وكان يعرف أكثر من ونستون بألف مرة، العالم على حقيقته والانحلال والتفسيخ اللذين تعيشهما جموع البشر، والاكتئاب والممارسات الوحشية التي استخدمها الحزب لإبقائهم كذلك. لقد أدرك ذلك كله

* حركة التنوير الفلسفية في القرن الثامن عشر

وفكر فيه مليا وقَلب فيه الرأي، لكنه لم يحدث أي اختلاف: الهدف النهائي يبرر كل شيء. وتساءل ونستون ماذا يوسع المرء أن يعمل تجاه المجنون الأكثر ذكاء منه، الذي يتيح للمرء الفرصة اللانلاء بوجهة نظرة ويستمتع لمحججه بلطف وكياسة، ثم يستمر في جنونه ليس غير؟

قال ونستون بوهن: (انكم تحكموننا من أجل مصلحتنا. انكم تؤمنون أن البشر لا يصلحون ليحكموا أنفسهم، ولذلك..)

جفل ونستون وصاح وبكى تقريبا، لأن ألما مفاجئا شديدا انبعث في جميع أنحاء جسمه. لقد دفع اوبرين رافعة القرمص المرقم حتى الخامس والثلاثين.

قال اوبرين: (كان ذلك حماقة ونستون، حماقة! يجب أن تكون أكثر حكمة من أن تقول شيئا كهذا).

وسحب الرافعة الى الخلف وواصل كلامه:

(والان سأعطيك الجواب عن سؤالي، ان الحزب يشهد السلطة كلية من أجل الحزب ذاته. نحن لسنا معنيين بمصلحة الاخرين ، نحن معنون بالسلطة فقط اننا لسنا معنيين بالثراء، أو البئخ، أو الحياة الطويلة، أو السعادة: السلطة فحسب. وستترك في الحال ماذا تعني السلطة المحضة. نحن نختلف عن جميع الاوليغاركيات السابقة، لأننا نترك ما نعمله. كان الآخرون جميعا، حتى أولئك الذين كانوا يشبهوننا، جبناء منافقين. استعمل النازيون الألمان، والشيوعيون الروس، أساليب قريبة جدا من أساليبنا، ولكن لم تكن لديهم الشجاعة كي يتركوا درافعهم الخاصة. كانوا يتظاهرون، وربما كانوا يصدقون، أنهم قد استولوا على السلطة وهم كارهون لها، وانهم استولوا عليها لفترة محدودة، وأن هناك فردوسا في مكان قريب يقع عند الزاوية يكون فيه كل البشر أحرارا ومتساويين. نحن لسنا مثلهم. اننا نعرف ان لا أحد يستولي على السلطة وفي نيته التنازل عنها أبدا. السلطة ليست وسيلة انها غاية. لا يؤسس الانسان ديكتاتورية من أجل ان يحمي ثورة، بل يقوم بثورة من أجل ان ينشئ ديكتاتورية. الغرض من الاضهاد القمع، والغرض من التعذيب هو التعذيب، والغرض من السلطة هو السلطة. والان هل بدأت تفهمني؟).

صدم ونستون، كما صدم من قبل، بالارهاق الذي ظهر على وجه أوربرين، كان وجهه قويا بدينا وقاسيا، ممتلئا ذكاء وعاطفة من النوع الذي يمكن السيطرة عليها والتي كان هو نفسه يشعر باليأس امامها. ولكنه كان متعبا. كانت هناك تجعيبات تحت العينين، كما تدلى الجلد من عظم الوجنتين. انحنى أوربرين فوقه مقربا الوجه المتعب أكثر بصورة متعمدة.

قال: (انك تفكر أن وجهي عجوز ومتعب، وانني أتحدث عن السلامة بينما أنا عاجز ان أضع جسدي من الانحلال. ألا تدرك يا ونستون أن الانسان هو خلية ليس غير؟ ان ارهاق الخلية هو قوة الكائن الحي. هل تموت عندما تقلم أظافر يديك؟)

استدار عن السير وأخذ يمشي متمهلا ذهابا وايابا، واطعنا احدى يديه في جيبه ثم قال: (نحن قساوسة السلطة. الله هو السلطة. أما بالنسبة اليك فالسلطة في الوقت الحاضر هي كلمة لا غير. جان الوقت لأن تستنتج فكرة ما عما تعنيه السلطة. ان أول ما يجب عليك ان تدركه هو أن السلطة جماعية، وان الفرد يصبح قويا بقدر ما يتخلى عن فريته. انك تعرف شعار الحزب الذي يقول الحرية هي العبودية. هل دار في خلدك في اي وقت مضى ان هذا الشعار قابل لان يعكس؟ العبودية هي الحرية. فالانسان يهزم دائما عندما يكون وحيدا - عندما يكون حرا. يجب ان يكون الامر كذلك لان كل انسان مقدر له ان يموت، وهذا اعظم اخفاق يواجه البشرية. ولكن اذا كان بوسعنا ان يخضع خضوعا تاما، اذا استطاع الهروب من ذاتيته، اذا استطاع ان يدمج نفسه في الحزب الى حد يصبح هو الحزب، عندئذ يصبح قويا وخلالها بكل ما في الكلمة من معنى. أما الشيء الثاني الذي عليك ان تدركه فهو أن السلطة تعني السيطرة على البشر، على الجسد وقبل كل شيء على العقل. أما السيطرة على المادة - وكما تسميها الحقيقة الظاهرية العرضية - فهي ليست مهمة. ان سيطرنا على المادة هي الان سيطرة مطلقة).

تجاهل ونستون القرص المرقم للحظة وجيزة وقام بمحاولة عنيفة لرفع نفسه حتى يصبح في وضع جسماني يسمح له بالجلوس، ونجح فقط في سحب جسده بصورة مؤلمة.

انفجر قائلا: (ولكن كيف يمكنكم السيطرة على المادة؟ أنتم لا تسيطرون حتى على الطقس، أو على قانون الجاذبية، وهناك المرض والام، والموت...).

أسكتته اوبرين بحركة من يده وقال: (اننا نسيطر على المادة لأننا نسيطر على العقل، والحقيقة تكمن داخل العقل. سوف تتعلم تدريجيا يا ونستون. ليس هناك شيء لا نستطيع القيام به. الاختفاء عن الأبصار، السباحة في الفضاء - اي شيء. أستطيع أن أوم بعينا عن أرض هذه الحجرة مثل فقاعة الصابون اذا ما رغبت في ذلك، ولكنني لا أرغب في ذلك لأن الحزب لا يرغب فيه. يجب عليك أن تتحلل عن آراء وأفكار القرن التاسع عشر المتعلقة بقوانين الطبيعة. نحن نضع قوانين الطبيعة.)

(ولكنكم لا تفعلون. أنتم لستم أسياذ هذا الكوكب. ماذا لم أوراسيا وأستاسيا؟ انكم لم تتعلموا عليهما بعد)

(من غير المهم. ستتغلب عليهما عندما يروق لنا. واذ لم نفعل، فما هو الفرق؟ نستطيع أن نزيلهما من الوجود. أو شائنا هي العالم.)

(ولكن العالم نفسه هو ذرة من غبار، والانسان صغير جدا وعاجزا كم مضى على وجوده؟ ظلت الأرض غير مأهولة لملايين السنين.)

(هراء. ان عمر الأرض مثل عمرنا وليست أكبر منا. كيف يمكن أن تكون أقدم؟ لا وجود لأي شيء الا من خلال الوعي البشري.)

(ولكن الصخور تترخر بعظام الحيرانات المنقرضة - السماوت * والمستوردون * والزواحف الضخمة التي عاشت على هذا الكوكب قبل أن يسمع بالانسان بوقت ملويل.)

* الأفيال الملاقة.

* حيوان شبيه بالفيل.

(وهل رأيت تلك العظام في حياتك يا ونستون؟ بالطبع، لم ترها. ابتدعها علماء الأحياء في القرن التاسع عشر. لم يكن هناك شيء قبل الانسان. وبعد ان ينتهي، ان كان بوسعه أن ينتهي، لن يكون هناك شيء. كما لا يوجد شيء خارج نطاق الانسان.)

(ولكن الكون جميعه خارج عن نطاقنا. أنظر الى النجوم! يبعد بعضها عنا مليون سنة ضوئية. انها بعيدة عن متناول اليد ولا يمكن الفوز بها والى الأبد.)

أجاب أوبرين بلا مبالاة: (وما هي النجوم ! انها قطع صغيرة من نار على بعد بضعة كيلومترات. بإمكاننا الوصول اليها اذا ما رغبنا في ذلك. كما نستطيع أن نمحوها. الأرض هي مركز الكون، والشمس والنجوم تدور حولها.)

قام ونستون بحركة متشنجة أخرى، ولكنه لم يقل شيئاً هذه المرة. واستمر أوبرين كأنه يجيب على اعتراض ملفوظ:

(ان ذلك غير صحيح لأغراض خاصة طبعاً. عندما نمخر عباب المحيط، أو عندما نتنبأ بكسوف الشمس أو خسوف القمر، غالباً ما نجد من المناسب الافتراض أن الأرض تدور حول الشمس، وأن النجوم تبعد عنا ملايين من الملايين من الكيلومترات. ولكن ما أهمية ذلك؟ هل تعتقد أننا عاجزون عن احداث نظام فلكي مزدوج؟ يمكن للنجوم أن تكون قريبة أو بعيدة وفقاً لاحتياجاتنا. هل تعتقد أن رياضيينا ليسوا أكفياً لذلك؟ هل نسيت التفكير المزدوج؟)

انكمش ونستون فوق سريره. مهما قال، فان الجواب السريع المفاجيء يسحقه كما تسحقه الهراوة، ومع ذلك كان يدرك أنه حق. فالاعتقاد القائل بعدم وجود أي شيء خارج عن نطاق العقل - لا بد من وجود طريقة لدحضه بالحجة. ألم يكتشف أنها فكرة خاطئة منذ وقت طويل؟ حتى أنه كان لها اسم، غير أنه نسيه. وارتعشت ابتسامة خفيفة على جانبي فم أوبرين وهو ينظر الى ونستون.

قال أوبرين: (قلت لك يا ونستون أن الميتافيزيقا هي ليست من ميزاتك البارزة. ان الكلمة التي تحاول أن تتذكرها هي الأناية*، غير أنك مخطيء، فهذه ليست أناية. انها أناية جماعية اذا شئت. ولكن الأمر مختلف هنا: في الحقيقة، انه الشيء المضاد). وأضاف بلهجة مختلفة: (ان ذلك كله انحراف عن الموضوع الرئيسي. السيادة الحقّة، والسلطة التي نحارب من أجلها ليل نهار، هي ليست السيطرة على الأشياء، بل السيطرة على الناس). وتوقف عن الكلام وانتحل مظهر المعلم الذي يستجوب تلميذا واعداء:

(كيف يؤكد شخص واحد سلطته فوق انسان آخر، يا ونستون؟)
فكر ونستون ثم قال: (عن طريق تعذيبه).

(بالضبط. عن طريق تعذيبه. الطاعة وحدها ليست كافية. كيف تستطيع التأكد من أنه يخضع لارادتك هو ما لم يتعذب؟ تكمن السلطة في انزال الألم والاذلال، وفي تمزيق العقول البشرية اربا اربا، واعداد تركيبها ثانية في أشكال جديدة تتفق ورغبتك. هل بدأت تدرك اذن ما نوع العالم الذي نقوم باحداثه؟ انه بالضبط نقيض المدن الفاضلة الغبية التي تخيلها المصلحون القدامى. عالم من الخوف والغدر والعذاب، عالم تسحق فيه الاخرين كما تسحق فيه بدورك، عالم يصبح أكثر قسوة وهو يصقل نفسه. سيكون التقدم في عالمنا نحو مزيد من الألم. ادعت الحضارات السابقة أنها قامت على الحب والعدالة. ان عالمنا قائم على الكراهية. لن تكون في عالمنا عواطف وأحاسيس غير الخوف، والغضب الشديد، والنصر والفرحة به، واذلال النفس واحتقارها. سوف نحطم كل شيء آخر - كل شيء. اننا نحطم الان الأعراف والعادات التي بقيت حية من عادات وأعراف ما قبل الثورة. لقد قضينا على الروابط بين الطفل والديه، بين الانسان والانسان، وبين الرجل والمرأة. لا أحد يجرؤ على أن يثق بزوجه أو بطفل أو بصديق بعد الآن. غير أنه لن يكون هناك زوجات ولا أصدقاء في المستقبل، فسوف يؤخذ الأطفال من أمهاتهم عند الولادة، كما يأخذ المرء بيض الدجاجة. وسوف تستأصل الغريزة الجنسية، وسيكون الانجاب عبارة عن اجراء

* النظرية التي تقول بأن لا وجود لأي شيء غير الأنا.

سنوي شكلي مثل تجديد بطاقة المؤمن. وسوف نلغي هزة التهيج الجنسي، ويعمل أطباؤنا للأمراض العصبية، في الوقت الحاضر، من أجل تحقيق ذلك. ولن يكون هناك أي ولاء باستثناء الولاء للحزب. ولن يكون هناك أي حب الا حب الأخ الكبير. لن تكون هناك بهجة غير بهجة الانتصار على عدو منهزم. ولن يكون هناك فن أو أدب أو علم، ولن نحتاج الى العلم عندما نصبح أصحاب السلطة المطلقة. لن يكون هناك تمييز بين الجمال والقبح، ولن يكون هناك فضول، ومع مرور الزمن، لن يكون هناك استمتاع بالحياة. سوف تدمر جميع ملذات الحياة المتنافس عليها. ولكن سيكون هناك بصورة دائمة الشعور بنشوة السلطة المتزايدة باضطراب والتي تزداد مكررا ودهاء بشكل مستمر. وستكون هناك في كل لحظة ومن غير انقطاع، رعشة الانتصار، والشعور بأنك تسحق عدوا عاجزا بأقدامك. وإذا ما أردت صورة للمستقبل فتخيل حذاء يدوس بقوة وجها بشريا الى الأبد).

وتوقف كأنه توقع أن يتكلم ونستون الذي حاول التقهقر نحو سطح السرير ثانية، وعجز عن أن يقول شيئا. وترأى له ان قلبه قد تجمد. استأنف أوبرين كلامه:

(وتذكر ان ذلك الى الأبد وأن الوجه سيكون موجودا كي يداس عليه بقوة. ودائما سيكون هناك الهرطوقي، عدو المجتمع حتى يمكن قهره وانزاله المره تلو المره. وسيستمر كل ما قاسيته منذ وقوعك في قبضتنا بل وأسوأ منه، ولن تتوقف عمليات التجسس، والخيانة، والاعتقالات، والتعذيب، وتنفيذ أحكام الاعدام والاختفاءات ابدًا. وسيكون عالما من الرعب بقدر ما سيكون عالما من الانتصار. وكلما ازداد الحزب قوة أصبح اقل تسامحا: كلما ضعفت المعارضة اشتد الاستبداد. وسوف يعيش جولد ستاين وبدعه وهرطقته الى الأبد. ومع أنها ستهزم وتشوه سمعتها، ويسخر منها، ويبصق عليها في كل يوم، بل وفي كل لحظة، غير انها ستبقى حية دائما. وسوف يعاد تمثيل المسرحية التي قمت بتمثيلها معك خلال سبع سنوات، المره تلو المره جيل بعد جيل، ودائما في أشكال أكثر مهارة ومكررا. وسيكون عندنا دائما الهرطوقي تحت رحمتنا هنا، ويصرخ من الألم، محطما، جديرا بالازدراء، ويصبح في النهاية نادما تماما، ومنقذا من نفسه، زاحفا تحت أقدامنا من غير اكرام. ذلك هو العالم

الذي نعدده يا ونستون عالم يسير من ظفر الى ظفر، ومن انتصار عسكري الى آخر: ضغط لا نهائي، ضغط، ضغط على أعصاب السلطة. باستماعتي أن أرى أنك بدأت تدرك ما سيكون عليه ذلك العالم، ولكنك في النهاية ستقوم بأكثر من فهمه، انك ستقبله، وترحب به، وتصبح جزءاً منه).

استعدا ونستون رشده الى الحد الذي يسمح له بالكلام وقال بضعف: (انكم لا تستطيعون ذلك).

(ماذا تعني بذلك القول، يا ونستون؟)

(انكم لا تستطيعون احداث عالم هكاذبي وصفته الان انه حلم، انه

مستحيل).

(ولماذا؟)

(لأنه من المستحل اقامة حضارة مبنية على الخوف والحقد والقسوة. ان

تبقى أبداً).

(ولم لا؟)

(لأنه لن يكون لديها النشاط والحوية اللازمين للبقاء. انها سوف تنحل.

انها سوف تنتحر).

(هراء. انك تحت تأثير الانطباع بأن الكرامية هي أكثر استنزافاً من

الحب. لماذا يجب أن يكون الأمر كذلك؟ وحتى لو كان الأمر كذلك، فما هو

الفرق؟ لنفرض أننا نرغب في ارهاق أنفسنا بصورة أسرع، ولنفرض أننا نعمل

سرعة حركة ونشاط الحياة البشرية حتى يشيخ الناس في الثلاثين من العمر. ما

أهمية ذلك؟ ألا تستطيع أن تدرك أن موت الفرد ليس موته؟ ان الحزب هو الخالد

الذي لا يموت.)

وكالعادة سحق الصوت ونستون لدرجة اليأس. علاوة على ذلك، كان

يخشى أنه اذا ما استمر في معارضته فان اوبرين سيلجأ الى القصر المرقم

ثانية. ومع ذلك فانه لم يستطع التزام الصمت، وبضعف ومن غير أن يكون

لديه براهين، أو أي شيء يدعمه سوى رعيه الشنيد الذي يعجز عن التعبير عنه

مما قال اوبرين، عاد الى الهجوم:

(انتي لا أدري - ولا يهتمي. انكم ستفشلون بطريقة أو بأخرى - شيء ما

سيهزمكم، ستهزمكم الحياة).

(اننا نسيطر على الحياة في جميع مستوياتها يا نستون. انك تعتقد ان هناك شيئا يسمى الطبيعة البشرية التي ستغضب وتثور ضدنا بسبب ما نقوم به من أعمال. ولكننا نحن الذين نبتدع الطبيعة البشرية. ان الناس قابلون للتكيف بلا حدود أم أنك قد عدت لرأيك القديم بان العمال أو العميد سينهضون ويطيحون بنا. أطرد ذلك من ذهنك. انهم عاجزون كالحبوانات. الحزب هو البشرية. أما الآخرون فهم الجزء الخارجي - لالعلاقة لهم بالموضوع).

(ان ذلك لا يهمني. انهم سيتغلبون عليكم في النهاية، وسوف يرونكم على حقيقتكم ان عاجلا او آجلا. وعند ذلك سيمزقونكم اربا اربا).

(هل ترى أي دليل على أن ذلك سوف يحدث؟ أو أي سبب على وجوب حدوثه؟)

(كلا. انني أو من به، أعرف أنكم ستفشلون. هناك شيء في الكون - لست أدري ما هو، روح ما، مبدأ ما ان يمكنك التغلب عليه أبدا).

(هل تؤمن بالله، ونستون؟)
(كلا).

(انن ما هو هذا العيبا الذي سيتغلب علينا؟)
(لا أدري، روح الانسان).

(وهل تعتبر نفسك انسانا؟)
(نعم).

(ان كنت انسانا يا ونستون، فأنت الانسان الأخير. ان ثووك منقرض، ونحن الوراثون. تغيير أسلوبه وقال بقسوة أكثر: وتعتبر نفسك متفوقا علينا أخلاقيا بسبب أكانبينا وقسوتنا؟)
(نعم، انني أعتبر نفسي أفضل).

لم يتكلم أوبرين. كان هناك صوتان يتكلمان، وبعد برهة وجيزة ادرك ونستون أن احد الموتين كان صوته هو. كان تسجيلا صوتيا للحديث الذي دار بينه وبين اوبرين في الليلة التي سجل نفسه في منظمة الاغذاء. سمع نفسه وهو يتعهد ان يكذب ويسرق، ويزيف، ويقتل ويشجع على تعاطي المخدرات

والبغاء، وينتشر الأمراض الجنسية، ويقذف حامض الكبريتيك على وجه طفل.
قام أوربرين بحركة طفيفة تنم عن نفاق الصبر كأنه يقول: ان الشرح لا يستحق
الجهد الذي بذله، ثم أدار مفتاحا كهربائيا وتوقفت الأصوات.

(قال: انهض عن ذلك السرير)

لقد انحلت القيود تلقائيا، ودلى ونستون نفسه الى الارض ووقف
مترنحا. قال اوربرين: (انك آخر رجل. أنت حامي الروح البشرية،
سترى نفسك على حقيقتها. انزع ملابسك) .

فك ونستون الحبل الصغير الذي كان يربط سرواله، وكان زمام السحاب
قد انتزع منذ وقت طويل. لم يستمع أن يتذكر ما اذا كان قد خلع ثيابه كلها
في اي وقت منذ ان القي القبض عليه. وتحت سرواله كان جسمه محاطا بأسمال
بالية قفزة ومائلة الى الصفرة يصعب تمييزها على أنها بقايا ملابس داخلية.
وعندما سحبها الى الأرض، لاحظ وجود امرأة ذات أفلاخ ثلاثة في الطرف البعيد
من الغرفة. دنا منها، ثم توقف فجأة وقد انماقت منه صيحة لا ارادية.

قال اوربرين: (ميا تقدم. قف بين جانبي المرأة، وسترى المنظر الجانبي
ايضا) .

لقد توقف لأنه أحس بخوف عندما رأى شيئا كغيبا شبيها بالهيكل
العظمي يتجه نحوه. لم تكن معرفة ان هذا الشيء المرعب هو ذاته فحسب، بل
كان مظهره الفعلي مرعبا. واقترب من المرأة أكثر. بدا وجه المخلوق الذي
أمامه بارزا بسبب شكله المنحني. كان وجهها بانسا لسجين مرمن جبهته أنيقة
ممتدة نحو رأس أصلع، ورأى أنفا معقوفا وعظام وجنتين بدت كأنها مهشمة
تعلمهما عيانا يقطنان. وبدت الوجنتان مجعنتين والفم منكسما. كان الوجه
وجهه بالتأكيد، ولكن تراءى له أن التغيير الذي اعتراه كان أكبر من التغيير
الذي أصابه في داخله، لأن الأحاسيس التي عبر عنها اختلفت عن تلك التي أحس
بها. لقد أصابه صلغ جزئي، وظن للوهلة الأولى أنه شاب أيضا غير أن فروة
رأسه هي التي اصبحت كالحة. كان جميع جسمه، باستثناء يديه واستدارة
وجهه، كغيبا كالحا بسبب تراكم قذارة قديمة متأملة، وتحت القذارة كانت

أثار جروح حمراء هنا وهناك، وكان الجزء المتفوح حول الكاحل كتلة ملتصبة تنسلخ عنها رقائق من الجلد. غير ان مزال جسمه هو الشيء المخيف حقا. لقد نحل صندوق الأضلاع وضاق حتى أصبح كالهيكل العظمي، وتقلص ساقاه لدرجة أصبحت معها الركبتان أكثر بديانة من الفخذين. أدرك مانا عني اوبرين بشأن رؤية المنظر الجانبي من جسمه. كان تقوس العمود الفقري مذهلا، وقد احدروب منكباه النحيلين لدرجة احدثا معها تجويفا في الصدر وريبا عنقه الضامر منحنيًا بصورة مزروجة تحت ثقل جمجمة راسه. ولو طلب منه ان يخمن لقال ان جسمه جسم رجل في الستين من العمر يعاني من مرض خبيث مميت.

وقال له اوبرين: (كنت تفكر احيانا ان وجهي - وجه أحد أعضاء الحزب المركزي يبدو مقدما في السن مرهقا. فما رأيك بوجهك أنت؟)

امسك بمكعب ونستون واداره بسرعة حتى أصبح مواجهها له وقال:
(أنظر الى الحالة التي صرت اليها. أنظر الى هذه القنطرة التي تغطي جسمك كله. أنظر الى الرسخ الذي بين أصابع قدميك. أنظر الى القرحة التي تفرز القيح على ساقك والتي تثير الاشمئزاز. أتدري ان رناحتك كريمة ننتة مثل رناحة الماعز؟ قد تكون ترفقت عن ملاحظة ذلك. انظر الى مزالك. انني استطيع ان اطوق عضلتك التي في أعلى ذراعك بابهاهي وسبابتي، برسعي أن اكسر عنقك كما اكسر الجزيرة. اتدري انك فقدت ما مقداره خمسة وعشرون كيلوغراما منذ ان وقعت في ايدينا؟ وحتى شعرك أخذ يتساقط في حفنات. أنظرا) وأمسك برأس ونستون وسحب خصلة منه قائلا: (افتح فمك، تسعة، عشرة، أحد عشر سنا بقيت. كم كان عددا عندما اتيت اليها؟ والأسنان القليلة المتبقية أخذة بالتساقط من فمك. أنظر هنا)

وأمسك بأحد أسنان ونستون الأمامية المتبقية بين ابهامه وسبابته القويتين، وشعر ونستون بوحزة ألم حادة في فمك، لقد انتزع اوبرين السن المتقلبة من الجذور وقذفها عبر الزنزانة قائلا:

امسك بمكعب ونستون واداره بسرعة حتى أصبح مواجهها له وقال:

(أنظر الى الحالة التي صرت اليها. أنظر الى هذه القذارة التي تغطي جسمك كله. أنظر الى الوسخ الذي بين أصابع قدميك. أنظر الى القرحة التي تفرز القيح على ساقك والتي تثير الاشمئزاز. أتدري ان رائحتك كريهة نتنة مثل رائحة الماعز؟ قد تكون توقفت عن ملاحظة ذلك. انظر الى هزالك. انني استطيع ان اطوق عضلتك التي في أعلى ذراعك بابهامي وسبابتي. بوسعي أن اكسر عنقك كما اكسر الجزرة. أتدري انك فقدت ما مقداره خمسة وعشرون كيلوغراما منذ ان وقعت في ايدينا؟ وحتى شعرك أخذ يتساقط في حفنات. أنظر!) وأمسك برأس ونستون وسحب خصلة منه قائلا: (افتح فمك. تسعة، عشرة، أحد عشر سنا بقيت. كم كان عددها عندما اتيت الينا؟ والأسنان القليلة المتبقية أخذة بالتساقط من فكك. أنظر هنا!)

وأمسك بأحد أسنان ونستون الأمامية المتبقية بين ابهامه وسبابته القويتين، وشعر ونستون بوخزة ألم حادة في فكه، لقد انتزع اوبرين السن المتقلقلة من الجذور وقذفها عبر الزنانة قائلا:

(انك تتعفن وتبلى، انك تنهار. ما أنت؟ كيس من القذارة. والان استدر وانظر في المرأة مرة أخرى. هل ترى ذلك الشيء الذي يواجهك؟ انه آخر انسان ان كنت انسانا، تلك هي البشرية. والان ارتد ملابسك مرة ثانية).

أخذ ونستون يرتدي ملابس بحركات بطيئة متيبسة. لم يكن قد لاحظ حتى الان هزاله وضعفه. ثارت في ذهنه فكرة وحيدة وهي أنه مكث في هذا المكان وقتا أطول مما تصور. وبينما كان يثبت الأسمال البالية حول جسمه، استولى عليه فجأة شعور بالأسف والرتاء لأجل جسمه المتهدم. وقبل أن يدرك ما كان يفعله انهار على كرسي صغير بجانب السرير وأجهش بالبكاء. أدرك قباحته وعدم رشاقتة، اصبح عبارة عن حزمة من العظام داخل ملابس رثة قذرة جالسا ينتحب تحت الضوء الأبيض المؤلم؛ غير أنه لم يستطع أن يمنع نفسه. وضع اوبرين يده على منكبه بعطف تقريبا وقال:-

(لن يدوم ذلك الى الأبد. بوسعك أن تنجو منه متى شئت. كل شيء يعتمد عليك نفسك).

قال ونستون منتحبا: (أنت فعلت ذلك. أنت الذي أوصلتني الى هذه الحالة).

(كلا، يا ونستون. أنت أوصلت نفسك اليها. هذا ما رضيت به عندما قررت أن تكون ضد الحزب. كان كله متضمنا في ذلك القرار الأول. لم يحمل أي شيء لم تكن تتوقعه أو تتجنبها به)

توقف ثم تابع كلامه قائلا:

(لقد فهمتاك يا ونستون. لقد حطمتاك. لقد رأيت بنفسك كيف يبدو جسمك. ان عقاك في نفس الحالة. لا أعتقد أن قدرا كبيرا من الكبرياء قد بقي لديك. لقد ركبت وجلدت وأمنت، لقد مرخت من الألم، لقد تعلمت على الأرض في دمك وتقيماك. لقد نشجت طلبا للرحمة، لقد خنت كل انسان وكل شيء. هل بوسعك أن تفكر باهانة واحدة لم تلحق بك؟)

كان ونستون قد كفى عن البكاء رغم أن عبراته كانت ما تزال تسبح من عينيه. نظر الى أوبرين وقال: (لم أكن جوليا).

نظر اليه أوبرين بتأمل وقال: (كلا، كلا، ان هذا صحيح تماما. انك لم تكن جوليا).

غمر الشعور المتسم بالاحترام والذي لم يستطع أي شيء القضاء عليه قلب ونستون ثانية. ما أشد ذكاءه. فكر، ما أشد ذكاءه! لم يعجز أوبرين عن فهم ما يقال له أبدا. لو وضع أي انسان غيره في مكانه لأجاب على الفور أنه قد خان جوليا، لأنه لم يبق شيء لم ينتزعه منه بالقوة وهو تحت التعذيب. لقد أخبرهم بكل ما كان يعرفه عنها، عاداتها، أخلاقها، حياتها الماضية، واعترف بأدق التفاصيل ابتداءا عن كل ما حصل أثناء لقائاتهما، جميع ما قالته له، وحياتهما التي كانا يشتركيانها من السوق السوداء، وما قاما به من الزنى ومن المؤامرات الغامضة ضد الحزب - كل شيء. ومع ذلك فإنه لم يكن قد خانها حسب ما عنى في كلمته. لم يكن قد توقف عن محبتها، لقد ظلت مشاعره تجاهها على حالها لم تتغير. وقد فهم أوبرين ماذا عنى ونستون دون اللجوء الى تفسير.

سأل ونستون: (أخبرني متى سيملقون النار علي؟)

أجاب أوربرين: (قد يستغرق ذلك وقتا طويلا. أنت حالة صعبة. ولكن لا تفقد الأمل. يشف الجميع ان عاجلا أو آجلا. سنطلق عليك النار في النهاية).

ع

تحسنت ونستون كثيرا، وازداد سمعة وقوة يوما بعد يوم، هذا ان كان من اللائق التحدث عن الأيام.

ظل الضوء الأبيض والصوت العنان كما كانا عليه دائما، غير أن الزلزلة كانت أكثر راحة من الزلزلات التي كان فيها. كان على السيرير الخشبي وسادة، وكان هناك كرسي للجلوس عليه. لقد استحم، كما سمحوا له بالاختسال في حوض من الصفيح في فترات قصيرة الى حد ما، حتى أنهم كانوا يعطونه ماء حارا ليغتسل به، وأعطوه ملابس داخلية جديدة ورداء سرواليا نظيفا، وضمنوا قرحة الدوالي التي يعاني منها ووضعا عليها مرهما مخففا للألم. وانتزعوا ما تبقى من أسنانه وأعملوه مقلما جديدا من الاسنان الصناعية.

لا بد أن أسابيع أو أشهراً قد مضت. كان بإمكانه أن يحسب مرور الوقت لو رغب في ذلك لأنه يعلم في فترات منتظمة حسب ما تراءى له، قدر أنه كان يتلقى ثلاث وجبات خلال الأربع والعشرين ساعة، وتساءل بغموض أحيانا ما اذا كان يتلقاها خلال الليل أو خلال النهار. كان الطعام جيما بصورة مدهشة، فهو يحتوي على لحم في كل وجبة ثالثة، وذات مره جاءه مع الوجبة عليه سجانر، لم يكن لديه كبريت، غير أن الحارس الذي لا يتكلم أبدا والذي يحضر له طعامه كان يشعل له سيجارته. لقد أصيب بالغيثان عندما حاول أن يدخل للمرة الأولى، ولكنه واظب عليه، وأمال عمر العلية لوقت طويل عن طريق تدخين نصف سيجارة بعد كل وجبة.

لقد أعلموه لوجها أروازيا* للكتابة ومعه عقب قلم رصاص مربوطا الى زاريطه. لم يستعمله في بادئ الامر لأنه كان بليبا تماما حتى وهو مستيقظ، وغالبا ما كان يستلقي دونما حراك بين الوجبة والأخرى في أحلام يقظته يتجشم خلالها عناء كبيرا في فتح عينيه. لقد اعتاد منذ وقت طويل على النوم وضوء قوي ساطع فوق وجهه، وتراءى له أنه لا يوجد أي فرق سوى أن أحلام المرء تكون أكثر ترابطا عند ما يكون الضوء ساطعا. كان يحلم كثيرا جدا خلال هذا الوقت، وكانت أحلامه دائما سعيدة. كان في البلاد الذمبية، أو أنه كان يجلس بين خرائب فضخة رائعة مشمسة ومعه والدته وجوليا وأوبرين - لا يقومون بعمل أي شيء، يجلسون تحت الشمس يتحدثون حول أشياء هادئة، وكانت أفكاره أثناء يقظته تدور في الغالب حول أحلامه. تراءى له بعد أن أزيل المسبب للألم، أنه قد فقد القدرة على القيام بأي جهد فكري، لم يكن ضجرا، ولم تكن لديه الرغبة في الحديث والتسلية، كان قانعا تماما في أن ينظر وحييا، وأن لا يضرب أو يستجوب، وأن يكون عنده ما يكفي من الطعام، وأن يكون جميع جسمه نظيفا.

وبالتدريج أخذ يقضي وقتا أقل في النوم، ولكنه ظل غير راغب في ترك السرير. كل ما كان يهمه هو أن يشعر أن القوة تعود الى جسمه. كان يتحسس نفسه مارا بأصابعه هنا وهناك محاولا أن يتأكد من أن عضلاته تزداد استدارة، وأن جلده يزداد صلابة، وأن الأمر ليس وهما أو خداعا. وأخيرا ثبت بما لا يدعو مجالا للشك، أنه ازداد سمجة، فقد أصبح فخذاه أكثر بديانة من ركبتيه. بعد ذلك، أخذ على مضض في بادئ الامر، يتمرن بانتظام، وبعد مدة قصيرة أصبح بوسعه أن يمشي ثلاثة كيلومترات، تقاس عن طريق نزع الزنزانة ذميا وآيبا، وأخذ منكبا المنحنيان يزادان استقامة. ثم حاول القيام بتمارين أكثر تطورا وتعقيدا، واستولى عليه الذهول والخزي عندما اكتشف الأشياء التي لم يستطع القيام بها. لم يستطع أن يتحرك خارج طريق الحارس، ولم يستطع حمل كرسيه لمسافة ذراع، ولم يستطع الوقوف على قدم واحدة دون أن يقع. كان يجلس القرفصاء عندما اكتشف أنه لم يستطع رفع

* مخز يسهل قطعه الى الراح نكس بها السقوف أو تمنع للكتابة.

نفسه حتى يصبح في وضع منتصب الا بصعوبة مصحوبة بالألم مبرحة في الفخذ وفي بطة الساق. استلقى على بطنه وحاول رفع نفسه بيديه، فلم يستطع ذلك لسنتيمتر واحد، كان ذلك مستحيلا. ولكنه بعد أيام ووجبات قليلة أنجز ذلك العمل البطولي الفذ. وجاء وقت استطاع خلاله القيام بهذا العمل ست مرات متعاقبة. أصبح فعلا فخورا بجسمه، وأخذ يتعلق بالاعتقاد بشكل متقطع أن وجهه يعود تدريجيا لحالته الطبيعية. كان يتذكر الوجه المغضن المحطم الذي اطل عليه من المرأة، كلما وضع يده على فروة رأسه الأملع.

أصبح ذهنه أكثر نشاطا وفعالية. كان يجلس على السرير الخشبي مستندا بظهره الى الحائط وواضعا لوح الكتابة الأردوازي على ركبتيه، ويأخذ يعمل بنشاط وتأن على تثقيف نفسه.

لقد استسلم وكفّ عن المقاومة، وهو أمر متفق عليه. أدرك الان أنه كان في الحقيقة على استعداد للاندفاع قبل أن اتخذ قراره بوقت طويل. فمئذ اللحظة التي دخل فيها وزارة الحب نعم، حتى خلال تلك الدقائق عندما وقف وجوليا عاجزين لا حول لهما ولا قوة والصوت القوي من الشاشة يأمرهما ماذا يعملان - أدرك عبث وضحالة محاولته في أن ينصب نفسه ضد نفوذ الحزب وسلمته. أدرك الان أن بوليس الفكر قد رافبه تحت عدسة مكبرة، كما يراقب خنفساء لمدة سبع سنوات. لم يكن قد فاتهم أي عمل جسدي، أو أية كلمة قيلت بصوت مسموع، ولم يعجزوا عن استنتاج أي تسلسل من أفكاره. حتى أنهم قد استبدلوا ذرة الغبار التي وضعها على غلاف دفتر يومياته بعناية. لقد أسمعوه تسجيلات صوتية وعرضوا عليه صوراً فوتوغرافية، بعضها صوراً لجوليا وله. نعم، حتى ... لم يعد بوسعه محاربة الحزب بعد الآن. علاوة على ذلك، فإن الحزب على حق. يجب أن يكون الأمر كذلك: ان كيف يمكن لدماغ خالد جماعي أن يكون مخطئا؟ وما هو المعيار الخارجي الذي يستطيع المرء عن طريقه أن يتحقق من أرائه وأحكامه؟ ان سلامة العقل هي عملية احصائية. يتمثل الأمر في أن يتعلم المرء كيف يفكر كما يفكرون ليس غير. إلا أن !

بدا القلم غليظا وبشعا بين أصابعه. أخذ يسجل الأفكار التي خطرت له. وكتب قبل كل شيء بحروف كبيرة غير متقنة:

الحرية هي العبودية

ثم سجل في أسفلها ومن غير توقف تقريبا:

الثان ذلك الثان لثاوي خمسة

غير ان نوعا من التوقف المفاجيء أصابه آنئذ، وبدا أن ذهنه عجز عن التركيز كأنه خجل من شيء ما. أدرك أنه كان يعرف ما يأتي بعد ذلك مباشرة، ولكنه لم يستطع أن يتذكره في تلك اللحظة. وعندما تذكره بالفعل كان ذلك عن طريق الاقناع الواعي بالحجة والمنطق ماذا يجب أن يكون: لم يأت طواعية أو من غير أكرام، وكتب:

الله هو السلطة

تقبل كل شيء. إن الماضي قابل للتغيير. لم يتغير الماضي أبدا. إن أوشانيا في حالة حرب مع أوستاسيا، وقد كانت دائما في حالة حرب مع أوستاسيا. كان جونز وأرنسون وروثرفورد مذنبين بالنسبة للجرائم التي اتهموا بارتكابها. لم يرَ الصورة التي تدحض اتهامهم أبدا. لم يكن لها وجود البتة. لقد اخترعها هو. كان يتذكر أشياء مناقضة ولكنها ذكريات كاذبة، نتاج خداع ذاتي. ما اسهل ذلك كله! استسلم ليس غير، وكل شيء آخر يتبع. إن الأمر أشبه بالسباحة ضد تيار يدفعك بقوة الى الخلف مهما كان عنف مقاومتك، وفجأة تقرر أن تنقلب على عقبك وتسير مع التيار بدلا من أن تقاومه. لا شيء قد تغير الا موقفك أنت: ومهما يكن من أمر، فالشيء المقدر حصل. لقد أدرك بصعوبة لماذا كان قد تمرّد في أي وقت. كل شيء كان هينا، لولا!

أي شيء يمكن أن يكون صحيحا. إن ما يسمى بقوانين الطبيعة ما هو الا هراء. لقد قال أوبرين: (لو أنني رغبت أن أطفو فوق هذه الأرض مثل فقاعة الصابون لفعلت). استنبط ونستون المسألة على النحو التالي، (اذا اعتقد أوبرين أنه يطفو فوق الأرض، واذا اعتقدت في نفس الوقت أنني أراه وهو يفعل ذلك، فان الشيء يحدث انز). وفجأة خطرت له الفكرة كما تبرز كتلة

من حطام سفينة غارقة الى السطح؛ (إن ذلك لا يحدث في الواقع. اننا نتخيله. إنه هنيئان وطموسة). وفي الحال دفع الفكرة بعيدا. فالمغالطة واضحة وهي تفتضي ضمنا عالما حقيقيا في مكان ما خارج المرء نفسه حيث تحدث فيه أشياء حقيقية. ولكن كيف يمكن وجود مثل هذا العالم؟ وما هي المعرفة التي نمتلكها حول أي شيء الا المعرفة التي تأتي من خلال عقولنا؟ إن جميع الأحداث موجودة في العقل، فمهما يحصل في جميع العقول، يحصل حقيقة.

لم يجد أية صعوبة في التخلص من المغالطة، ولم يكن في خطر الاستسلام اليها. ومع ذلك فقد أدرك بوضوح أنها يجب أن لا تكون قد خطرت في باله. وأن على العقل أن ينشئ منمنقة عمياء (منمنقة في أدراك المرء يعجز معها عن الفهم أو التمييز) كلما بدت له فكرة خطيرة. ويجب أن تكون العملية آلية غريزية، وهو ما يسمونه في اللغة الجديدة منع الجريمة.

وبأ يدرّب نفسه بنشاط على عملية منع الجريمة. قدم لنفسه افتراضات وقضايا - يقول الحزب أن الأرض مسطحة، وأن الثلج أثقل من الماء، ودرّب نفسه على عدم رؤية أو فهم الحجج والبراهين التي تتعارض مع ذلك. لم يكن ذلك سهلا، بل احتاج الى قدرات عظيمة من التفكير والاستنتاج والارتجال. فالمشاكل الحسابية التي تشيورها، على سبيل المثال، جملة مثل اثنتان زائد اثنتان تساوي خمسة هي أعلى من ادراكه العقلي. وهي أيضا تحتاج الى نوع من النشاط الفكري، والى مقدرة تستطيع ان تستعمل المنطق استعمالا دقيقا للغاية في فترة ما، وأن تكون غير واعية لأبسط الأخطاء المحققة في اللحظة التالية. كان الغباء لازما مثل الذكاء، وكان احرازه صعبا مثل احراز الذكاء.

تساءل طوال هذه المدة، بجزء من ذهنه متى سيقطنه رميا بالرماس. لقد سبق لأوبرين أن قال له: (إن كل شيء يعتمد عليك)، ولكنه كان يعلم أنه لا يوجد أي عمل واع يستطيع بوساطته أن يقرب موعد رميه بالرماس. قد يتم ذلك بعد عشر دقائق أو عشر سنوات من الآن. قد يبقى فيه في سجن مفرد لسنوات، وقد يرسلونه لأحد معسكرات العمل الانزامي، وقد يطلقون سراحه لفترة ما كما يفعلون في بعض الاوقات. من الممكن أن تمثل مسرحية اعتقاله واستجوابه بكاملها مرة أخرى قبل أن يطلق عليه الرماس. إن الشيء المؤكد

أن الموت لا يأتي في اللحظة المتوقعة أبدا. كان العرف - العرف الذي لا يصح ذكره والذي يعرفه المرء بطريقة ما، مع أنه لم يسمعه يقال البتة - يتمثل في أنهم يطلقون النار على المرء من الخلف. و دائما في الرأس من الخلف، من غير تحذير أو ائثار أثناء مروره في الدمليز، عند انتقاله من زناينة لأخرى.

وفي يوم ما - ولكن يوما ما لم يكن التعبير الملائم، إذ من المحتمل أن يكون الوقت منتصف الليل، عندما استغرق مرة في تفكير حالم غريب سعيد، كان يسير في الدمليز ينتظر الرصاصة التي عرف أنها آتية في لحظة أخرى. كان كل شيء مقورا ومهدا ومنتهيا. لم يعد هناك شكوك، أو مناقشات أو ألم أو خوف بعد الآن. كان جسمه سليما وقويا. أصبح يسير بيسر وسهولة، ويستمتع بالحركة يصاحبها شعور أنه يسير في ضوء الشمس. لم يعد في أروقة وزارة الحب الضيقة البيضاء، كان في ممر ضخم مشمس عرضه كيلومترا، وقد تراءى له أنه في حالة من الهذيان الناتج عن تعاطي المخدرات. كان في البلاد الذهبية، يسير في طريق عبر مرعى قديم قضمت الأرانب العليا من حشائشه، وقد استطاع أن يحس العشب اللين القصير تحت قدميه، وأشعة الشمس اللطيفة على وجهه. وكانت أشجار الرندار في طرف الحقل تتحرك ببطء، وفي مكان ما وراء ذلك يوجد النهر الذي يستلقي سمك الناس الصغير في بركة الخضراء تحت أشجار المصفاة.

وفجأة قفز بفعل صدمة مرعبة والعرق يتفقد من سلسلته الفقرية. لقد سمع نفسه يصرخ بصوت عال : (جوليا! جوليا! جوليا! حبيبتي جوليا)

استولى عليه هذيان ساحق بوجودها لبرهة قصيرة، وتراءى له أنها لم تكن معه فحسب، بل وفي داخله، وكأنها قد تسربت الى تركيبة جلده. لقد أحبها في تلك اللحظة كما لم يحبها من قبل عندما كانا حزينين طليقين. وأدرك أيضا أنها ما تزال على قيد الحياة في مكان ما، وأنها بحاجة الى مساعدته.

استلقى على السرير ثانية وحاول أن يهدئ نفسه. ماذا تراه فعلا؟ كم عاما أضاف الى عبوديته عن طريق تلك اللحظة من الضعف؟ سوف يسمع خلال لحظة أخرى صوت الأحذية في الخارج. لا يمكن أن يسمحوا لمثل هذا الهذيان

العاطفي أن يمر دون عقاب. سيدركون الآن، انا لم يدركوا من قبل، أنه نقض الاتفاقيّة التي أبرمها معهم، بأنه رضخ للحزب، غير أنه ما يزال يكره الحزب، وأنه اضفى في الأيام الماضية عقلا راديكاليا تحت ستر من الامتثال والضعف. لقد ارتد الان خطوة أبعد: لقد خضع في العقل، ولكنه أتل في أن يحفظ القلب الداخلي سليما صافيا. أترك أنهم سوف يقررون اطلاق النار عليه في يوم ما. ليس بوسع المرء ان يعرف متى سيحدث ذلك، ولكن يمكنه تخمينه قبل ثوان قليلة من التنفيذ. يتم ذلك دائما من الخلف في أثناء سير المرء في دمليز. إن عشر ثوان تكفي، وفي ذلك الوقت سينقلب العالم الذي في داخله. وفجأة ودون أن يتيسر ببنت شفة، ومن غير توقف في سيره، أو تغيير في خطوط وجهه - سيسقط الخناق والزيغ وستنفجر تجمعات كراهيته المتراكمة بعنف. ستملأ الكراهية مثل لهب هادر هائل. وفي نفس اللحظة تقريبا ستنتلق الرصامة مدوية إما متأخرة جدا او مبكرة جدا. وقبل ان يستطيعوا استرداد دماغه يكونون قد فجروه اربا اربا. وسيذهب الفكر الراديكالي الذي في داخله من غير عقاب، من غير ندم، وسيكون بعيدا عن متناول يدهم الى الابد. وبذلك يكونون قد أهدموا ثغرة في كمالهم، إن الحرية هي أن يموت المرء وهو بكرههم.

وأغضب عينيه. كان الأمر أصعب عليه من قبول انضباط فكري، إنها قضية إهانة وتشويه للنفس. فهو مضطر لان يغوص الى اقتر أنواع القنارة. ما هو أعظم الامور رهبة وغثيانا؟ فكر بالاخ الكبير، الوجه الضخم الشنيع (ولأنه يراه باستمرار على الملصقات والاعلانات اعتقد أن عرضه يبلغ مترا)، يشاربه الاسود الكث والعينين اللتين تلاحقان الناظر اليه في الذهاب والاياب، طاف في ذهنه من غير اكراه، ما هي مشاعره الحقيقيّة تجاه الاخ الكبير؟ كان مضطحا، ولكنه فضل أن يكون مضطحا. سيفهمون ذلك - سيفهمه أوبرين. اعترف في تلك المرخة الوحيدة الحمقاء بكل شيء.

سيكون لزاما عليه أن يبدأ من جديد، وقد يستغرق الامر اعواما. من بينه على وجهه في محاولة منه لجعل الشكل الجديد مأروفا لديه. كانت هناك تجمعات عميقة في الوجدتين اللتين بدت عقلامهما حادة عند اللمس، كما بدأ الانف مسطحا. وعلاوة على ذلك، فقد اعطي طقم أسنان كامل جديد منذ أن رأى

نفسه في المرأة لآخر مرة. ليس من السهل المحافظة على الغموض عندما يجهل المرء شكل وجهه، ومهما يكن من أمر فإن مجرد السيطرة على قسماات الوجه غير كافية. لقد أدرك لأول مرة أنه اذا ما اراد المرء الاحتفاظ بأي سر، فيجب عليه أن يخفيه عن نفسه، وعليه أثناء ذلك أن يعرف أنه موجود، وأن لا يسمح له بالخروج الى منلقة الوعي أبدا في أي شكل يمكن تسميته الا عند الحاجة. من الان فصاعدا ليس عليه أن يفكر بطريقة صحيحة فحسب، بل عليه أن يشعر وأن يحلم بطريقة صحيحة ملائمة. وفي أثناء ذلك عليه أن يحتفظ بكراميته محبوسة في داخله كما لو كانت كيسا من صديد والذي يعتبر بمثابة جزء منه، ولكنه غير مرتبط مع سائر جسمه، كيس صغير من نوع ما.

سمع وقع اقدم ثقيلة في الدهليز، وفتح الباب الحديدي محدثا صوتا، ودخل أوبرين الزنزانة والضابط ذو الوجه الشاحب كالشمع والحراس ذو البزات السوداء وراءه.

قال أوبرين: (انهض وتعالى الى هنا).
وقف ونستون قبالتة. أخذ أوبرين كتفي ونستون بين يديه القويتين وتفرس فيه عن قرب. وقال: (لقد كانت لديك نوايا لخداعي. كان ذلك غباء منك. قف منتصبا أكثر وانظر اليّ).

توقف عن الكلام ثم تابع بلهجة أكثر رقة:
(انك تتقدم. غير أن فيك مقدار ضئيل من الخطأ من الناحية الفكرية. لقد فشلت في احراز أي تقدم من الناحية العاطفية. أخبرني ونستون - وتذكر، لا أكاذيب: أنت تعلم أنني قادر دائما على اكتشاف الكذب - أخبرني ما هي مشاعرك الحقيقية تجاه الاخ الكبير؟)
(إنني أكرمه).

(إنك تكرمه. حسنا. انن فقد حان الوقت لتأخذ الخطوة الأخيرة: يجب عليك أن تحب الأخ الكبير. لا يكفي أن تطيعه وترضخ له: يجب عليك أن تحبه).

أطلق ونستون من بين يديه ودفعه دفعة خفيفة نحو الحرس وقال:
(الغرفة ١٠١).

عرف في كل مرحلة من مراحل سجنه، أو تخيل أنه كان يعرف، مكان وجوده من البناء الخالي من التوافد. من المحتمل أنه كانت هناك اختلافات بسيطة في ضغط الهواء. تقع الزنزانات التي ضربه الحراس فيها تحت سطح الأرض، أما الغرفة التي استجوبه فيها أوبرين فكانت عالية وقريبة من السقف. أما هذا المكان فيقع تحت الأرض بعدة أمتار، عميقا بقر ما يمكن للمرء أن يصل، وأكبر من معظم الزنزانات التي كان فيها. كان قلما يلاحظ ما يحيط به، أما في هذه المرة فقد لاحظ وجود منضبتين صغيرتين أمامه مباشرة، يغطي كلا منهما نسيج اخضر مثل الذي تكسى به مواند البليارد. وضعت أولاهما على بعد متر أو مترين منه، أما الثانية فكانت أكثر بعدا، قرب الباب. لقد ربط الى كرسي في وضع عمودي وعلى نحو محكم لم يستطع معه تحريك أي جزء من جسمه ولا حتى رأسه الذي شد من الخلف بوسادة رقيقة من نوع ما على نحو اضطره الى النظر أمامه مباشرة.

ظل وحيدا لفترة وجيزة، ثم فتح الباب ودخل أوبرين وقال:
 (سألتني ذات مرة ماذا يوجد في الغرفة ١٠١ وأجبتك أنك تعرف
 الإجابة عن سؤالك من قبل. كل انسان يعرف الجواب. أن الشيء الموجود في
 الغرفة ١٠١ هو أسوأ ما في العالم).

وفتح الباب مرة ثانية، ودخل أحد الحرس يحمل شيئا مصنوعا من
 الأسلاك، سلة أو صندوقا من نوع ما، وضعه على المنضدة البعيدة. لم يستطع
 ونستون رؤية ذلك الشيء بسبب الوضع الذي وقف فيه أوبرين.

قال أوبرين: (إن أسوأ ما في العالم يختلف من شخص لآخر. قد يكون
 الوأد، أو الموت حرقا، أو غرقا، أو الموت على خازوق أو خمسين ميتة أخرى،
 وهناك حالات يكون أسوأ ما في العالم فيها شيئا تافها أو عاديا تماما، وأنه غير
 مميت).

تحرك أوبرين قليلا الى الجنب حتى يستطيع ونستون رؤية الشيء الذي على الطاولة بصورة أفضل. كان قفصا مستطيلا من الأسلاك المعدنية في أعلاه مقبض يحمل بوساماته، وقد ثبت في واجهته شيء ما يشبه القناع الذي يلبس عادة عند المباراة بالسيف، واتجه جانبه المقعر نحو الخارج. ومع أن القفص كان على بعد ثلاثة أمتار أو أربعة من ونستون، إلا أنه استطاع أن يرى أنه مقسم بالطول الى قسمين مستقلين، في كل منهما نوع من المخوقات. لقد كانت جريزانا.

قال أوبرين: (بالنسبة اليك فقد اتفق أن تكون الجريزان أسوأ ما في العالم). لم يكذ ونستون يلمح القفص حتى انتابته رعشة أولية مخترقة، خوفا من شيء لم يكن متأكدا من مصدره، ولكنه فهم في تلك اللحظة الغرض من وجود الأداة التي تشبه القناع والملحقة في واجهة القفص على نحو جيد، وترأى له كأن أعضائه تحولت الى مياه.

صرخ في صوت عال أجش: (لا يمكنك أن تفعل ذلك. لا تستطيع، لا تستطيع! إن ذلك مستحيل).

سأله أوبرين: (هل تذكر لحظة الذعر التي كانت تنتابك في أحلامك؟ كان أمامك جدار من الظلمة، وفي أنفك صوت هادر عال، وكان في الجانب الاخر من الحائط شيء رهيب. كنت تعرف أنك تعرف ما هو ذلك الشيء، ولكنك لم تجرؤ على الكشف عنه. الجريزان هي التي كانت في الجانب الاخر من الحائط).

قال ونستون محاولا السيطرة على صوته: (أنت تعرف يا أوبرين أن هذا ليس ضروريا. ما الذي تريدني أن أفعله؟)

لم يعط أوبرين جوابا مباشرا، وعندما تكلم، كان ذلك بأسلوب المترس الذي يتمنعه أحيانا. ونظر في البعد وهو مستغرق في التفكير كأنه يخاطب جمهورا في مكان ما خلف ظهر ونستون وقال:

(إن الألم في حد ذاته غير كاف دائما. هناك مناسبات يرغب الانسان فيها

أن يقاوم الالام بعناد الى حد الموت. ولكن يوجد لكل انسان شيء لا يطيقه، شيء لا يمكن تخيله أو التفكير فيه، ولا تؤثر فيه الجراة والحجن، ان ليس من الجين أن تتشبت بحبل اذا ما سقطت من مكان عال، وليس من الجين أن تملأ ربتيك بالهواء اذا ما خرجت من تحت ماء عميق. انها غريزة فحسب ولا يمكن القضاء عليها. والأمر كذلك بالنسبة للجرزان. انها بالنسبة اليك لا تطاق. انها نوع من الضغط الذي لا تستطيع الصمود أمامه أو مقاومته حتى لو رغبت في ذلك. سوف تقوم بعمل ما يطلب منك).

(ولكن ما هو، ما هو؟ كيف أستطيع القيام به وأنا لا أعرف ما هو؟)

رفع أوبرين القفص وأحضره الى المنضدة الاكثر قريبا، ورضعه بعناية على الغطاء الممنوع من النسيج الأخضر. استطاع ونستون أن يسمع الدم ينن في أذنيه، وانتابه الشعور بالعزلة التامة، وبأنه في وسط سهل واسع كبير ليس فيه أحد، صحراء ممتدة يغمرها ضوء الشمس تأتيه عبرها جميع الأصوات عن بعد مسافات هائلة، مع أن قفص الجرزان كان يبعد عنه أقل من مترين. كانت جرزاننا ضخمة وفي عمر يصبح أنف الواحد منها فلما ضاربا وجله بيتا لا رماديا.

قال أوبرين، وهو لا يزال يحاطب جمهوره المحجوب: (مع أن الجرزان حيوان قارض الا أنه أكل لحوم. انك تعلم ذلك. لا بد وأنك سمعت عن الاشياء التي تحدث في الاحياء الفقيرة من هذه البلدة، ففي بعض الشوارع لا تجرؤ المرأة على ترك طفلها في البيت وحيدا حتى لمدة خمس دقائق لأن الجرزان تهاجمه من غير شك، وتجرده في وقت قصير من لحمه حتى العظم. وهي أيضا تهاجم المرضى أو المشرفين على الموت. انها تظهر نكاء مذهلا في معرفة الوقت الذي يكون فيه المرء عاجزا).

سمع من القفص انفجار من المرحلات العلوية الحادة. وتراءى لو نستون أنها تأتيه من مكان بعيد. كانت الجرزان تتقاتل وتحاول بلوغ بعضها بعضا من خلال الحاجز. وسمعت أيضا أنة عميقة ترحي باليأس. وبدت هي الأخرى وكأنها صدرت من خارج ذاته.

رفع أوبرين القفص وفي أثناء ذلك أدخل شيئا فيه بقوة. وسمعت فرقة حادة قام ونستون على أثرها بمحاولة شديدة الامتياح لانتزاع نفسه من الكرسي الذي كان مشدودا اليه، ولكن بدون جدوى، فقد شد كل جزء منه، حتى رأسه، بطريقة تمنعه من الحركة. حرك أوبرين القفص الى مكان أقرب حيث أصبح على بعد أقل من متر من وجه ونستون وقال:

(لقد ضغطت على الرافعة الأولى. انك تعرف تركيبة هذا القفص. ان القناع سيناسب رأسك بحيث لا يترك مخرجا. وعندما أضغط الرافعة الأخرى سينزلق باب القفص الى أعلى، وعندما ستطلق هذه الوحوش الجائعة كالرماس. هل رأيت في حياتك جرذا يقفز في الهواء؟ ستقفز الى وجهك وتحفر فيه مباشرة. إنها أحيانا تهاجم العينين أولا، وهي أحيانا أخرى تشق الرجفات وتلتهم اللسان).

أصبح القفص أقرب واخذ قربه يزداد، وسمع ونستون صيحات حادة متعاقبة تراءى له كأنها تحدث في الفراغ الذي فوق رأسه. غير أنه قاوم لهعه بقوة. يجب أن يفكر، يفكر حتى آخر جزء من الثانية المتبقية، كان التفكير أمه الوحيد. وفجأة نفذت الى أنفه رائحة الوحوش الكريهة العفنة، فانتابه اضطراب عنيف من الاشمئزاز والغثيان الشديدين أفقده وعيه تقريبا. وأظلم كل شيء، وأصبح لبرمة قصيرة مجنونا، حيواتا صارخا، ومع ذلك فقد استعاد وعيه وهو يتشبث بفكرة. هناك طريقة وحيدة لانتقان نفسه. يجب عليه أن يقحم انسانا آخر - جسد انسان آخر - بينه وبين الجردان.

كان محيط القناع من الاتساع بحيث يحجب رؤية أي شيء آخر، وكان الباب المصنوع من الاسلاك يبعد عن وجهه مسافة شبرين. لقد ادركت الجردان ما سيحدث الان، وأخذ أحدهما يقفز صعورا وتزولا. أما الآخر، الذي كان جذا كبيرا كثير الحرافغ من البالوعات، فقد وقف متمسبا ويده الحمر اوان على القفصيان يستنشق الهواء بضراوة. استطاع ونستون رؤية الشارب والاسنان الصفراء، واستولى عليه الهلع الشديد المظلم الذي أفقده وعيه وجعله اعمى يائسا.

قال أوبرين بطريقته الواعظة المألوفة: (كان هذا قصاصا شائعا في الامبراطورية الصينية).

أخذ القناع يطبق على وجهه ومسّ السلك وجنتيه. وعندئذ - كلا، لم يكن بديلا، بل مجرد أمل فحسب، جزءا صغيرا من أمل. قد يكون متأخرا أكثر مما ينبغي. ولكنه ادرك فجأة أن انسانا واحدا في العالم اجمع يمكنه ان يحول قصاصة اليه - جسما واحدا يستطيع ان يقحمه بينه وبين الجردان. وأخذ يصرخ باهتياج شديد المرة تلو الاخرى.

افعل ذلك لجوليا؟ افعله لجوليا! لا تفعله لي! جوليا! لا يهمني ما تفعلونه لها. مزقوا وجهها، جردوا لحمها حتى العظام. ليس أنا! جوليا! ليس أنا

أحس كأنه يسقط في اتجاه عكسي الى اعماق هائلة بعيدا عن الجردان. كان ما يزال مشدودا الى الكرسي، ولكنه سقط من أرض الزنزانة، من خلال جدران المبنى، من خلال الارض، من خلال المحيطات، من الجو، الى الفضاء الخارجي، الى الخلقان الواقعة بين النجوم - بعيدا بعيدا، دائما بعيدا عن الجردان. أصبح على بعد سنوات ضوئية - ولكن أوبرين ظل واقفا بالقرب منه، ولمسه السلك الباردة ما تزال على وجنته. غير أنه سمع من خلال الظلام الذي يلفه طقطقة معدنية أخرى أدرك على أثرها أن باب القفص قد أغلق وأنه لم يفتح.

٦

كان مقهى شجرة الكستناء فارغا تقريبا، وقد سقط شعاع ذهبي من ضوء الشمس وانحدر من النافذة على أغطية المناضد التي يعلوها الغبار. كانت الساعة الخامسة عشرة وهو الوقت الذي يوحى بالشعور بالوحدة والعزلة، وموسيقى خفيفة تنساب برقة من شاشات التلفزيون.

جلس ونستون في زاويته المعتادة يحدّق في كأس فارغة. وبين حين

وأخر كان يلقي نظرة عجلى على وجه ضخم يحدق اليه من الجدار المقابل. وكان التعليق الذي في أسفل الصورة يقول الاخ الكبير يراقبك. ومن غير طلب حضر النادل وملأ كأسه بعرق النصر مازجا معه بضع قطرات من قنينة أخرى ذات عمود دوران أجوف في سدادتها. كان سكرينا مع كبش قرنفل يضيفه المقهى الذي انفرده به ليعطي الشراب نكهة خاصة.

جلس ونستون ينصت الى شاشة التلفزيون التي كانت تبث أنذاك موسيقى فحسب، ولكن كان من المحتمل ان يصدر بلاغ خاص من وزارة السلام في أية لحظة، فالإخبار من الجبهة الافريقية مقلقة الى أبعد حد، وقد انتابته نوبات من القلق بين الفينة والاخرى طوال النهار بسببها. كان جيش اوراسي (كانت أوشانيا في حالة حرب مع أوراسيا: وأوشانيا دائما في حالة حرب مع أوراسيا) يتقدم نحو الجنوب بسرعة مروعة. ولم تكن نشرة الظهيرة قد ذكرت أية منطقة محددة، غير أنه من المحتمل أن يكون مصب نهر الكونغو ساحة قتال في ذلك الحين، وان تكون برازافيل وليوبولدفيل في خطر. لم يكن المرء بحاجة الى أن ينظر الى الخريطة ليدرك معنى ذلك. لم تكن القضية ضياع افريقيا الوسطى فحسب: كانت منطقة اوشانيا نفسها معرضة للخطر لأول مرة طوال مدة الحرب.

انفجر في داخله انفعال شديد، لم يكن خوفا على نحو دقيق، ولكنه نوع من الحماس غير المميز، بيد أنه تلاشى ثانية. توقف عن التفكير في الحرب. لم يكن في مقدوره في تلك الايام أن يركز ذهنه على موضوع واحد لاكثر من لحظات ابدا. رفع كأسه وشربها جرعة واحدة. وكعادته دائما جعله الجن يرتجف حتى أنه تقيأ قليلا. كان الشراب كريها الى أقصى حد، ولم يستطع كبش القرنفل والسكرين، وهما في حد ذاتهما مثيران للاشمئزاز والغثيان بما فيه الكفاية، لم يستطيعا اخفاء الرائحة الزيتية الواضحة. وأسوأ من كل شيء، أن رائحة الجن، التي تلازمه ليل نهار، كانت تختلط بذهنه برائحة تلك - بصورة لا سبيل الى الخلاص منها.

لم يذكرها بالاسم قط، ولا حتى في افكاره، ولم يتصورها مطلقا ما دام ذلك ممكنا. كانت شيئا يدركه ادراكا جزئيا، تحوم قريبا من وجهه، رائحة

تلتصق في أنفه. وعندما ارتفع الجن في داخله تجشأ من خلال شفاه ارجوانية. لقد أصبح أكثر بداية واسترد لونه السابق منذ اطلاقاً سراجه - في الواقع أكثر من أنه استرده، فقد تحضنت قسماته وأصبح الجلك الذي يكسو أنفه وعظام وجنتيه شديد الاحمرار، وحتى فروة الرأس الصلعاء أصبحت وردية أكثر مما ينبغي. واحضر النادل، دونما طلب للمرة الثانية، رقعة الشمطرنج والعدد الاخير من الاوقات مطوية على المصفحة المحتوية على مشكلة لعبة الشطرنج، ثم احضر قارورة الجن وملا كأس ونستون بعد أن رآها فارغة. لم تكن هناك حاجة لاهتزاز الاوامر لانهم يعرفون عاداته. فرقعة الشمطرنج دائماً في انتظاره، ومنغمته التي في الزاوية دائماً محجوزة له وحده حتى عندما يكون المقهى ممتلئاً، نظراً لعدم رغبة احد في ان يرى جالسا بالقرب منه. حتى أنه لم يترجع نفسه باحصاء عدد الكؤوس التي يشربها. كانوا على فترات غير منتظمة يقدمون له قمصامة قذرة من الورق على أنها فاتورة، وكان لديه الانطباع انهم يتقاضون منه ثمناً أقل من المعتاد. ولو كان الامر عكس ذلك، لما وجد فيه اي اختلاف، معه هذه الايام الكثير من النقود، كما كان لديه عمل، وظيفه عاملة، يتقاضى عليها راتباً اكبر مما كان يتقاضاه في عمله السابق.

توقفت الموسيقى المنبجعة من شاشة التلفزيون وتولى البث صوت ما. رفع ونستون رأسه ليصغي، لم تكن نشرة من الجهة الامامية بل بلافا موجزا من وزارة الرخاء ليس غير. قد حققت الخطة الثلاثية العاشرة لاربطة الاحذية زيادة مقدارها ٩٨٪ على ما يبدو.

تفحص مشكلة الشطرنج وصف الاحجار على نحو منتظم. كانت نهاية دقيقة تتطلب براعة وحذراً وتستلزم فرسين، فرسا ابيض يلعب و يमित الشاه في حركتين اثنتين. نظر ونستون الى صورة الاخ الكبير، وفكر بشيء من التأمل المبهم القاتم، الابيض يفوز دائماً، دائماً بدون استثناء، انها مصممة لتكون كذلك، فممن بدء العالم لم ينتصر الا لاسود في أية مشكلة شطرنج ابداً. الا يرمز ذلك الى الانتصار الابدي الثابت للخير على الشر؟ تفرس الوجه الكبير فيه، ممتلئاً قوة هائلة رصينة. الابيض يفوز دائماً.

توقف الصوت المنبجعت من الشاشة وأضاف بلهجة مختلفة وأكثر رزانة:

(انتم مدعون لتكونوا على استعداد لسماع بلاغ مهم في الساعة الخامسة عشرة والنصف. الخامسة عشرة والنصف! انها أخبار في غاية الهمية. احذروا ان تفرتم. الخامسة عشرة والنصف)، واستؤذنت الموسيقى الرنانة ثانية.

اضطرب قلب ونستون. لقد كانت تلك النشرة من الجبهة الامامية، واورحت له الغريزة ان الانبياء القادمة هي ابناء سيئة. ان فكرة هزيمة ساحقة في افريقيا قد راوتته طوال اليوم مصحوبة بلحظات قليلة من الاثارة. وبما له أنه يرى فعلا جيش أوراسيا يندفع باعداد كبيرة عبر الحدود التي لم تنتهك ابدا، ويندفع نحو قمة افريقيا مثل طابور من النحل. لماذا لم يكن من الممكن الاتفاف حولهم بطريقة ما؟ وبرز في ذهنه شكل الساحل الغربي لافريقيا بقوة ووضوح. أخذ الفرس الابيض ونقله فوق رقعة الشطرنج من جانب لجانب. كان ذلك هو الموضوع المناسب، حتى وهو يرى الحشد الاسود يتسابق نحو الجنوب رأى قوة ثانية، احتشدت بطريقة غامضة، تزرع فجأة خلفهم قاطعة بعملها هذا اتصالاتهم البرية والبحرية. أحس أنه جاء بتلك القوة الاخرى الى الوجود عن طريق الازادة. غير أنه من الضروري التعرف بسرعة، لأنهم اذا استطاعوا السيطرة على افريقيا جميعها، وانا كانت لديهم مطارات وقواعد غوامات في رأس الرجاء الصالح، فان ذلك سيقسم أورشانيا الى قسمين. وهذا قد يعني أي شيء؛ هزيمة، دمار، اعادة تقسيم العالم، دمارالحزب! أخذ نفسا عميقا، وتصارع في داخله خليطا استثنائي من المشاعر - غير أنه لم يكن مزيجا على نحو دقيق، كان على الأصح طبقات متتالية من المشاعر يعجز المرء عن تحديد اية طبقة منها كانت في الأسفل.

مرت الأزيمة، وأعاد حجر الفرس الأبيض الى مكانه، غير أنه لم يستطع في تلك اللحظة أن يستقر كي يدرس بجديّة مفصلة مشكلة الشطرنج، وهامت أفكاره ثانية، ومن غير وعي تقريبا رسم باصبعه في الغبار الذي على الطاولة.

=۲+۲

قلت له جوليا: (لا يستطيعون أن يفنوا الى أمماقك)، ولكنهم استطاعوا أن يفنوا الى أمماق. وقال له أوبرين: (ان ما يحدث لك هنا سيكون الى الابد). وكان ذلك صحيحا. كانت هناك أشياء؛ أفعال المرء ذاتها، لا يستطع استردادها. لقد قتل شيء ما في صدره: احترق تماما، عولج بالكي.

كان قد رأى جوليا، حتى أنه تحدث إليها. لم يعد هناك خطر في ذلك. أدرك، وكأنه بالغريزة، أنهم الآن لا يهتمون بأعماله أو نشاطاته الاجتماعية. كان يوسع أن يرتب الالتقاء بها ثانية لو رغب أي منهما في ذلك. لقد كان لقاءهما في المنتزة صدفه في يوم قارس رديء من أيام آذار، حيث كانت الأرض صلبة كالحديد، وقد بدأ العشب جميعه ميتا، وليس هناك برعم واحد في أي مكان غير براعم قليلة من الزعفران شقت طريقها بصعوبة لتمرقها الريح وتقطع أوصالها. كان يسير مسرعا يبين متجمدين وعيين نامعتين عندما رأها على بعد اقل من عشرة أمتار منه. وفي الحال لفت نظره أنها قد تغيرت على نحو سيء. ومن أحدهما بالآخر من غير اشارة تقريبيا، ثم استدار وتبعها من غير لهفة شديدة. أدرك أنه ليس هناك أي خطر، وأنه لن يهتم أحد بهما. لم تتكلم وسارت فوق العشب بالتواء وتمایل بعيدا عنه كأنها تحاول التخلص منه، ثم بدأ وكأنها استسلمت لوجوده في جانبها. وفي الحال كانا وسط أجمة من الشجيرات المهمة العارية عديمة الجدوى للاختباء أو للحماية من الريح. توقف هناك وكان الجو باردا بصورة قاسية والريح تصفر من خلال الاغصان الصغيرة وتفضي على زهرات الزعفران القزرة والتي نبقت عرضا. أحاط وسطها بذراعها.

لم يكن هناك شاشة تلفزيون، ولكن لا بد من وجود مايكروفونات مخفية: علاوة على ذلك، كان بالإمكان رؤيتهما. لم يكن الامر مهما، لا شيء مهم. باستماعتهما الاستلقاء على الأرض وممارسة ذلك الشيء لو رغبنا فيه. اقشعر جسده اشمزازا ورعبا عند التفكير بذلك. لم تبد أية استجابة للزراعة المحيطة بوسطها، حتى أنها لم تحاول تخليص نفسها منها. أدرك الآن الشيء الذي قد تغير فيها. أصبح وجهها أكثر شحوبا، وكان هناك أثر جرح طويل يغطيه الشعر الذي على جبينها وصدغها الى حد ما. غير أن ذلك لم يكن التغيير الذي لاحظته. كان التغيير في وسطها الذي أصبح أكثر سمته وقد تعلب بصورة مذهلة. تذكر كيف ساعد ذات مرة، على أثر انفجار قنبلة صاروخية، على اخراج مذملة. تحت بعض الانقاض، وكيف أنه قد دمش، لا لتقل الشيء الذي لا يصدق فحسب، بل لقسوة وبشاعة لسهه، الامر الذي جعله يبدو أشبه بالحجر منه الى اللحم البشري. بدأ جسد جوليا كذلك عند اللمس، وخطر له أن ملمس بشرتها سيكون مختلفا تماما عما كان عليه في السابق.

لم يحاول أن يقبلها ولم يتكلمها. وعندما كانا عائدتين فوق الحشائش نظرت اليه نظرة مباشرة لأول مرة: نظرة سريعة خاطفة فقط، ولكنها مليئة بالاحترار والكرامية. تساءل ما اذا كانت كرامية كذلك التي يولدها الماضي الى حد بعيد، أو ما اذا أحدثها وجه المتفخ والدمع الذي ما انفكت الريح تعتمره من عينيه. جلسا على مقعدين من الحديد جنباً الى جنب غير ملتصقين كثيراً. لاحظ أنها على وشك أن تتكلم. حركت حذاءها غير المتقن المصنع بضع مستمرات وسحقت غمنا صغيراً عن عمد. ولاحظ أن قدميها أصبحتا عرض.

قالت بصراحة شديدة تنقمها الكياسة: (لقد خنتك)
قال: (لقد خنتك)

أقلت عليه نظرة سريعة ثانية من الكرامية، وقالت:
(انهم يهدونك أحيانا بشيء - شيء لا تستطيع مقاومته أو مواجبتها بجرأة، ولا تستطيع حتى مجرد التفكير فيه. وعندما تقول: لا تفعل ذلك لي، افعله لشخص آخر، افعله لفلان وفلان. وقد تتظاهر فيما بعد أن ما فعلته كان خدعة فقط، وأنك قلته لتجعلهم يتوقفون، وأنك لم تكن تقدمه حقيقة. ولكنه غير صحيح لانك في الوقت الذي يحدث فيه هذا الشيء كنت تعني ما تقول بالتأكد. انك تمنى أنها الطريقة الوحيدة لابقائك نفسك، وانت مستعد تماما لأن تنفذ نفسك بتلك الطريقة. أنت تريد أن يحدث ذلك الشيء للشخص الاخر، ولا يهيك البتة ما يعانیه، كل ما يهيك هو نفسك)

كرز ونستون: (كل ما يهيك هو نفسك)
(وبعد ذلك لا تعود تشعر تجاه الشخص الاخر كما كنت تفعل)
أجاب ونستون: (كلا انك لا تشعر نفس الشعور)

لم يعد هناك ما يقولانه. الصقت الريح سر واليهما الرقيقين بجسديهما، وأصبح الجارس صامتين محرجا: علاوة على ذلك، كان الجو باردا لدرجة يصعب معها البقاء هادئين بلا حراك. قالت جوليا شيئا بخصوص اللحاق بقطارها ووقفت لتذهب.

قال ونستون: (يجب ان نلتقي ثانية)
فقالت: (نعم، يجب أن نلتقي ثانية)

لحقها مترددا لمسافة قصيرة وهو يسير خلفها بنصف خطوة. لم يتكلمنا ثانية. لم تحاول بالفعل التخلص منه، غير أنها سارت بسرعة وكانها أرادت بذلك ان تمنعه من السير بجانبها. لقد اعتزم ان يرافقها حتى محطة القطار، ولكن بدا له فجأة أن عملية السير خلفها في البرد عملية تافهة حمقاء غير محتملة. وشعر برغبة عارمة ليس في الابتعاد عن جوليا ولكن بالعودة الى مقهى شجرة الكستناء، الذي لم يكن يوما بذلك القدر من الجاذبية كما كان في تلك اللحظة. انتابه حنين غير عادي لمضجته التي في الزاوية مع الجريدة ورقعة الشطرنج والجن الدائم المتدفق. وعلاوة على ذلك، سيكون الجو هناك دافئا. وفي اللحظة التالية، ودوننا صدفة، سمح لنفسه ان يفعل عن جوليا بواسطة مجموعة صغيرة من الناس. قام بمحاولة فائرة كي يلحق بها، ثم تباطأ، واستدار، وغادر في الاتجاه المعاكس، وعندما اصبح على بعد خمسين مترا نظر الى الخلف، لم يكن الشارع مكتظا، ولكنه لم يستطع أن يميزها في ذلك الوقت. قد تكون واحدة من عشرات الاشكال المسرعة. وربما لم يعد بالامكان تمييز جسمها المتقلب التخين من الحظف.

لقد سبق لها ان قالت: (في الوقت الذي يحدث فيه هذا الشيء فانك تعنيه بالتأكيد) وفي الواقع فانه قد عناه، لم يقله فحسب، بل لقد تمناه. قد تمنى ان تكون هي التي يجب ان تسلم الى ... وليس هو.

تغيير شيء ما في الموسيقى التي كانت تتساب رقيقة من شاشة التلفزيون، فقد امتزجت بها نغمة أجهمة ساخرة. وعندئذ - قد لا يكون ذلك قد حدث، قد تكون مجرد ذكرى اتخذت شكل صوت - أخذ صوت يغني:
تحت شجرة الكستناء الممتدة،
بعثك أنا وبعثني أنت - -

وتفجرت الدموع من عينيه. لاحظ نادل عابر أن كأسه فارغة وعاد بقارورة الجن:

رفع كأسه وشمها. ازداد الشراب كراهة مع كل جرعة كان يشربها، غير أنه اصبح العنصر الذي يعينه على التغلب على المصاعب. كان حياته وموته وبعثه. فالجن هو الذي يجعله يستغرق في النوم كل ليلة، والجن هو الذي

ينعشه كل صباح. وعندما يستيقظ، ولما يفعل ذلك قبل الساعة الحادية عشرة بعد المائة، يجفون بدقة ممصغة وفم ملتهب وظهر كأنه محطم، كان من المستحيل أن ينهض من السرير الأفقي الشكل، لولا القارورة وفنجان الشاي الموضوعان بجانب السرير أثناء الليل. وخلال ساعات النهار كان يجلس بوجه جامد، وبقربه قارورة الجن يستمع الى التلفزيون. ومن الساعة الخامسة عشرة وحتى موعد الاعتلاق يصبح شيئا راسخا في مقهى شجرة الكستناء. لم يعد أحد يهتم بما يعمل، ولم تعد الصقارة توقظه من النوم، ولا التلفزيون يحثه على أداء عمله. وكان أحيانا - ربما لمرتين في الاسبوع - يذهب الى مكتب مهمل مغبر في وزارة الصداق ويقوم بعمل بسيط، أو ما يسمى عمل. كان قد عين في لجنة فرعية من لجنة فرعية أخرى انبثقت عن اللجان التي لا تعد ولا تحصى، للتعامل مع المشاكل الثانوية التي تنشأ أثناء جمع وتنميف الطبعة الحادية عشرة من قاموس اللغة الجديدة. كانوا منهمكين في اخراج شيء يسمى تقرير مؤقت، ولكنه لم يكشف أبدا ماهية الشيء الذي كانوا يقدمون عنه التقرير على نحو محدد. كان شيئا يتعلق بمسألة ما اذا كانت الفواصل يجب ان توضع داخل الأقواس أو خارجها. كان في اللجنة أربعة آخرون، جميعهم مشاهير له، وكانت تمر بهم أيام يجتمعون خلالها ثم يتفقدون فورا معترفين بصراحة أنه ليس هناك في الحقيقة ما يعمل. ولكن كانت هناك أيام أخرى يجلسون خلالها للعمل بحماس ويقومون بعرض هائل الادلخال وتسجيل وقائع الجلسة ويضعون مسودة مذكرات طويلة لا نهاية لها أبدا - عندها كان النقاش يحث ويحتدم حول ما كانوا يتناقشون فيه، ويصبح معقدا متشابكا بصورة استثنائية بسبب مساورمات دقيقة ماهرة حول تعريفات، واستطرادات هائلة، ونزاعات - تصل الى تهديدات بالاحتكام اسلمة أعلى، وفجأة تخبو حيوتهم ويجلسون حول الطاولة ينظرون الى بعضهم البعض بعيون هائمة لا حياة فيها، مثل الاشباح التي تتلاشى مع صياح الديك.

انقطع البث التلفزيوني لبرهة، رفع ونستون خلالها رأسه ثانية. النشرة! ولكن كلان انهم يغيرون الموسيقى فحسب. كانت خريطة افريقيا حلف جفونه. وكان تحرك الجيوش رسما تخطيطيا: سهما أسود يشق طريقه نحو الجنوب بطريقة عمودية، وسهما ابيض يشق طريقه نحو الشرق بصورة أفقية عبر مؤخرة السهم الاول. ونظر الى الوجه الهائىء الرابط الجأش الذي في الصورة وكأنه يستمد منه اعانة الطمأنينة. هل يمكن التصور ان السهم الثاني لم يكن موجودا؟

فتر اهتمامه ثانية. احتسى جرعة أخرى من الجن، وتناول الفرس البيضاء وقام بنقله تجريبية مؤقتة عرضت شاه الخصم للخطر. كان من الواضح أنها لم تكن العقلة المأثبة لأن ---

ومن غير استعداء، طافت في ذهنه ذكرى غرفة تضيئها شمعة فيها سرير ضخم عليه لحاف أبيض، ورأى نفسه مبيبا في التاسعة أو العاشرة من العمر، يجلس على الأرض يهز علبة نرد وهو يضحك بحماس. وكانت أمه تجلس قبالة تضحك هي الأخرى.

لا بد أن ذلك قد حصل قبل اختفائها بشهر واحد. كانت لحظة من لحظات الرفاق والمصالحة. وقد نسي الجوع المزعج ازعاجا متراملا، وانتعش حبه السابق لوالدته مؤقتا. تذكر اليوم بوضوح. كان يوما ماطرا ممبلا تدفق فيه الماء من تحت زجاج النافذة، وكان الضوء في الداخل ضعيفا لا يسمح بالقراءة. لقد أصبح ملل الطفلين في غرفة النوم المغلقة الضيقة لا يطاق. انتحب ونستون وامتنع لونه وأصبح ضاربا للون الرمادي وقام بمطالبات غير مجدية للطعام، وحام حول الغرفة مهتاجا ينتزع كل شيء من مكانه، ويركل المائدة التي تكسو الجدران الداخلية حتى أخذ الجيران يضربون على الجدار الفاصل بعنف، بينما جعلت الطفلة الأصغر سنا تنتحب بصورة متقطعة. وفي النهاية قالت أمه: (والآن كن جيئا وسأشتري لك لعبة. لعبة جميلة ستعجبك) وبعد ذلك خرجت في المطر الى حانوت صغير، بطل مفتوحا بصورة متقطعة في مكان قريب، وعادت بعربة كرتون تحتوي على مجموعة من الافاعي والسلالم. ما زال يوسعها ان يتذكر رائحة الكرتون الرطب. كانت مجموعة هزيلة بانسة لوحها مشقق، وحجارة النرد الخشبية الصغيرة فيها رديئة الصنع لا تكاد تستقر على جوانبها الا بصعوبة. نظر ونستون الى الشيء بتعجب وعبوس ودونما اهتمام. غير أن أمه أنهأت عندئذ قلمعة من الشمع وجلسا على الأرض ليعلبا. اشتد حماسه بسرعة وجعل يصرخ ضاحكا كلما كانت أقراص النرد المربعة تصعد السلالم وهي مفعمة بالأمل ثم تتزلق على الافاعي مرة ثانية الى نقطة الانطلاق تقريبا. لعبا ثماني مرات وربح كل منهما أربع مرات. جلست أخته الصغرى - التي كانت أصغر بكثير من أن تفهم ماهية اللعبة - مستندة على وسادة تضحك لان الاخرين كانا يضحكان. وكانوا جميعا سعداء خلال فترة بعد الظهر كلها، كما اعتادوا.

طرد ونسختون الموردة من ناكرته. كانت نكري زائفة. كانت الذكريات الزائفة تزعمه أحيانا. لم تكن هذه الذكريات تهمة لأنه يدرك جوهرها. كانت بعض الأشياء قد حدثت ولكن البعض الآخر لم يحدث. عاد الى رقعة الشطرنج وتناول الفرس البيضاء مرة ثانية. وفي نفس اللحظة تقريبا، سقط الحجر على الرقعة فجأة محدثا قفعة. وشعر كأن دبورسا انسل الى جسده.

اخترقت الجو صرخة بوق حادة ايناانا بموعد نشرة الأخبار. انصرا عندما كانت نفخة البوق تسبق الأخبار كان ذلك يعني النصر دائما. وساد المقيى نوع من الرعدة الكهربية المثيرة، وحتى النوادل جفوا وأصفوا بانتباه شديد.

اطلقت نفخة البوق مقدارا هائلا من الصوت. وفي ذلك الوقت أخذ صوت هالنج متحمس ينطق بكلام غير مفهوم من التلفزيون، ولكنه لم يكذب يبعاً في البث حتى غمره هدير الهتاف الاتي من الخارج. لقد انتشرت الاخبار في الشوارع كالسحر. مع ذلك استطاع ان يفهم ما صدر عن الشاشة بمقدار كاف أدرك معه أن كل شيء قد حدث كما تنبأ. احتشد أسطول بحري ضخيم سراً، وقام بضمربة مفاجئة من خلف العدو، شاقا السهم الابيض طريقه عبر مؤخرة السهم الاسود. ومن خلال الضجيج اندفعت أجزاء من عبارات الإبتهاج بالنصر المقتضية: (خدمة استراتيجية بارعة - تنسيق كامل مثالي - هزيمة منكرة معلقة - نصف مليون أسير - فوضى مطلقة - سيطرة على جميع أفريقيا - نصر جعل الحرب قاب قروسين من نهايتها - نصر - أعظم نصر في تاريخ البشرية - نصر - نصر - نصر!)

قامت قدما ونسبتون بحركات متشنجة تحت المفضنة. لم يكن قد تحرك من مكانه، ولكنه كان في ذهنه يجري، يجري بسرعة، مع الجماهير في الخارج، يهتف بصورة أممته. ونظر ثانية الى صورة الاخ الكبير. التمثال الضخم الذي ركب العالم مباعدا ما بين رجليه! الصخرة التي اندفعت ضدها حشود أفريقيا دون طائل. وفكر كيف أنه قبل عشر دقائق - نعم - عشر دقائق فقط، كان ما يزال في قلبه شك عندما تساءل عما ستكون عليه الاخبار من الجبهة، نصر أم هزيمة. أه، كان ما فني أكثر من جيش أوراسيا! لقد طرأ تغيير كبير عليه منذ اليوم الاول في وزارة الحب، غير أن التغيير النهائي، الذي لا مفر منه، التغيير الشافي لم يكن قد حدث حتى تلك اللحظة قط.

كان الصوت الاتي من الشاشة ما يزال يرسل مجموع عدد الاسرى والغنائم والمجازر، غير أن الصياح الذي في الخارج قد خف قليلا، وأخذ النوادل يعودون الى عملهم. اقترب احدهم وهو يحمل قارورة الجن. لم ينتبه ونستون عندما امتلأت كأسه لأنه كان يجلس في غاية السعادة. لم يعد يركض أو يهتف. عاد بذاكرته الى وزارة الحب، وقد نسي كل شيء، وأصبحت روحه نقية ناصعة كالثلج. كان في قفص الاتهام يعترف بكل شيء، ويتهم كل انسان، يسير في الدهليز المكسوة أرضه بالأجر الابيض وهو يشعر أنه يسير في ضوء الشمس، خلفه حارس مسلح، وكانت الرصاصة التي تمنها منذ وقت طويل تخترق دماغه.

رفع رأسه وحدق في الوجه الضخم. لقد احتاج الى أربعين سنة ليعرف ماهية الابتسامة الكامنة تحت الشارب الاسود. يا لسوء الفهم القاسي الذي لا طائل تحته! يا للاغتراب العنيد عن الصدر الحنون المحب، الناشيء عن التشبث بالرأي! وسالت دمعتان امتزجتا برائحة الجن على جنبي أنفه. غير أن الامور كانت على ما يرام. كل شيء كان على ما يرام، لقد انتهى الصراع وانتصر على نفسه. أحب الأخ الكبير.

انتهت

المترجمة في سطور

د. رشدة حسني المصري، من مواليد نابلس، أنهت دراستها الابتدائية في نابلس، والثانوية في كلية شميدت للبنات - القدس. والجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت على الدكتوراه في ال E F L والأدب من جامعة جورجيا - الولايات المتحدة.

عملت مدرسة للغة الانجليزية في طولكرم ونابلس. ومعهد الحسين في طولكرم، وفي جامعة بيرزيت (غير متفرغة) وأخيرا في جامعة النجاح الوطنية نابلس. وعملت موجهة للغة الانجليزية في محافظة نابلس مع وكالة الغوث الدولية (معارة) لمدة ثلاث سنوات، ومع وزارة التربية والتعليم في محافظة نابلس لمدة سنة.

قامت بترجمة رواية THE MOON IS DOWN للكاتب المشهور، JHON STEINBECK، وهي رواية تعالج مشاكل شعب أعزل احتلت بلاده من قبل عدو لا يرحم. ونشرت عددا غير قليل من الأبحاث القصيرة والمقالات المتنوعة في رسالة الجامعة والصحف المحلية.

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

